محمد المدني

الموسيقى الدينية

جماليات التواصل والتعبير الموسيقي عند الشعوب

24.8.2017

مكتبة سومر

الموسيقى الدينية

جماليات التواصل
والتعبير الموسيقي عند الشعوب

Telegram: SOMRLIBRARY

الموسيقى الدينية

جماليات التواصل والتعبير الموسيقي عند الشعوب

تأليف: محمد المدني

عدد الصفحات: (248)

القياس: (14.5 ❖ 22)

الناشر: دار كنعان

للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية

جميع الحقوق محفوظة

دمشق - ص.ب 443 تلفاكس: 2134433 (11 - 963 +)

E- mail: said.b@scs- net.org

الطبعة الثانية: 2017 / عدد النسخ 1000

إخراج: لبنى حمد

الإشراف العام: سعيد البرغوثي

Telegram: SOMRLIBRARY

محمد المدني

الموسيقى الدينية

جماليات التواصل والتعبير الموسيقي عند الشعوب

Telegram: SOMRLIBRARY

Telegram: SOMRLIBRARY

مُقدّمة

أحس الإنسان بالموسيقى منذ أن أصبح إنساناً. وشعر بألحان الطبيعة المحيطة به. وتأثر بموسيقى الكون والطبيعة، فابتدع الإنسان معزوفته الموسيقية الأولى، ولجأ إلى الصراخ للتعبير عن سعادته، ثم تعلم تنغيم الكلمات وهذا التنغيم قاده إلى الغناء والتلحين، فجاء الغناء للتعبير عن أحاسيس الإنسان بالنشوة والسعادة، وكانت أغاني الحب ثم أغاني أحاسيس الألم ودنو الموت أو الرهبة والخوف من كوارث الطبيعة..

وعرف الإنسان التصفيق، وطقطقة الأصابع أو الضرب على الأرض، فطور لعبة الضرب واخترع من الأشياء المحيطة به آلات موسيقية واستطاع من خلال أصواتها أن يعبّر عن مشاعره. وليس من الغريب أن يبتكر أبناء الصين وسكان منطقة المتوسط والهنود الحمر آلات موسيقية من القصب والجلود الحيوانية.

كانت «الدرام» أقدم آلة موسيقية اخترعها الإنسان، ثم ابتدع الإنسان آلات النفخ فكانت الصفارة والمزمار، ومن الأولى جاءت آلة الفلوت التي عرفها المصريون قبل 6000 عام ثم جاءت الآلات الوترية، وشيئاً فشيئاً ارتقى الإنسان بالموسيقى والغناء إلى شكلهما الإنساني الراقي المعاصر.

فالموسيقى فطرة بشرية، ووجود طبيعي في هذا الكون، وإنه لا يمكن أن نحرم الإنسان منها. من هنا فإنه لا يمكن أن تكون هناك شريعة سماوية تحرّم الموسيقى بحد ذاتها.

Telegram: SOMRLIBRARY

في المرحلة التالية توصل الإنسان إلى استخدام الموسيقى لأجل الفرح والطرب والاحتفال، ثم لأجل العلاج من بعض الأمراض، ولاسيما الخطيرة منها، فقد عرف العلاج بالموسيقى عند قدماء المصريين والعراقيين وذلك باعتبار الموسيقى جزءاً من مهام آلهة الخير والحب.

وفي الحضارة العربية الإسلامية توصل الفيلسوف أبو يعقوب الكندي لأثر الموسيقى في تطبيب الأمراض النفسية والعقلية، كما رتّب العلامة الطبيب ابن سينا العيدان وأساليب عزفها، وفنّد أنواع المقامات التي تعزف حسب حالة المريض.

وفي عصرنا الراهن، ولاسيما في أمريكا وألمانيا واليابان، استخدمت أشكال من الموسيقى للتخفيف من آلام الأسنان ووضع نظام صوتي موسيقي لتخفيف آلام مرضى السكتة الدماغية، ولاسترجاع نطق المصابين بها.

احتضنت الأديان على اختلافها قديماً وحديثاً فنون الموسيقى لتنسج من ألحانها حلة تسبغها على المشاعر وتجتذب بها العواطف وتوقظ بها الأرواح الصافية لتبعث فيها نوراً.

والموسيقى تعبر عن التصوف منذ قديم الزمان. عرفها المتصوفون في مختلف العصور، وقد كانت من قوة تأثيرها أن وصل الإنسان إلى قمة الروحانية عند سماعها. والموسيقى تعبر عن الأحاسيس والمشاعر المختلفة والمتعددة للإنسان طوال مراحل حياته من الميلاد وحتى الممات.

أراد الإنسان أن يعبر عن نفسه وأن يبحث عن الغموض الذي يلفّ الكون. فراح يبحث في البداية عن طريقة أداء مسرحي ترضي الآلهة، ثم أصبح يفكر لاحقاً في طرق التسلية والاحتفال بمناسباته السعيدة.

تاريخ جماليات التواصل الإبداعي، بحث كبير وعميق، تبرز فيه التقاربات بين الشعوب والحضارات والأديان.

Telegram: SOMRLIBRARY

الفصل الأول

الموسيقى بين الأسطورة والدين والعلم

للدخول في صلب موضوع الكتاب، كان لابد من حضور حفل صوفي ومناقشة العروض الصوفية المعاصرة، فلسوف يتبين لنا بأن هذه العروض الصوفية هي الثمرة الأخيرة الطبيعية لتنوع وتعدد كل أشكال الموسيقى الدينية في منطقة شرق المتوسط منذ آلاف السنين.

فهذا عرض منوع للموسيقى الدينية، فيه مزج بين تراث دمشقي وحلبي وأندلسي وبكتاشي ومولوي. وفيه تأثيرات الموسيقى السومرية واليونانية والكردية والفينيقية والعربية. كل هذا يجتمع في الفن الصوفي الإسلامي الجديد. وفي عرض واحد استمر حوالي الساعتين. لنصف هذا العرض أولاً.

كل هؤلاء الفنانين يعتمرون قلنسوات مرتفعة ذات لون بني. وهي التي اشتهرت عند أتباع جلال الدين الرومي صاحب الطريقة المولوية.

كانت القاعدة تلزم أتباع المولوية بهذه القبعة.

يذكر أنه عند إنشاء الطريقة البكتاشية ألبس الشيخ بكتاش ولي جنوده قبعات حمر مرتفعة، وحمّلهم راية حمراء رسم عليها هلال. وجعلهم أتباعاً له كجنود في الكتائب الأولى للجيش الإنكشاري. وكانت تلك الحادثة لحظة ولادة الطريقة البكتاشية. ويذكر أيضاً أن القبعة

Telegram: SOMRLIBRARY

المخروطية الشكل المرتفعة قد عرفت عند أتباع الديانات والعقائد القديمة في منطقة شرق المتوسط وعند الأيزيدية والآشورية ولها عندهم دلائل تتعلق بتقديس الشمس. ومن المعروف بأن هذه القبعة الحمراء التي نقلها العثمانيون إلى البلدان العربية، مازالت حاضرة بأشكال عديدة في البلدان العربية ونراها في مصر وليبيا وتونس والمغرب، ويلبسها رجال الدين غالباً. وحتى أواخر القرن الماضي كان من يسمون كبار القوم في سورية ولبنان يعتمرون بطربوش أحمر، هو نفسه تلك القلنسوة البكتاشية. كما أن السلطان محمد علي باشا، الذي هيمن على حكم مصر، فرض من جديد تلك القبعة الحمراء، إذ كان هو نفسه يعتمر بها.

فالشيخ بكتاش ولي عاصر جلال الدين الرومي، الذي أسس الطريقة المولوية، وألزم دراويشه باعتمار القلنسوة الحمراء، المرتفعة المدببة. وإن تماثيل تركها الآشوريين كلها تقريباً تشمل القلنسوة المرتفعة نفسها. فهي إذاً موجودة منذ خمسة آلاف سنة تقريباً.

ومن المعروف تاريخياً بأن الشيخ بكتاش ولي كان قد وفد من بلاد الفرس. وأقام في تركيا العثمانية ونشر طريقته هناك. فكان يحمل إذاً موروثاً دينياً صوفياً فارسياً / عراقياً. إضافة لتأثره بالمانوية.

ويعتز الفرس حتى اليوم بتراثهم الثقافي الشهير (الشاهنامة). ذلك المخطوط الكبير المنوع الذي كان له تأثير كبير على الصوفية الإسلامية. فهي عبارة عن أشعار وقصائد دينية، كان الزرادشت الفرس يتغنون بها.

إنه بفضل الهيمنة العثمانية الطويلة على مناطق وبلدان عربية واسعة، تم نقل وفرض الطريقة البكتاشية وثقافاتها. ومن خلالها تولدت طرق صوفية أخرى، وتفرعت عن البكتاشية.

Telegram: SOMRLIBRARY

لقد كان الحاكم أو الخليفة أو الوالي بحاجة لقضاء ساعات استراحة أو لهو أو مرح. فكانت حفلات الطرق الصوفية هي المتاحة والمقبولة في تلك الحقبة. وقد قبل الولاة والحكام تلك الحفلات نظراً لحاجتهم للهو والمتع، وكانت تلك الاحتفالات متناسبة مع الحالة الإسلامية، وأخذت شكل احتفال ديني. ولذلك كان من الممكن تطوير الفلسفة الصوفية بفضل امتلاكها كامل الحرية، بل ودعم السلطات لها على الدوام.

وبهدف اجتذاب الأفراد أقامت السلطنة العثمانية مراكز استقطاب كثيرة وكبيرة، كانت تلك المراكز بمنزلة مدارس وجامعات، وهي بالوقت نفسه مساكن للإقامة، وأماكن تجمع ونشاطات. تلك هي الخانقاه والزوايا والتكايا والمقامات والقباب. فأقيمت في مدينة حلب العشرات منها. وفي دمشق عدد أقل، وفي القاهرة عدد كبير. وأشهرها التكية السليمانية في حلب وتكية دمشق. وكانت تلك التكايا تستقطب أطفالاً ورجالاً مشردين، فيتم تنشئتهم على تربية صوفية صارمة خاصة، ثم يلحقون بكتائب الجيش الإنكشاري. أي أن المدرسة الصوفية البكتاشية كانت بمنزلة مدرسة عسكرية نظامية بشكلها الذي كان يتناسب مع تلك العصور. فالجندي اليوناني كان يقاتل في سبيل إرضاء آلهة الأولامب. والجندي العثماني صيغت له عقيدة قتالية، في سبيل شيخ الطريقة المقدس. وكان ذلك دعماً كبيراً لحركة التصوف الإسلامي.

وفي الأندلس نشأ فن جديد، هو رقص السماح وإنشاد الأندلسيات، وشاركت النساء في ذلك الرقص، وقد نشأت هذه المشاركة عن الفرقة البكتاشية نفسها. فالفرقة البكتاشية ابتدعت طرق رقص صوفي جديدة في القرن الحادي عشر، وهي رقص نسائي على أنغام

Telegram: SOMRLIBRARY

يعزفها رجال. ويتفرج على الرقص رجال وحكام وولاة وغيرهم. وبين المخطوطات البكتاشية القديمة رسومات كثيرة تمثل هذا الرقص الديني النسائي. هذا ماسمي فيما بعد بالسماح والأندلسيات. وهذا هو الأصل القديم للرقص الشرقي الذي نراه اليوم على شاشات التلفزة السورية والمصرية والمغربية. فقد كان هذا الرقص ذا طابع صوفي بكتاشي وأندلسي. لكنه اليوم أصبح ذا هويتين، فأصبح رقصاً شرقياً، وموسيقى دينية صوفية أيضاً. لذلك نجد أن فرقة الدراويش تقدم الأندلسيات في بعض فقراتها، فالمتفرجون مازالوا ينظرون إلى هذا العرض الصوفي باعتباره أداءً دينياً.

وتستخدم الفرقة آلات عزف متنوعة، منها الدف والعود والقانون، وهي آلات شرقية الأصل. ومنها المزمار، وهو الذي أضافه المصريون إلى الفن الصوفي. فالمصريون الفراعنة ابتكروا العزف الديني على المزمار، واستخدموه في طقوس دينية فرعونية. وقد تأثر اليهود بالثقافة الفرعونية تلك، فبين نصوص التوراة مزامير داوود، وهي التي كانت تنشد برفقة المزمار. ثم استمر المزمار عند المصريين اللاحقين، ثم أضافه المصريون إلى الفن الديني الصوفي الإسلامي.

إن الصوت الحزين والشجي الذي يطلقه المزمار ساعد في انتشاره. فانتقل المزمار إلى البلدان العربية الأخرى. واليوم عندما تريد (إذاعة ما) أن تعبر عن الفن الديني في أعياد إسلامية، فإنها تبث معزوفة بواسطة مزمار.

وليس هناك بالطبع آلة موسيقية حلال وأخرى حرام. فتلك آلة جامدة صماء لا يمكن تحريمها أو تحليلها مهما كان نوعها، وإن من يحرّمونها يستندون إلى التقليد والميراث الصوفي فحسب. لا إلى الدين الإسلامي. فإن تحريم بعض الفقهاء المسلمين للموسيقى نتج عن

Telegram: SOMRLIBRARY

خلافهم الفكري مع الصوفية ورجالها. وعندما يفصلون الموسيقى عن الصوفية، لابد وأنهم يكتشفون بأن الموسيقى لا يمكن تحريمها. فالموسيقى ليس زنا ولا ربى ولا سرقة.

ويزداد الاهتمام بالفرق الصوفية التي كثرت في عصرنا، في شهر رمضان وفي المناسبات الدينية. إذ يفطر الصائمون أو يتسحروا على أنغام هذه الفرق ويتمتعون برؤية غرائب الدوران وارتفاع التنانير البيضاء. نحن إذاً أمام فن تراثي فريد.

كل الفنون العالمية الجديدة نشأت كتطوير للفنون القديمة والموروثة عند كل شعب، وصحيح أن كل شعب يعتدّ بموروثه الفني.

للموسيقى أدوار كثيرة لا تنتهي، ومن وظائفها أنها تساعد المجتمعات على التلاحم وتوحيد الصفوف، فقد استخدمت النازية معزوفات شهيرة لتوحيد صفوف الألمان، وكان هتلر يظهر بين الجنود في احتفالات مهيبة على إيقاع موسيقى معزوفة **The Nazis after all**. لكنهم على إيقاع المعزوفة نفسها أطلقوا النار على مواطنين ألمان. وكانت المعزوفة التاسعة لبيتهوفن تعبر عن بيان سياسي واجتماعي عن التضامن الإنساني.

ومما لاشك فيه أن للموسيقى الدينية دور في تعميق الشعور الديني، بل وحتى الإيماني أحياناً. ويمكن لمن أراد استغلال الموسيقى الدينية أن يوجهها فيحقق من خلالها ثقافة دينية ما. كما يستخدم بعض الدعاة أنواعاً من الموسيقى لترويج الأفكار الدينية.

إن الأصوات التي تذاع من المساجد، بكل أنواعها حتى ذلك الهدوء وتلك الرتابة في همس الذين يقرؤون أو يصلّون، كلها تحمل موسيقى، وعندما تدخل الجامع الأموي مثلاً تسمع أيضاً أصوات خرير نوافير البحرات المخصصة للوضوء، وأصوات هديل الحمائم، لقد أصبحت

Telegram: SOMRLIBRARY

هذه الموسيقى المتنوعة كلها ذات طابع ديني يمكن أن توظف لأغراض دينية.

فأصوات رفيف أجنحة الحمائم يراها البعض هنا على أنها موسيقى دينية، لكن في حديقة باريسية نسمع أصواتاً مماثلة لها.

لو أنك أغمضت عينيك وراقبت أصوات الفضائيات في عملية تصفح سريع لها. فيمكنك التعرف فوراً على قناة فضائية دينية أو صوفية، ذلك من خلال طبيعة صوت المذيع، أو الموسيقى التي تم توظيفها في القناة أو من خلال أصوات الطبيعة التي اختارها الفنيون في القناة. لكن تلك الأطياف الموسيقية هي موجودة في العالم والتي يمكن توظيفها أيضاً لأغراض غير دينية، والآلات نفسها التي تشعرك بمشاعر دينية هنا إنما تستخدم في معزوفات غير دينية هناك. إن الشخص الذي أتقن تلاوة أو تجويد القرآن، والآخر الذي أتقن الإنشاد الصوفي، هؤلاء عندما يتحدثون في موضوعات عادية وبدون قصد فإنهم يتغنون أثناء الكلام. فمثلاً لو أنه نطق كلمة (الضالين)، تراه يمدد حرف الألف، ملزماً. في حين أنه لا يقرأ الكلمة في مجال آخر بالارتفاع نفسه. وهذا يعني أن ذلك الشخص قد أتقن طريقة أداء موسيقي.

إن سورة الفاتحة تنتهي بكلمة (وَلاَ الضَّالِّينَ). لكن المسلمين أضافوا أثناء الصلاة كلمة آمين، وهي كلمة دينية كانت تستخدم منذ القديم عند اليهود والمسيحيين. ويراد منها تعميم موسيقى دينية مؤثرة. فكلمة (آمين) لها دلالات موسيقية هامة.

وفي سورة الشعراء، ذكرٌ للشعر الذي هو نوع من الغنائية والموسيقى التي عرفت عند شعوب كثيرة قبل الإسلام، تقول الآيات:

1- وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ

2- أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ

Telegram: SOMRLIBRARY

3- وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ

هـذا الوصـف لـشعراء يمكـن تـشبيههم بالـشعراء الجـوالين، وبالـشاعر هـوميروس أو فيرجيـل الـذي كـان يتغنـى بقـصائده الملحميـة. وبكـثير مـن الـشعراء الـذين سـاروا علـى تلـك الطـرق. فكانـت أشـعارهم ملاحـم وأسـاطير شـبه دينيـة، وتدعو إلى تعميـق الشعور الـديني وعبـادة الأوثان وتمجيد زيوس والآلهة اليونانية والرومانية.

لقد كانت الشعوب القديمة تقيم طقوس العبادة بتلاوات شعرية منمقـة وموزونـة. فكانـت تلـك القـصائد عبـارة عـن أدعيـة وصـلوات وتوسلات غنائية. وقد خصصها البعض للشيطان، وغيرهم للشمس، أو الآلهة أو الأصنام أو الحيوان...

الموسيقى فطرة إنسانية تنشأ بشكل لاإرادي عند كل مولود. فهي حب لأصوات الطبيعة واستساغة لأنواع منها. ولهذا فإنه لايمكن لدين أن يحرّم الموسيقى بحدّ ذاتها. نسمع الموسيقى بحفيف أوراق الشجر، وفي هدير الشلال وفي تموج البحر وهيجانه.. فالموسيقى هي من أركان وجود الطبيعة. ورغم ذلك فهناك من المسلمين من يحرم الموسيقى ويعتبرونها رجس من الشيطان. وآخرون يفنّدون المحرّم منها. لكن جميع الديانات انتصرت للموسيقى، وفي القرآن الكريم لا يوجد نص يحرّمها بشكل يقيني، وإنما هناك فقط اجتهادات لا تسمو إلى تحريمها.

الموسيقى كعلم وكظاهرة وجدانية ذات سحر أسطوري تجعل الكائن البشري يرقى إلى مستوى رفيع يعلو به ويرقيه عن مصاف الحيوان، ليصير إنسانا كاملاً.

يقول الباحث المتخصص بالموسيقى الصوفية، بن حدو:

« ... أحس بالانسجام الروحي الذي أحسه وأعيشه أثناء قيامي بواجباتي الدينية، ودخولي عالم التأمل، الذي يربطني بعلاقة روحانية

Telegram: SOMRLIBRARY

ووجدانية بالله سبحانه وتعالى، علاقتي بالموسيقى تنقلني من عالم إلى آخر، وأدركتها وأنا أحاول أن أخطو خطواتي الأولى على درب الحياة..».

لقد كانت هناك علاقة حميمة بين الموسيقى والأديان كلها. فأتى بعض المسلمين إلى استنباط موسيقى جديدة بعض الشيء. ففي القنوات الفضائية الصوفية مثلاً، تختلط عند بعض المشاهدين كل من قراءة القرآن الكريم وإنشاد قصائد صوفية. فيصرّ البعض مثلاً على مشاهدة الأغاني الصوفية ويرددونها مع المنشد، اعتقاداً منهم بأنها نصوص مقدسة. وبأنهم يسبحون الله أثناء الإنشاد. وتتجلى هذه الظاهرة قبل آذان المغرب في شهر رمضان، حيث تعرض الفضائيات أناشيد وقراءات دينية.

يتعين علينا الاعتراف بالموسيقى كعلم كامل ومستقل. وأنه لابد من تطويره وتعليمه للمتخصصين. ولا مانع من وجود أغنية تحمل كلمات ومقاصد دينية.

إننا لا نستسيغ قراءة للقرآن حين يؤديها شخص متعثر في النطق، أو مبحوح الصوت أو أنه لا يقدر على نطق بعض الأحرف. وكذلك لا نستسيغ تعثّر المؤذن في النطق. فمن حقنا أن نستمع لمؤذن يجيد طريقة الأذان ويتفنن بها. نحن إذاً نستسيغ الصوت واللحن وموسيقى الأداء. وحينما اختار رسول الله المؤذن الأول بلال الحبشي، لاشك بأنه اختاره لميزات عنده في الأداء والنداء. وهي بلا شك إمكانيات موسيقية ومواهب مسرحية كانت كامنة عند بلال. وكان الرسول يدرك وجودها في شخصية بلال فوقع عليه الاختيار.

لقد أجمعت الدراسات النفسية في كل العصور على أن الموسيقى تلطف المشاعر وترهف الأحاسيس وتسمو بالنفوس وتبعث فيها النشوة والبسمة.

Telegram: SOMRLIBRARY

الموسيقى كلمة يونانية الأصل تشتق من موسا ومعناها الملهمة وتروي لنا الأسطورة أن جوبيتير كان يصحب معه في تجولاته تسع فتيات يلقبهن (موساجيت)، كل فتاة منهن تزاول فناً من الفنون الجميلة فكان منها الغناء والرقص والرسم والدراما والكوميديا والخطابة، والتاريخ والفروسية وعلم الفلك.

ومنذ القديم ارتبطت الموسيقى والفنون كلها بالأسطورة. يبحث الإنسان عن المضمون المشترك والشكل المشترك بين الأسطورة والشعر، بين الأسطورة والموسيقى، ويبحث الإنسان عن أسباب وكيفية تحول الأسطورة إلى وسيلة فنية يستخدمها الأديب أو الشاعر أو الموسيقي بصورة خاصة.

يرى آرنست فيشر في ضرورة الفن أن الرغبة المزدوجة في تبسيط هذا الواقع المعقد إلى حد غير محتمل، والاكتفاء منه بالجوانب الجوهرية، والرغبة في إبراز كون ما يربط الكائنات الإنسانية، هو الروابط الإنسانية الأولية، لا الروابط المادية. هذه الرغبة المزدوجة تؤدي إلى ظهور الأسطورة في الفن والتفاعل معه.

ويرى مالينوفسكي في الأسطورة جنين الملحمة والقصة التراجيديا المستقبلية.

ويرى نيكولاس فريدة أن الخرافة ميراث الفنون، وهي معين لا ينضب للأفكار المبدعة، وللصور المبهجة، وللمواضيع الممتعة وللاستعارات والكنايات.

ويرى كاسيرر أن الإنسان اكتشف من خلال استخدام الأسطورة نوعاً جديداً من التعبير، هو التعبير الرمزي. ويعد هذا التعبير الرمزي عاملاً مشتركاً في كل الأفعال الحضارية، أي في الأسطورة، والشعر، واللغة، والفن، والدين، والعلم.

Telegram: SOMRLIBRARY

الدكتور أحمد كمال زكي يعتبر الأسطورة ميراثاً عالمياً، يمنح الشاعر حرية التحرك نحو ثقافة عالمية، لذا فإن الأدباء ينهلون من الأساطير.

فقد نشأت الفنون والموسيقى مع نشوء الأسطورة إذاً، وظلت هذه الفنون تتطور باستمرار حتى أمكن لبعضها أن تستقل عن الأسطورة. لكن كثيراً من دعاة الموسيقى الصوفية حرصوا على استعادة نماذج من فكر الأسطورة القديمة.

المعنى القديم لكلمة موسيقى هو الفنون بصورة عامة، ولكن التسمية انفردت فيما بعد بمعنى لغة الألحان والعواطف.

ولقد تعددت تعاريف الموسيقى على مر الأيام والعصور فقيل إنها فن روحي خلقه الله لحاجة الإنسانية إلى مايهذب روحها ووجدانها.

وهي أيضاً هندسة صوتية فذة، تتألف منها نغمات معبرة عما تشعر به النفس من مظاهر الحياة.

وهي لغة الجمال والعواطف، فالطرب الذي نحسّه في لحن موسيقي ما هو إلا نتيجة حالة تنسجم فيها النغمات في إطار شيق بديع. والموسيقى ترتبط مع اللغات الأبجدية بحروف وقواعد.

فيثاغورث وأفلاطون وأرسطو، تحدثوا عن علم القوى العلاجية للموسيقى. وقال آينشتاين عن سبب ذكائه بأنه كان يعزف على آلة الكمان.

وقد استثمرها الطبيب ابن سينا في العلاج النفسي، فهو الذي دعا لأن تنشد تراتيل وأشعار دينية من مآذن الجامع القريب من مستشفى الأمراض النفسية في دمشق في ذلك العصر. وبالفعل بدأ المؤذن بإنشاد أشعار قبل أذان الفجر. ولاحظ ابن سينا تأثير ذلك على معالجة مرضاه وتحسن أحوالهم. لكن تلك الطريقة امتدت إلى جوامع دمشق كلها. لنراها اليوم تعم سورية وبلدان إسلامية أخرى.

Telegram: SOMRLIBRARY

ارتبطت الموسيقى بالدراما وبالدين. وقد بدأت الدراما عند الشعوب القديمة كلها تقريباً .. فالدراما الحديثة هي من تطور تلك المهرجانات الدينية عند الشعوب القديمة. إذ ليس هناك شعب لم يقم بمهرجانات دينية.

كان الهنود الحمر يرقصون رقصه الأسد حول النار احتفالا بصيدهم ويعيدون خلق الأحداث التي مروا بها عن طريق رقصات وغناء وكانت ساعة الذروة لديهم هي لحظه صيد الأسد . وفي حضارات أخرى كانت بدايات المسرح مرتبطة بالدين وبالآلهة التي كانوا يعبدونها وبحفلات تقديم الأضاحي لها .

الشعوب الإفريقية لا زالت تمارس طقوساً احتفالية متنوعة على مدار السنة، ولها مناسبات ومهرجانات مخصصة لآلهتهم. فيقدمون القرابين بكثرة فيذبحون الماعز والخراف والغزلان وغيرها . ويحتفظون في معابدهم وفي وبيوتهم برؤوس حيوانات متنوعة، فيجعلونها أيقونات ذات دلالة فألية. تبعد الأذى والمرض، وترضي الآلهة. وفي الأسواق ترى رؤوساً محنطة كثيرة للحيوانات يقتنيها البعض وخاصة في الأعياد . ومهرجانات هؤلاء الأفارقة صاخبة تتناسب مع معتقداتهم. إذ يتنكرون بلبس ألوان متنوعة ويضعون أقنعة مخيفة على الوجوه ليتقربوا من آلهتهم. هذه الأعياد ضرب من فنون المسرح والموسيقى.

الموسيقى توجّه العواطف وتكثفها، ولها رهبة روحية، وعند الاستماع إلى موسيقى دينية يشعر المرء بتعاظم تأثير الفكرة الدينية عليه. وإن عدداً من المسلّمات الأخلاقية التي نجدها في المشاعر الدينية تشترك أيضاً مع المشاعر الموسيقية.

فللموسيقى التأثير نفسه على أشخاص تتعدد ثقافاتهم وتتنوع

Telegram: SOMRLIBRARY

موروثاتهم الفكرية، ولها رهبة روحية وعمق تأثير. لكن في الدافع الديني رهبة دينية مختلفة وتأثير آخر مختلف.

لقد وضع موتزارت بعض معالمه الروحية في المقطوعات الموسيقية التي ابتكرها، وعندما تصغي إليها فإنها ستصلك بمعالمه الروحية ذاتها عن طريق ذلك الجزء الدماغي الذي تمتلكه أنت ويمتلكه موتزارت. والذي من خلاله تم التواصل الذهني بينكما. فتشعر بأنك على معرفة شخصية به، أو لك علاقة شخصية معه. لذلك فإن شهرة الفنان والموسيقي والمغني تؤثر على الأفراد الذين يولعون بفنه. إنهم لم يجتمعوا به ولم يصادقونه من قبل، لكنهم يشعرون بأنه أقرب صديق حميم لهم.

إن تعمقك وفهمك لمقطوعات موسيقية دينية رائعة تعمق فيك الإحساس والشعور بالكون وعظمته. وبعظمة الخالق. فتشعر بالرهبة والخشوع إلى جانب المتعة.

وقد تصبح علاقة الفرد بالموسيقى مشابهة لعلاقته بالله، فعندئذ تمتزج الموسيقى بالدين وتصبح الموسيقى والدين شيئاً واحداً. ويصبح من المتعذر على تلك الديانة أن تنسلخ عن الموسيقى أو تتمنع عن توظيفها. ويصبح الطريق إلى الله غير منفصل عن الموسيقى. فيتطور هذا الإحساس عند أولئك، فيعتقدون بأن مصدر تلك الموسيقى إنما هو من الله، وأنه انتقل إلى الإنسان عن طريق الإلهام. فنحن المسلمين نسلّم اليوم بأن هناك موسيقى تمنحنا مشاعر دينية، منها عزف الناي الحزين الذي تستخدمه الإذاعات العربية في برامجها الدينية.

إن الإنسان يمتلك حاجة للموسيقى الدينية. وللشعور الموسيقي، هي مثل حاجته لأن يصرخ في لحظة مفاجئة بقوله (يا إلهي).

Telegram: SOMRLIBRARY

في اليابان تطورت الموسيقى الدينية القديمة، وتحمل الموسيقى اليابانية الحديثة موضوعات دينية صارمة. وتشتهر معزوفات الموسيقار (ياني)، والاسم يعود إلى الجاينية. تلك الديانة البوذية التي ظهرت منذ خمس وعشرين قرناً.

إن العلوم المتعلقة بالموسيقى، إنما هي من العلوم البشرية والحضارية، وقد فهمها العرب والمسلمون واكتشفوا كثيراً من جوانبها منذ القديم فأبدعوا في ابتكار طرق وأساليب من شأنها أن تحقق التمازج الكلي والتام بين الفرد والموسيقى التي يسمعها أو يصنعها. واستفادت الصوفية الإسلامية من تلك الابتكارات فعمقتها واستثمرتها لصالح الفكرة الصوفية نفسها.

فقد كان المسلمون منفتحين على العلوم والثقافات والابتكارات الجديدة والمستوردة والموروثة كلها، ومن ذلك كان انفتاحهم على الموسيقى، وتفهمهم لها وتطويرها بكل الطرق الممكنة.

وإنه من الطبيعي في كل عصر أن تهيمن العلوم والمعارف والابتكارات الجديدة على الثقافات الأقدم منها، والأقل خبرة وعلمية. ومكن القرار الصوفي من الهيمنة على المجتمع وعلى الحاكمية. سيما وأن الصوفية اشتغلت بكل العلوم وسخّرتها لصالح الفكر الصوفي. فقد استغلت الصوفية علوم التنجيم والكيمياء والسيمياء وعلم البحث الديني كله. والذي فيه تم استحداث تداخل بين الأديان والمذاهب بكل ثقافاتها وتنوعاتها.

يقول المدافعون عن الموسيقى الصوفية:

« ... إن أعظم فهم للموسيقى يمكن للإنسان أن يتوصل إليه حتى في القرون اللاحقة، هو أن يصبح الفرد جزءاً من تلك المعزوفة التي يؤديها أو يصغي إليها. فيرقص دوراناً معها ويتماهى جسدياً بها ويغيب

Telegram: SOMRLIBRARY

عن حاضره فيعيش في عالم روحي آخر هو عالم يوصله مع الله ويفصله عن الدنيا كلها. بل يصبح إيقاظه وإخراجه من ذلك الدخول في العالم الإلهي عملية صعبة لايمكن إلا للخبير أو المرشد الروحي أن يقوم بها ...»

وقد تجلى هذا الأداء الموسيقي عند جلال الدين الرومي، فانتشر في العالم الإسلامي تحت اسم الفرق الصوفية المولوية.

ففي مفهوم الصوفية الإسلامية يمكن للمتصوف أن يلج العالم الإلهي وفيه يتّحد مع الذات الإلهية. وجعلوا الموسيقى واحدة من الوسائل التي تساعد الصوفي في عملية الإتحاد بالله، ثم الفناء في الذات الإلهية.

إن العقائد والديانات التي سبقت الإسلام استثمرت الموسيقى في العبادات والطقوس لأن خطابها الديني لم يكن كافياً ولا مقنعاً. ففي حين كان اليوناني يخاطب آلهة جميلة وحاكمة ومحاربة، كان عليه أن يتوسل إليها بواسطة الموسيقى والشعر والعرض المسرحي. قراءة القرآن علاوة على أنها تستدعي التفكير بالآيات وبالقواعد الدينية، ومن الممكن أن تقرأها حتى بدون صوت فتفهم معانيها وأحكامها. ولكن إضافة اللحن والتجويد والترتيل يترك تأثيراً عميقاً في روح المستمع.

إن مبدأ وحدة الوجود، هو عقيدة قديمة قالت بها كل الديانات الأرضية تقريباً. فأخذتها الصوفية عن تلك العقائد القديمة. واستغلت الموسيقى بهدف الإعداد لعملية الاتحاد مع الله والتفاني به.

يشعر الصوفي بأنه توحّد روحياً مع الله وذلك بتأثير عميق من الإيقاع الموسيقي عبر رقصات تؤدى في الحضرات والاحتفالات الدينية، هذا التعمق الصوفي في الموسيقى ليس حكراً على المتدينين، وبإمكان غير المتدين، بل والشخص غير المؤمن بالأديان، أن يتعمق بالموسيقى

Telegram: SOMRLIBRARY

الصوفية. وكثيراً ما يحضر حفلات صوفية أشخاص غير متدينين، منهم سياح وأجانب ومستشرقون، ويعبرون عن هيامهم.. وإن راقصات البالية الروسيات يتوحدن بالموسيقى ويصبحن جزءاً أساسياً فيها. بل إن كل الأشخاص المولعين بمهنهم المتنوعة يصلون إلى درجة من الهوس بالمهنة مهما كان نوعها، ولكن التأثير النهائي ليس واحداً.

لقد تعامل المسلمون مع النتاج الموسيقي الصوفي بأنه تراث غير إسلامي. فعزلوا الموسيقى عن الجسد الإسلامي كله، فاضطرت الصوفية لأن تبتكر فلسفة وفكراً وطقوساً وفنوناً ومجتمعاً خاصاً بها. فاتجهت نحو الفكر الآخر، وأخذت عن اليونان والزرادشتية والمانوية والسومرية وغيرها..

وهناك حجة أخرى يأتي بها رجال الصوفية، يقولون أن الأغنية التي تدعوك لتذكر الأفكار والأحكام الدينية هي أفضل من الأغنية العادية الشائعة التي تذكرك بالشهوات وبالعشق وبالنساء.

إنه بإمكان الشعوب أن تسخّر الموسيقى لأغراض كثيرة. فالحب والعشق ضرورة، ولولا الحب لما اجتمع زوجان في بيت واحد. ومن أغراض الموسيقى والغناء مثلاً: دعوة للحرب والدفاع عن الوطن. دعوة لحب الوطن، دعوة للسلم، دعوة للقتال أو الجهاد، دعوة للفرح والاحتفال. دعوة لتوطيد الإيمان.... الخ. وقد استخدمت الأغنية لكل الأغراض تقريباً حتى لأغراض التفكير العلمي والتعليم المدرسي. ونجحت الأغنية في تحقيق كل الأهداف التي وضعت لأجلها. ويمكننا أن نعتبر هدف الأغنية الدينية واحد من تلك الأهداف الكثيرة. وفي الحالة السليمة فإننا نستثمر الموسيقى لكل الأغراض والأهداف.

إن الأغنية الدينية تلجأ إلى الخدعة، فتصور المغني على أنه شيخ تقي ورع. فتعطي المغني اسماً يوحي بأنه من سلالة عائلة مشايخ،

Telegram: SOMRLIBRARY

وتلبسه زياً عربياً قديماً يوحي بأنه رجل متفرغ للعلم الديني والدعوة (شيخ).

يبدو أن جمهور المتفرجين لا يقبلون المغني إلا إذا استخدم هذه الخدعة. فهناك مغنون وفنانون يمتهنون الغناء أو التمثيل الشائع، اعتدنا أن نراهم مثلاً يصورون أغنياتهم الشعبية على الشواطئ برفقة ممثلات... لكن هؤلاء أنفسهم عندما يؤدون أغنيات (صوفية أو دينية) نراهم يرتدون أزياء قديمة، تسمى شعبياً بالإسلامية، فيتحجبون بعمائم. كل هذا يعني أن الأغنية الصوفية تستخدم بعض أركان العرض المسرحي، وهي هنا اللباس والقناع والديكور والماكياج. فالأغنية الصوفية أو (الدينية) هي من الفنون عموماً، وإن استطاعت أن تمنح المتفرج عواطف أو انفعالات دينية. ويمكننا أن نطبق هذه القاعدة على المبتكرات الفنية الصوفية القديمة أيضاً، حتى على فن الرقص المولوي الذي ابتدعه جلال الدين الرومي.

وإن القواعد الفنية والمهنية التي كان الرومي يلقنها للراقصين، هي نفسها القواعد والعلوم التي يدرسها في عصرنا طلاب معاهد التمثيل.

إن صنع المقطوعة الموسيقية هو عمل إبداعي علمي يتعلق بمقدرة ومهنية تمكّن الفرد من إتقان ذلك العلم. ولذلك فإن أشهر المعزوفات العالمية صنعها خبراء موسيقيون عظماء وليس رجال دين، فلا يمكن لشخص عابر مهما عمق إيمانه بالله أن يبتدع موسيقى تضاهي فاغنر وبيتهوفن. وإن جلال الدين الرومي الذي ابتدع نوعاً جديداً من الرقص الصوفي، كان مبتكراً موسيقياً بالدرجة الأولى أكثر من كونه مؤمناً. فابتكار الموسيقى أمر يتعلق بها وبعلومها. ولا يتعلق بدرجة الإيمان بالعقيدة الدينية.

Telegram: SOMRLIBRARY

وكذلك فإن الأنشودة الدينية الحديثة التي نسمعها اليوم، يؤديها أشخاص يرتدون ملابس بيضاء ويتقلدون عمائم قديمة. يمكننا الحكم عليها من الناحية الفنية، والحكم على هؤلاء كفنانين مسرحيين وكموسيقيين وراقصين فحسب.

يزعم البعض بأن صنع الموسيقى يتعلق بالإيمان، وبحسب علاقة الفرد بالله. لكن هذا الزعم باطل لأنه لم يتمكن أكثر الناس إيماناً بالله من صنع موسيقى رفيعة بواسطة صلتهم الروحية بالذات الإلهية.

إن للروح البشرية صفات وميزات، منها أنها تشارك في عمليات الإبداع والخلق والابتكار، فتشارك في عملية إبداع الموسيقي لمعزوفة ما، وتشارك في عملية الإصغاء للموسيقى، فالموسيقى هي التعبير الفصيح عن بعض ميزات الروح، وهي من «اللغات» التي تستمع لها، وتتأثر بها.

إنه لم يوجد من بين الشعوب والقبائل التي عمرت الأرض من استغنى عن التعبير الموسيقي وصناعة الأنغام، مهما اختلفت مقاماتهم في البداوة وسلّم الحضارة.

وإننا نلاحظ تطلع جميع الطوائف والتشكيلات الاجتماعية على اختلاف مواردها ومصادرها الفكرية والثقافية إلى إبداع لغتها وتعبيرها الموسيقي، وفي عصرنا نجد الموسيقى الدينية والملتزمة، والشعبية، والعصرية، والشبابية، والتقليدية، وغير ذلك.

عبر تاريخها الطويل تمكنت الصوفية الإسلامية من ابتداع طريقة واحدة تتجلى في الرقص الصوفي والدوران والذهول والاتحاد في الذات الإلهية، وهذه الطريقة منتحلة عن موسيقى سبقتها وكانت قد مارستها الشعوب القديمة في مهرجانات دينية. لكن جلال الدين الرومي استطاع أن يؤسلم هذه الطريقة فصاغ قصائد دينية ذات طابع إسلامي. إن تلك الفرق الصوفية لم تتمكن بعد ذلك من تطوير تلك

Telegram: SOMRLIBRARY

الطريقة ولا تحديثها، ولا ابتكار طرق أخرى غيرها. فاستقرت الطريقة نفسها على حالها منذ حوالي ألف سنة وحتى يومنا المعاصر.

صحيح أن بعض الفرق الصوفية ابتدعت أساليب جديدة تتناسب مع معتقداتها. لكن تلك الأساليب ظلت داخل إطار الإبتكار القديم، ولم تستطع أن تطوره. فهناك الفرقة القادرية التي جعلت المهرجان الصوفي مشابهاً للعراضة والاحتفالية الشعبية العامة. فأدخلت آلة الصنج النحاسية والطبول الكبيرة. وأدخلت في الاحتفالية طقوس الأفعال الغريبة منها ضرب الشيش والمبارزة بالسيف.

وهناك فرقة البكتاشية الصوفية التركية التي أدخلت على الاحتفال الديني رقصاً نسائياً، وجعلت الرجال يؤدون العزف ويستمتعون بمشاهدة النساء الراقصات. هذه الطريقة انتقلت إلى القاهرة، فشاركت النساء بالرقص مع الرجال في المهرجانات الصوفية وفي احتفالات الموالد، الأمر الذي أفرز طبقة الراقصات وجعل من الرقص النسائي مهنة مقبولة في مصر.

كان من الطبيعي أن تتطور الصوفية وتستمر في الابتكار طوال القرون الماضية. لكنها ابتدعت رقصة واحدة ذات مرجعية فكرية واحدة وتوقفت عند هذا الحد منذ ألف سنة تقريباً.

لقد بدأت الصوفية طريقها بأن انقطعت عن المرجعية الفقهية الإسلامية. أي أنها فارقت المجتمع الإسلامي عموماً، فأصبحت شبه فرقة دينية تورث موسيقاها وفنونها وفكرها لأتباعها من المتصوفين.

إن تطور علم الموسيقى أسهمت فيه طائفة معتبرة من الفلاسفة، سواء في الحضارتين الفارسية واليونانية أو في الحضارة الإسلامية ومن أبرز هؤلاء أرسطو والكندي والفارابي وغيرهم. ومما يحكى عن الكندي في هذا الباب - وكان حاذقا في الموسيقى- أنه «إن شاء حرك ما يبكي

Telegram: SOMRLIBRARY

أو يضحك أو ينوم» وهذه إشارة إلى الأثر الروحي والنفسي القوي الذي كان يحدثه في المستمع.

وإن ظهور الموسيقى العربية الحديثة في بدايات القرن العشرين، كان امتداداً للموسيقى الصوفية نفسها. فسيد درويش ومحمد عبد الوهاب تخرجا من المدرسة الصوفية الإسلامية. وفي سورية اشتهر المطرب صباح فخري، لكنه كان قد تعلم في مدارس تجويد وتلاوة القرآن. وتتلمذ في مدارس الصوفية. والسيدة أم كلثوم كانت تقرأ القرآن وتنشد الأغاني الصوفية في صغرها، ثم تحولت إلى الغناء.

ثم شهدت الموسيقى العربية عصرين أو مرحلتين، عصر ما قبل عبد الوهاب، وعصر محمد عبد الوهاب. وفي مرحلتها الثانية هذه استطاعت الموسيقى العربية أن تتحرر من الصوفية وقيودها.

موسيقى لأجل التربية والتعليم

يقول أفلاطون: مَنْ حزن فليستمع للأصوات الطيبة فإن النفس إذا حزنت خمد نورها فإذا سمعت ما يطربها اشتعل منها ما خمد.

الموسيقى والغناء هي ألوان من التعبير الإنساني، فقد يتم التعبير فيها عن خلجات القلب المتألم الحزين، وكذلك عن النفس المرتاحة والمسرورة. وفي الموسيقى قد يأتي المرء بشحنة انفعالية فيها ما يكفي من الرموز التعبيرية المتناسقة في مقاطع معزوفة يحس بها مرهف الحس وينفعل ويتفاعل معها سماعياً ووجدانياً وفكرياً.

ويقول أفلاطون بهذا الصدد: «أن هذا العلم لم يضعه الحكماء للتسلية واللهو بل للمنافع الذاتية ولذة الروح والروحانية وبسط النفس وترويض الدم. أما من ليس له دراية بذلك فيعتقد أنه ما وضع إلا للهو واللعب والترغيب في لذة شهوات الدنيا والغرور بما فيها».

Telegram: SOMRLIBRARY

لقد استخدمت الشعوب القديمة، العربية منها وغير العربية، الموسيقى سواء كانت في نغمات أو مقامات أو أغنيات، كوسيلة من وسائل التطبيب والعلاج، ففي زمن يونان القديمة آمنت شعوبها بأهمية الموسيقى في الشفاء من الأمراض، وكان «أبي أقراط» أول من استخدم الموسيقى بين اليونانيين إيمانا منه بقدرتها على تخفيف التعب والإرهاق وتعديل المزاج الحاد وشفاء الأمراض النابعة من الإنهاك العقلي والجسمي. أما الأطباء العرب فقد استخدموا الموسيقى في العلاج ومنهم «أبو بكر الرازي» و«الفارابي» و«ابن سينا» و«أخوان الصفا» و«الكندي». فقد بين أبو بكر الرازي إن للموسيقى آثاراً سحرية تقي من تأجج أزماتهم النفسية. أما الكندي فكان يعتقد إن للألحان الموسيقية آثارها الحسنة على صحة الجسم، إذ أنها تستخدم كمقويات للدم وكمسكنات وكمساعدة على التخلص من عسر الهضم. ويقول الكندي كذلك إن لآلة العود قدرة فائقة على التخلص من الآلام جميعها، ولذلك أدخل الآلات الموسيقية كالدفوف والأعواد لمعالجة مرضاه، وهو من أضاف الوتر الخامس للعود ونفذه عملياً زرياب. أما ابن سينا فله في هذا قوله المأثور: «الغناء أحسن رياضة لحفظ الصحة من العناء». والفارابي الذي بلغ منزلة كبيرة في تضلعه بالموسيقى علماً ومزاولة، وكان يفخر بنفسه بأنه يضرب على العود، وهو الذي أكد على الأثر الايجابي للموسيقى في الحياة المدنية وخاصة عندما تتلبس بقول الشعر. ويذكر إخوان الصفا في رسائلهم عن استعمال الموسيقى في مستشفيات «المجانين» التي وجدت في ذلك العصر، حيث كان يلجأ الأطباء العرب لشفاء «المجانين» إلى استخدام الموسيقى لتخفيف الآلام عن مرضاهم أثناء النوبات، ويؤكد إخوان الصفا كذلك إن الموسيقى تؤدي إلى السكينة الكاملة والطبيعية لدى المرضى بعد الاستماع

Telegram: SOMRLIBRARY

للنغمات الموسيقية. وفي هذا العصر يستخدم البعض من أتباع التصوف الإسلامي موسيقى صوفية في عملية علاج مرضاهم.

وفي عالمنا المعاصر إذ تنهال علينا نتائج الأبحاث العلمية في ميادين التربية وعلم النفس والطب وغيرها من العلوم، وجميعها تؤكد على أهمية الموسيقى والغناء في حياة الإنسان وصحته النفسية والفكرية والعقلية والجسدية.

فالموسيقى والغناء الهادئ يفيد الأفراد الذين يعانون من الأرق وتؤدي فعل المهدئات الطبية، كما تساعد على تنظيم النبض والتنفس والدورة الدموية والحد من التوتر العصبي، وتسهم في تخفيف حالات الاكتئاب والقلق، وتساعد على تخفيف الآلام، كما تساعد الموسيقى والغناء الذي يحبذه الشخص على زيادة إنتاجه في العمل أو الوظيفة التي يمارسها عند سماعه لذلك أثناء العمل وفي ظروف لا تزعج الآخرين، كحمل السماعات في الآذان، كما أكدت الأبحاث أن سماع الموسيقى والغناء من قبل ممارسي رياضة الركض يفيد كثيراً في عدم إحساسهم بالتعب أثناء ممارسة هذا النوع من الرياضة، حيث تساعد الموسيقى على إفراز مادة «الأندروفين» في الدماغ والتي تساعد على عدم الإحساس بالتعب مقارنة بمن لا يستمع إليها أثناء أداءه للتمرينات، كما أبدى المصابون بالسكتة الدماغية والذين تدهورت لديهم القدرة على المشي، مزيداً من التحسن عند تدريبهم وسماعهم لنوع من الإيقاع الموسيقي، وقد أظهرت الأبحاث العلمية أن المرأة الحامل يكون نصيبها في حمل هادئ أكثر من نظيرتها المرأة التي لم تستمع إلى الموسيقى وكذلك أثناء الولادة حيث يكون الألم أقل في فترة المخاض لدى مستمعات الموسيقى.

وتساعد الموسيقى والغناء المسنين والعجزة على تحسين الذاكرة

Telegram: SOMRLIBRARY

واسترجاع المعلومات وحتى بالنسبة للشباب والأطفال. كما أصبح معروفاً أثر الموسيقى على النباتات وانتعاشها وزيادة رونقها، وكذلك أثرها الواضح على «نفسية الحيوان»، مثل اثر النغمات الناعمة والهادئة على البقر في إدرارها اللبن. كماً ونوعاً، وهكذا فإن الموسيقى والغناء يشكلان بيئة مواتية للشفاء والعطاء لكل من الإنسان والحيوان!.

كما عكفت النظم التربوية والتعليمية العالمية والمتطورة على تضمين مناهجها الدراسية بمادة الموسيقى والغناء وإعطاء حقها من المنهج الدراسي، وعدم استلابها لمصلحة المواد الدراسية الأخرى. وقد أكدت النظم التربوية المعاصرة أن هذه المادة الدراسية لها دور أساسي في النمو الجسمي، والعقلي، والانفعالي والاجتماعي، ووفقاً لذلك فإن التربية الموسيقية تؤدي إلى تنمية التوافق الحركي والعضلي في النشاط الجسمي، والى مجموعة من المهارات الحركية، إضافة إلى تدريب الأذن على التمييز بين الأصوات المختلفة، ويتم ذلك من خلال أنشطة موسيقية متعددة كالتذوق الموسيقي والغناء والإيقاع الحركي والعزف على مختلف الآلات، إضافة إلى إسهام الموسيقى في تسهيل تعلم وتلقي المواد الدراسية الأخرى وارتفاع مستوى التحصيل فيها، إلى جانب تأثير الموسيقى في شخصية الطفل وقدرتها على خفض حالة التوتر والقلق فيصبح أكثر توازنا، إضافة إلى أن الموسيقى تستثير في الطفل انفعالات عديدة كالفرح والحزن والشجاعة والقوة والتعاطف وغيرها، وهو ما يسهم في إغناء عالم الطفل بالمشاعر التي تزيد من إحساسه بإنسانيته. كما أن الموسيقى والغناء يعيدان إنتاج التراث الثقافي والفني في ذهنية الأطفال.

Telegram: SOMRLIBRARY

الفصل الثاني

مهرجانات الأكراد

المانويـة

نشأت المانوية في القرن الثالث الميلادي، في مرحلة الآرامية المسيحية. فهي ديانة عراقية انبثقت من أحضان المندائية العراقية، وظلت نشطة حتى العصر الإسلامي، حيث تركت آثارها الواضحة في التصوف العراقي.. ويتفق جميع المؤرخين العرب والأجانب على اعتبار المانوية ديناً آرياً فارسياً.

حافظ العراقيون على ديانتهم البابلية الموروثة القائمة على عبادة الآلهة الممثلة للكواكب وقوى الطبيعة والمنقسمة عموماً إلى ثنائية قوى الخير والنور وقوى الشر والظلام. علماً أن هذه الثنائية البابلية نجدها عند الإيرانيين وديانتهم الزرادشتية، فقد حصل تأثير متبادل بين الشعبين. وكان هناك أيضا تواجد مهم لطوائف يهودية نشطة في أنحاء الرافدين.

فالزرادشتية كانت الدين القومي لجميع الإيرانيين، بينما عائلة (ماني) مثل باقي العراقيين كانت على الديانة البابلية.

ويمكن اعتبار المانوية أساس التصوف أو المؤثر الكبير فيه، فهي دين (غنوصي - عرفاني) متطرف في الزهد والتنسك وتقديس الموت واحتقار

Telegram: SOMRLIBRARY

مادیات الحیاة. ویذکر المؤرخون المسلمون أسماء لا تحصی من المثقفین الذین اتهموا بالزندقة (المانویة) في هذه الفترة. وقد شملت هذه التهمة کتاباً وشعراء مثل: صالح ابن عبد القدوس، بشار بن برد، أبو النواس، أبو العتاهیة، وکانت للمانویة فنون صوفیة کثیرة. منها مهرجانات واحتفالات وطقوس غنائیة، وقد نقلت الصوفیة بعضاً من هذه الفنون.

الکاکائیة وأهل الحق

تتواجد الکاکائیة في کوردستان ویعتقدون باللّٰه استناداً علی أن الألوهیة لا یمکن إدراکها ولا تصلح معرفتها بوجه أو لا یمکن الاطلاع علیها أو الوقوف علی معرفتها. والکاکائیون یؤمنون بوحدة الوجود وأن الکون هو اللّٰه والکل یرجع إلیه ویعود إلی حقیقته.

Telegram: SOMRLIBRARY

يصومون يوماً واحداً ويسمونه يوم (الاستقبال) ثم بعد ذلك يصومون ثلاثة أيام ويدعونها (أيام الصوم)، ويصومون يوماً آخر يسمونه بيوم العيد . ويحتفلون بأعيادهم وسط مهرجانات شعبية يتشارك فيها رجال ونساء وأطفال، وهي مشابهة للمهرجانات الصوفية.

فيجتمعون في يوم العيد من أجل التعارف ولبحث القضايا الدينية والتسامح فيما بينهم ثم يذبحون الذبائح ويقدمون الطعام وتسمى الولائم (نياز). وهي نذور تقدم لله.

ومن أشهر شخصياتهم التاريخية:

الحلاج وشاه إسماعيل وشمس الدين التبريزي وشيخ بابا علي، وهم يزورون أضرحة أكابرهم، ويحتفلون عندها في طقوس ومهرجانات خاصة.

إبراهيم ابن محمد كوره سوار الذي عاصر السلطان اسحق. وفي أشعاره الدينية يقول:

أنا تجسد إبراهيم من البدء
وقد حطمت الأصنام
وأصبحت نبياً
وكاكا يادكار كان تجسداً لإسماعيل
الذي قدم قرباناً للحق.
هو كاكا يادكار
هو السيد أحمد .

احتفالات الأيزيدية

يعتقد أن مؤسس العقيدة الأيزيدية هو الشيخ (عدي بن مسافر) الذي ولد بين سنتي 1073 و1078 في القرية اللبنانية بيت فار (خربة

Telegram: SOMRLIBRARY

قنافار) الواقعة على المنحدر الغربي لوادي البقاع، يصل بنسبه إلى الخليفة الأموي مروان بن الحكم أما والدته فهي يزده.. ويقول باحث أيزيدي:

« .. إن التسمية الأيزيدية مشتقة من الإله (يزدان أو ئيزي).. الإله الآري (الكردي- الإيراني) القديم.. الذي يتجسد ذكرهُ كاسم من أسماء الله الحسنى التي عددها (1001) ألف وواحد اسم..»

ويقع قبر الشيخ عدي في ناحية شيخان، شمال شرق الموصل.. والطائفة الأيزيدية تجلّه وتحج إليه وتتوسله في قبره. وتقدم نذورها هناك أملاً بتحقيق أمانيها. وهذه الزيارة الدينية هي ذات طابع احتفالي صوفي.

إن مجاراة الأيزيدية للمسلمين أدت إلى دخول الكم الأكبر منهم إلى الديانة الإسلامية السمحة، كما وانتشرت بينهم الصوفية والبكتاشية والنقشبندية والسنية. الأمر الذي أدى إلى إدخال عقائد إسلامية كثيرة على عقائد الأيزيدية، فالعديد من أتباع هذه الديانة في المشيخة الأيزيدية لعبوا دوراً بارزاً في عدد من الفتاوى والمحرمات بشكل يتوازى مع العقائد الإسلامية.

كتبهم المقدسة اثنان، وهما مصحف رش وكتاب الجلوة. وعدد صفحات كل كتاب لايتجاوز العشر صفحات.

للطائفة الأيزيدية مهرجانات وأعياد دينية كثيرة، وكل طقوسهم الدينية تقام في احتفالات عامة. وهذه بعض الأدعية ننقلها عن مصادر أيزيدية، ونلاحظ فيها سمات الخطاب الصوفي الواضح:

مدحنا وثناؤنا للملائكة والرجال
والصالحين وسط القبب والمزارات
تراءى النور في الغسق

Telegram: SOMRLIBRARY

ركب فرس العبادة
بان نور الفجر
ليت للشخص الواقف حقاً، مائة مرة
المفاتيح بيد العشاق والمعشوقين
نحنُ نطلب منهم مرادنا
وهم يطلبون بدورهم مرادهم من الله

يا رجال الصباح
الصباح الجديد
يا ملك الشهيد
يا نفس سلطان أيزيد
أحد لحد ما يريد،
أنت الشيخ وأنا المريد
أنا تحت إرادتك
منقذنا سلطان أيزي
يا رجال الصباح،
صباح المعشوقين
أنت صاحب التاج
من الأول إلى الآخر
أعطِ الخير
وأقلِب عنا الشر
حقاً الحمد لله رب العالمين.

Telegram: SOMRLIBRARY

زمان الأربعاء الأحمر عند الأيزيدية

لهذا الزمان مسميات عدة:

زمان/ عيد الأربعاء الأحمر

زمان البدء/رأس السنة الجديدة

زمان الأربعاء النيساني

زمان الباسمبار

زمان البيض الملون

تصادف طقوس التحيين لهذا الزمان، الأربعاء الأول من كل نيسان، فهذا الزمان في الأصل هو عبارة عن ثالوث زماني على ثلاث مستويات:

اليوم/الأربعاء

الشهر/نيسان

والفصل/الربيع

للأربعاء مكانته القدسية الخاصة لدى الأيزيديين، فهو يومٌ قداسويٌ لتحيين هنيهات ملاكهم الأكبر: طاووسي ملك، ومعاصرته، وباعتباره يوماً للروح القدس، الكلية القدرة. يقول النشيد:

«الأربعاءُ يومٌ إلهيٌ

مسكون بلظى الآلام

والعذابات.

إنه جهة الفرح

والسعادة»

وفي وصفه لقداسة يوم الأربعاء يقول الباحث الأيزيدي:

«... إن هذا النشيد الذي يتردد على ألسنة الفتية والفتيات

Telegram: SOMRLIBRARY

الكورد، أيام مناسبات الخطبة والزفاف، يدلُ على المكانة القدسية التي بلغها الأربعاء في وعي الإنسان الكوردي. هذا الإدراك القداسوي بـ جهة الأربعاء لم يقتصر على حدود الميثولوجيا الأيزيدية وحسب، إنما شمل الكورد قاطبةً، وبمختلف جهاته وجغرافياته الدينية، إلى درجة أن أوساطاً واسعةً من الكورد، يكنّون القدسية والإجلال ليوم الأربعاء».

الواجب الديني يفرض على كل أيزيدي التحيين القداسوي لهنيهات وأفعال ملاكهم الأكبر طاووسي ملك. فالأربعاء زمن ليتورجي، يتكوّن من تحيينٍ لحدث:

جرى في ماضٍ ميطيقي، «في البدء»،
وهو زمن مقدس،
قابل للاستعادة
والتكرار
بلا حدود.

وفي دراسة هذا الزمان الليثورجي وقراءته على المستويات الأفقية والعمودية، سيبدو لنا زماناً مشتتاً بين كونين:

كون الإنسان
وكون الآلهة

يرد ذكر الأربعاء في الميثولوجيا الأيزيدية، بأنه يومُ بداية النهاية:

بداية الخلق،
ونهاية العماء الكوني،
بداية النظام
ونهاية الفوضى.

فهو يوم انتهاء الله من عملية الخلق، وإنهائه لحالة الفوضى الكونية، فمن «دعاء الخليقة»:

Telegram: SOMRLIBRARY

«إلهي وضع الهيكل،
في السبت كساه،
وما أن حلَّ الأربعاءُ،
كانت الخليقةُ على أتم حالها»

فالأربعاء هو اليوم الذي أتمّ فيه الآباء الأوائل للبشرية/الآلهة خلقَ العالم، فهو يوم كمال الخلق..» - انتهى النقل عن النص الأيزيدي -»

أربعاء الموتى

الأربعاء هو يوم زيارة الموتى لذويهم الأحياء في الميثولوجيا الأيزيدية. لذا اختير هذا اليوم، كزمانٍ قداسوي لتهيئة العشاء الربّاني وتوزيعه كصَدَقَةٍ على أرواح الموتى الأحياء..

وفي أربعاء السكون والراحة يُحرّم على الأيزيدي دينياً ممارسة أي عمل يخترق به سكون الأربعاء.

وأربعاء طاووسي ملك هو زمان الهبوط الطاووس ملكي، وظهوره على الأرض، كأول مبشر ببدء الحياة في الكينونة. وهو زمان فرح الثالوث الكوسموغوني الأكبر (الكون، الطبيعة، الإنسان). ولذلك تحتفي الأيزيدية بيوم الأربعاء، وفي عيد أربعاء القمح.

يقدس الأيزيديون القمح ومنتجاته، يقول النص: (إن القمح في المنظور الأيزيدي، هو كائن قداسوي، نُفختْ فيه روح الإله الأكبر/طاووسي ملك).

يقول نص أيزيدي: «... من الطقوس الأخرى، والتي تُمارس برجحان قداسوي واضح في عيد طاووسي ملك، هو طقس خبز الخُبيز/الصه وك/الكليجة. يذكرنا هذا الطقس بـ تموز الذي عُرف في صورةٍ من صوره كإله لروح القمح في الميثولوجيا السومرية خاصةً،

Telegram: SOMRLIBRARY

والميثولوجيا الميزوبوتامية على وجه العموم. وسنبلة القمح الأولى التي زرعها (الإنسان)، لم تكن إلا جسد الإله الابن القتيل.

ولقداسة القمح وكينونته الألوهية في الديانة الأيزيدية، نراه يدخل في تركيبة الكثير من الأطعمة الخاصة في الأعياد والطقوس الدينية، كالسماط في غالبية الأعياد، والبيخون في عيد خدر إلياس، والكه شك، والصه وك، في غالبية الأعياد ...» – انتهى النقل عن النص الأيزيدي.

يقول السيد تركي علي ربيعو، في كتابه (العنف والمقدس والجنس في الميثولوجيا): «... للقربان قدسية خاصة في طقوس الأيزيدية، فيكاد لا يخلو زمانٌ من أزمانهم المقدسة من وجوب تقريب القرابين إلى آلهتها، ونراهم يتخذون من القربان حبلاً سرياً للتعلق الروحي مع آلهتهم..»

فالأيزيدي من جهة يشارك الإله الشمسي نشوة انتصاره على الإله القمري، وذلك بذبح رمزه الأقدس/الثور على أعتاب مزار الشيخ شيشمس، ومن جهة أخرى، فهو يبكي الإله القمري تموز/طاووسي ملك، وغيابه الحاضر فيه. وهكذا يصبح القتل (العنف) الجماعي ينبوعاً للازدهار، وشاهداً على أنه لا ولادة بدون العنف، «لنحصدَ النظام/السلم، لنحصد نحن السلم والنظام.. ».

«فالثور باعتباره تجسيداً أرضياً لروح الإله الأكبر طاووسي ملك/تموز الأيزيدي، بقدر ما يشكل إلها تضحوياً في طقوس العنف، هو إله مخلّص أيضاً. إن الجماعية في العنف تظهر على أنها شرط للانتقال من مرحلة العنف التبادلي المدمر والذي يهدد مجتمع الآلهة إلى العنف الطقوسي الخلاّق... » – انتهى النقل عن كتاب لتركي علي الربيعو-.

Telegram: SOMRLIBRARY

مهرجان أربعاء البيض

يقول كاتب أيزيدي: «... يُعد البيضُ من أبرز رموز هذا الزمان/العيد على الإطلاق. فالبيضة بطقوسها، هي الصفر المركز، وكل ماخلا ذلك، يُعد طقوساً طَرَفية، تدور في فلكها. إن الواجب الديني يفرض على الأيزيدي، في هذا العيد/الأربعاء الأحمر، استحضار البيض بقوة، مع حضور لوني قوي، كدلالة على حضور أربعائي قداسوي قوي... فالبيضةُ في مستواها الرمزي، هي اختزال جميل لزمان البدايات. هي تكثيفٌ لقصة الخليقة، حين أراد لها الإنسان/الإله الأول، أن تكون، فكانت. البيضةُ هي روح العالم، وإكسير الحياة/ الحيوات، هي الكمّون الذي تنطلق منه كل عملية خلق...»

«إن طقس التباري والتكاسر الذي يبتدئ بالبيض وبه ينتهي، هو طقس غني وكثيف بدلالاته ورموزه.

إن كسر البيضة، يعني على المستوى الرمزي، المشاركة في فعل الفقس، **وبالتالي المشاركة في فعل الخلق الذي تمّ في الزمن البدئي، بفعل إلهي مقدس.**

التباري على كسر البيض، هو في المحصلة، تبارٍ على القوة الإخصابية والكفاءة في فعل الخلق والتأسيس له.

البيضة هي عبارة عن كون صغير انبثق منه الكون الأكبر.

القشور الناتجة عن فعل المكاسرة/التكاسر، هي قشورٌ لها دلالاتها العمقية في هذا العيد..«من هنا يتضح لنا، سبب كون الشهر الذي يصادف في هذا الزمان، أي نيسان، شهراً محرماً على الأيزيدي/الأيزيدية، بالزواج والزفاف، فهو شهر الاستذكار بالزواج البدئي، زواج الآلهة..»

ففي مطلع السنة البابلية الجديدة/الأكيتو في أوائل نيسان حسب

Telegram: SOMRLIBRARY

التقويم البابلي، كانت طقوس الخصوبة الجنسية تستعاد وبكامل أبّهتها، ففي يوم السنة الجديدة تنام عشتار، بصحبة عشيقها تموز، ويستعيد الملك هذا الزواج المقدس الميثولوجي.. بالإتحاد طقسياً مع الإلهة، أي مع أمه/ كاهنة المعبد التي تمثلها على الأرض في حجرة سرية، حيث سرير زفاف الآلهة. فالإتحاد الإلهي يضمن للأرض خصوبتها، إذ عندما تتحد «ننليل» مع «إنليل» يبدأ انهمار المطر. **هذه الخصوبة عينها، يوفّرها إتحاد الملك الاحتفالي، إتحاد الزوجين فوق الأرض**، فالعالم يعيد ولادة نفسه كلما تمت محاكاة للزواج المقدس، أي كلما تمّ إتحاد الزواج. فالزواج يعيد ولادة السنة، وبالتالي يهب الخصب والوفرة والسعادة.

ولقداسوية شهر نيسان في الأيزيدية، مرجعيته الميثية، حيث يُقال: «نيسان عروس السنة، ولا ترضى بعرائسَ تنافسها في زفافها. إن نيسانَ هو شهر الراحة والتقرّب من الآلهة، شهر الأفعال المقدسة التي قامت، وتقوم، وستقوم بها الآلهة، وهو الشهر الذي يتكرر فيه زمانُ البدايات، حين قامت فيه الآلهة بفعل الخلق الأول، والتأسيس لتاريخها. إنه شهر الاختزال الإلهي والبدايات المقدسة... » – انتهى النقل عن الكاتب هاني بشو–.

زمان الـ جمايي

يُعدّ هذا الزمان بوصفه عيداً من أكبر الأعياد الأيزيدية، في الفترة الواقعة مابين 23ـ 30 أيلول، وهو زمان لطقوس العنف المقدس. زمان الخريف.

هذا الزمان/زمان الجمايي، يُعد زماناً لهبوط هذا الإله إلى باطن الأرض، ساحباً وراءه نصفَ سنة من الحزن والبكاء والذبول.

تُعد طقوس العنف المقدّس، من أبرز وأهم طقوس هذا العيد

Telegram: SOMRLIBRARY

وأبلغها تجسيداً لروح الطقوس التموزية/الدوموزية. كما أنها من أكثر الطقوس حاجة إلى الممارسة في مكان مقدس.

أحد طقوس العنف هذه، والتي يلعب الأيزيديون المحتفون من خلاله لعبتهم المسرحية وأدوارهم القداسوية، هو طقس الكاكوزي: قتل الثور. حيث يُتخذ فيه الثور مركزاً قداسوياً تدور في فلكه كل الممارسات الأخرى... تبدأ اللعبة المسرحية في هذا الطقس، بثلاث عشائر أيزيدية هي: القائدية، الماموسية، والترك. إذ يتم تشكيل جماعات عنف من هذه العشائر، ثم تقوم الجماعةُ بجرّ ثورٍ أو عجلٍ وقع عليه الإختيار لممارسة عنفهم، وذلك وسط جمهور غفير من الأيزيديين القادمين من شتى الأنحاء، وفي جو تسوده الفوضى والإثارة والضجيج، وتفوح منه رائحة ثأر وانتقام قداسوي سيمطر عما قريب. تقوم جماعة «العنف بجرّ ثورها/ضحيتها المقبلة، إلى مزار الشيخ هادي/عدي كمرحلة أولى، ثم يتابعون عنفهم» إلى أن يصلوا مع الثور مزارَ الشيخ شمس/شيشمس (إله الشمس الأيزيدي)، وعلى سدنة هذا المزار، تبدأ بداية النهاية، إذ تتوج الجماعةُ عنفها، بتصفية الثور وذبحه، قرباناً لـ شيشميس.

هنا تحليل أيزيدي جديد لطقوس قتل الثور وتقطيعه وتناول لحمه. يقول الكاتب:

السماط، طبيخٌ يطبخ من القمح ولحم الثور المقتول، كرمز للإله الميت الحي. ثم يتم تناوله من قبل ممارسي العنف، أي المشاركين في طقوس العنف، في جو من الهيبة والقداسة. إن حضور القمح في هذا الطقس، كإله غائبٍ فينا، ليس مجرد حضور عابر. هو حضور يذكرنا بالقفزة الحضارية الكبرى التي حققها الإنسان باكتشافه القمحَ وأكْله الخبزَ.

وبما أن زمان الجمايي بعنف طقوسه، هو زمان لطقوس المراثي

Telegram: SOMRLIBRARY

والعويل والبكاء على الرحيل التموزي/الطاووس ملكي، فإن حضور القمح «القتيل» في جنازة الثور «القتيل» في مساحات استحضار الألوهية تلك، كان حضوراً لابدّ منه. فكلاهما القمح والثور، تجيسدان أرضيان، فيزيقيان لإلوهية تموز/طاووس ملك على المستوى السماوي الميتافيزيقي. وتقول الأنشودة:

«ربما سأموت، أتلاشى وأغيب
أنا عود القمح الطري
ولكن قلبي جوهرة خضراء
لذا سأعود أخضرَ كما كنتُ
ولسوف يولد البطلُ كرةً أخرى».

للأيزيدية أعياد دينية ذات طابع خاص، بعضها يشترك فيها الأيزيديون كافة، وبعضها يقتصر على علماء دينهم فحسب، وبعضها يشارك فيه كل الأكراد. وفي طليعة هذه الأعياد، عيد رأس السنة، حيثُ يسمونهُ بلغتهم الكردية (سَر سالْ) رأس السنة.

ويجب أن يصادف العيد يوم الأربعاء الأول من نيسان الشرقي، نظراً لقداسة يوم الأربعاء عندهم.

ويسمى هذا العيد أيضاً بعيد طاووس ملك وعيد ملك الزمان (إله الولادة أو التجدد) والأربعاء الأحمر.

وللاحتفال يلبس الصبيان والشابات أفخر الثياب في صبيحة عيد رأس السنة، ويتحلون بأنواع الحلي ويبكرون إلى الحقول والجبال، فيقطفون (شقائق النعمان) ويركزونهُ بالطين على أبواب بيوتهم وبعضهم يركزونهُ بقشور البيض الملونة أيضاً.. حيثُ يسلق البيض فيه ويلون.

ويخرج الناس في الصباح الباكر محاولين جمع قطرات الندى المتساقط على الحشائش ويمسحون بها وجوههم علها تعيد شبابهم

Telegram: SOMRLIBRARY

ونضارتهم.. ويذهب الفلاح لنثر قشور البيض المكسور على مزروعاته للتبرك، ثم تبدأ الزيارات تبركاً بقدوم العيد، وتقديم البيض الملون والحلوى كهدية، وفي هذا العيد يتم إعداد الأكل وتقديم الأضاحي والقرابين ويُعمل خبز خاص مغطى بالدهن يُسمى (سَوكْ) يؤخذ قسم منه إلى قبور الموتى ليؤكل هناك ويوزع الباقي على الفقراء والمساكين.. وتقام بهذه المُناسبة في معبد لالش الرقصة الدينية (السما) حيثُ يقومُ بأدائها مجموعة من رجال الدين.. وطقس السما يكون بدوران رجال الدين (حصراً) حول شعلة النار المقدسة على أنغام الضرب على (الدفوف - والشبايب) ويستمر الكل بالدوران حول الشعلة المقدسة ثلاث دورات كانت في الأصل سبع دورات بكل خشوع وبخطوات بطيئة جداً مع رفع اليد اليُمنى على الصدر وتنزيلها في كل خطوة متناسقاً مع المسير، ويكون الدوران عكس عقرب الساعة.. وهنالك سبع أنواع من السما تختلف كلمات كل نوعٍ عن الآخر أما الحركات فهي متشابهة..

نلاحظ أن رقصة السما، هي نفسها الرقص الصوفي المولوي، وهي تعود إلى تراث قديم في منطقة شرق المتوسط. فالصوفية الإسلامية التزمت بهذه الرقصة، وبأهم سمة لها، وهي الدوران مع عقارب الساعة. لكنها حذفت من المشهد النار التي تتوسط حلقة الرقص عند الأيزيدية.

وتحتفل الأيزيدية بشهر نيسان المقدس عندهم، تقول الأنشودة الأيزيدية:

... أتى شهر نيسان
حاملاً معهُ الصخب والضجيج..
لو أفتح باب الخزائن
سأترك الإحدى عشر شهراً ورائي..

Telegram: SOMRLIBRARY

هكذا يتحدث شهر نيسان..
لو أزين ربيعي بالأخضر والأحمر والأبيض والأصفر..
أتحدى جميع الأشهر أن تتجرأ في الحديث معي

كما جاء في نص ديني آخر:

إنهُ في يوم الأربعاء من بداية شهر نيسان..
ينزل (طاووس ملك- إله الخصب) إلى الأرض
وينادي لها بالحيوية والتجدد

كما يحتفلون بعيد خدر الياس. يقول كاتب أيزيدي:

الأكراد المسلمون يسمونهُ (خدرى زه نده) أي خدر الحي الدائم. والمسيحيون واليهود يُسمونهُ النبي إيليا. والأيزيديون يُسمونهُ (خدر_ الياس و(خدر نبي).. أما الهنود المُسلمون فيُسمونهُ (خواجة خضر)

ويُصادف هذا العيد أول خميس من شهر شباط الشرقي بعد صيام ثلاثة أيام (الاثنين، الثلاثاء، الأربعاء)..

يذكر جورج حبيب:

« .. الأيزيدية من أكثر الديانات التي تهتم بشخصية (خدر - الياس) وتُقدرهُ بدرجةٍ عالية جداً.. إذ نرى الكثير من الأيزيدية يحملون إسم خدر ولياس..»

إلا إن هذا العيد يختلف عن بقية الأعياد الأُخرى، حيثُ لا يجوز فيه تقديم الذبائح كقرابين، كما يُحرم فيه السفر أو حتى التجوال خارج القرية.. ويُحرم فيه الصيد.

في هذه المناسبة يتم تحضير أكلة (البيخون).. وهي حلوى تخص هذه المناسبة، وتتكون من خليط حبيبات (حنطة- شعير- حمص- عدس- باقلاء.. الخ) حيثُ يشترط ألا تقل عن سبعة أنواع.. ويتم قليها

Telegram: SOMRLIBRARY

على النار ومن ثُم طحنها للحصول على دقيق البيخون. ويضاف إليه بعض العسل أو الدبس وتصنع منها (كُرات) صغيرة وتوزع كحلوى بهذه المُناسبة.

والأمر الملفت في هذا العيد أنه يُعتبر عيد الحُب وتحقيق الأماني لدى الشباب،.. فحسب الاعتقاد السائد إن الشخص (فتى أم فتاة) إن رأى في منامه أثناء ليلة العيد، أنهُ يشرب الماء في منزلٍ ما فإن نصيبهُ في الزواج سيكون من ذاك المنزل.

كما يحتفلون بعيد مساء العاشقين، حيث يتجمع الشباب من كلا الجنسين في مساء العيد، ويتظاهرون بالفرح والغناء والدبكات الشعبية وسرد الحكايات والنكت حتى وقت متأخر من الليل. وبعد ذلك تقوم الفتيات بعمل نوع من الخبز يسمى (صه وكيت خدلياس) وبمثابة السفيك والدقيق والماء والملح حيث يعجن جيداً (نسبة الملح فيها (¼)) ومن ثم يقطع على شكل أقراص قطرها حوالي (7 سم) والسمك حوالي (1 سم) وتخبز على الصاج.

وبعد ذلك يوزع على كلا الجنسين غير المتزوجين ويتناولونها قبل الرقود في النوم، ومن ثم يتفرقون إلى بيوتهم.

ويعتقد الأيزيديون بأن المرء يعطش في النوم ويبحث عن ماء في الرؤيا ويصادف شخصاً من الجنس الآخر يعطيه ماءً. فإذا كان الشخص معروفا لديه فيتعرف عليه عندما يستيقظ من نومه. وإذا كان من منطقة بعيدة ولم يره من قبل فلا يتعرف عليه ولكن يستطيع وصف الرؤيا.

وفي منطقة ولات شيخ أيضا يعملون (صه وكيت خدلياس) أي أرغفة خدلياس (خضر الياس)، ولكن بشكل آخر حيث يتفننون في صنعه حيث يعملون على شكل قرص الشمس أو العكاز أو الطيور الداجنة أو الحيوانات الأليفة والدمى.

Telegram: SOMRLIBRARY

ويتم تناوله قبل النوم والمتبقي يوزع أثناء العيد. ويعتقد الأيزديون بأن الذي رآه في نومه من الجنس الآخر سيصبح نصيبه في الزواج المستقبلي.

وفي صباح العيد يقوم أفراد العائلة بقص قليل من خصلة شعرهم للتضامن مع خدلياس ويهنئ أفراد العائلة بعضهم البعض ومن ثم الجيران والأقارب وكالعادة يقدمون السفيك والبيخون والحلوى الأخرى للمعيّدين.

أما الشباب فيتبادلون الحديث عن أحلامهم وكشف أسرارها. وهذا العيد يختلف عن بقية الأعياد حيث لا يوجد قرابين وذبائح لاعتقادهم بخلود النبي خدلياس وعدم الحاجة الى تقديم القرابين لثوابه ولكن يتم تقديم السفيك.

وينتهي عيد خدلياس (خضر الياس) يوم الخميس 2/16/ وهم يتناقلون الكثير من الأمثال والحكم المتعلقة بخضر الياس.

الموسيقى الأيزيدية

يبحث الأيزيديون في تاريخ الموسيقى العراقية. وبالطبع فهم يرجعون الموسيقى العراقية كلها على طول التاريخ وحتى يومنا إلى أصول أيزيدية. فيشتغل هذا الباحث ليبرهن على أن الموسيقى السومرية والبابلية هي موسيقى أيزيدية دينية أيضاً. وبالطبع فهو يريد البرهنة على أن الأيزيدية لا علاقة لها البتة بالإسلام ولا بالعرب ولا بتاريخهم. ويلتقي الباحث مع روافد وفروع مسيحية فيقبلها دون نقاش.

ويريد الباحث البرهنة على أن الصوفية الإسلامية هي التي أخذت الموسيقى الدينية عن الأيزيدية. وهو يفتخر بذلك الزعم أيضاً.

Telegram: SOMRLIBRARY

يقول د. صبحي رشيد في كتابه (الموسيقى في العراق القديم):

« .. في بلاد الرافدين التي شهدت مهد الحضارات الأولى بتراثها الإنساني الغني، كانت الموسيقى جزءا هاما من مكونات تلك الحضارة..». « ... دخلت الموسيقى ضمن الميثولوجيا القديمة، كرافد أساسي، في الطقوس والشعائر الدينية ونصب أو تجديد المعابد والآلهة، بالإضافة إلى الشعائر الخاصة بطقوس الموت والانبعاث وكل ما يتعلق بالأفراح والأحزان..». « ... الأيزيديون المعاصرون حافظوا على عاداتهم وطقوسهم المتميزة، التي تتداخل فيها الموسيقى، بل يمكن التأكيد إن العنصر الأهم في الميثولوجيا الأيزيدية هي الموسيقى.

فلا يوجد طقس ديني أو مناسبة أو احتفال لا يتم فيه استخدام الموسيقى من قبل رجال متخصصين لهم منزلتهم الدينية المقدسة.

وتتم المراسيم والشعائر الدينية عند الأيزيدية بمصاحبة فرق خاصة من الموسيقيين يطلق عليهم (القوالون)، وهم رجال دين يتوارثون هذا الدور أباً عن جد، ويتمركزون في مدينتي بعشيقة وبحزاني وبعض قرى الشيخان وباعذرة في شمال الموصل...»

وتقول المراجع العربية: « .. إن كلمة ال (القوال) مشتقه من كلمة ال (قول) العربية، أي أنها صفة لهم، بحكم ترديدهم للأقوال ونصوص الأدب الشفاهي الخاص بالأيزيدية في المناسبات المختلفة، وكذلك التراتيل وأقوال الأرباب والآلهة.. «لكن الأيزيدية المعاصرة ترفض هذا السند اللغوي أيضاً..!. مثلما هي ترفض كل العلاقة بأي مرجعية عربية».

فيقول الباحث الكوردي صبحي رشيد: « .. يمكن تخطئة هذا الرأي بالرجوع إلى العهد السومري، حيث كان لديهم كهنة ورجال دين موسيقيين يؤدون دورهم في المعبد وخارجه يطلق عليهم اسم (كالا .. GALA) وعند الأكديين (كالو KALU)...»

Telegram: SOMRLIBRARY

ويقول المؤرخ الكردي الجديد :

« ... بالنسبة لرجال الدين المنشدين عند الأيزيديه المعاصرين، فالباحث صبحي رشيد يقارنهم مع (الأسلاف) السومريين، ويصل إلى نتيجة مفادها أن الأيزيدية هي الديانة المتطورة عن السومرية ...».

ويذكر بأن الأيزيدية المعاصرة وما قبلها لها قوّالون، وهم شعراء جوالون.

وقد انتشر هؤلاء الشعراء في العالم الإسلامي، بمرافقة الصوفية. وانتشروا أيضاً في جنوب أوروبا في العصور الوسطى، ويسمون بالفرنسية tropadour وهذه الكلمة مشتقة من العربية (طرب دوار).

فالقوالون عند الأيزيدية هم رجال دين متخصصون بإحياء المناسبات الدينية من خلال ترديدهم للأقوال والأناشيد والتراتيل ويتوارثون هذا الدور أباً عن جد، بحفظهم لكل ما يمت بصلة للأدب الشفاهي، وعندهم (الدف والشبّاب المقدسان)، ولهم رئيس يطلق عليه (كبير القوالين) ويعتبر من كبار رجال الدين، تجري استشارته في الشؤون المختلفة للأيزيدية من قبل المير والبابا شيخ.

وفي النصوص المسمارية السومرية معلومات ورسوم تتعلق بالموسيقيين وأصنافهم واختصاصاتهم ومراكزهم الوظيفية، ويستفاد من هذه النصوص، أن معظم الموسيقيين في العهد السومري كانوا من الكهنة ورجال الدين التابعين للمعبد.

وأن صفة كبير القوالين عند الأيزيدية اليوم هي نفسها من حيث الأهمية والدور شكلا ومضمونا مع سابقتها الموسيقي الكبير عند السومريين.

فالقوالون الأيزيديون يدفنون موتاهم على انغام الموسيقى (الدف والشبّاب) التي يعزف عليها القوالون فقط.

Telegram: SOMRLIBRARY

وتؤكد الباحثه (ايفلين كينكل) أنه:

« ... كان الكهنة يعزفون بالآلات الموسيقية الألحان الجنائزية ويتهيؤون لإجراء مراسيم الدفن. ويشترك هؤلاء العازفون بأخذ ثمن اتعابهم من الحنطة أو الخبز وبقايا مخلفات الموتى بما فيها الصوف والملابس، وتضاف إليها الآن عند الأيزيدية الحلوى والنقود .. وعند انتهاء أعياد الأيزيدية في وادي لالش يقوم القوالون من أهالي بعشيقة وبحزاني مع عائلاتهم بإدامة وادي لالش وتنظيفه بعد مغادرة الزائرين له..»

والقوالون لا يمارسون مهمة أداء الشعائر والطقوس الدينية ويجري التعامل معهم شكليا كونهم من القوالين ويسميهم عامة الناس الأيزيدية: بالقوالين.

ويشترك الأيزيديون مع السومريين في جوانب أخرى، حيث كانت مسيرات السومريين لإيصال الآلهة إلى المعبد لا تتم إلا بإشراك رجال الدين والكهنة المنشدين وبعد إتمام طقوس خاصة مقدسة، تقام وليمة كبرى حيث يغني فيها الكهنه.. وهي تشابه اليوم بمسألة نقل السنجق عند الأيزيديين من قرية لأخرى أو من مكان لآخر، حيث لا يتم نقل السنجق أو نصبه في أي مكان جديد إلا بمراسيم موسيقية كبرى يؤديها القوالون من خلال فرقة كبيرة على أنغام الدف والشبّاب، وسط كرنفال جماهيري جميل يحيط به النساء والأطفال والشيوخ من كلا الطرفين، وتُقبّل فيه الآلات الموسيقية المقدسة بملامستها بالأيدي ووضعها على الفم أثناء مرور الموكب الذي يتقدمه القوالون مع بيرق السنجق.

يقوم الأيزيدية بإحياء احتفالات لأربابهم العديدة بالتناوب في أيام محدودة من السنة تبدأ في فصل الربيع بنيسان وتنتهي في حزيران، في المعابد . وتجري هذه الاحتفالات على مراحل حيث يتم أولاً تجديد المعبد

Telegram: SOMRLIBRARY

(تبييضه) وفي اليوم المحدد لإنتهاء التجديد، يجتمع الأيزيديون في باحة المعبد الذي يتوسط الجلوس فيه رجال الدين وبضمنهم القوالين (المنشدين الموسيقيين) والكواجك ومع الأنغام والأقوال الدينية الخاصة بمناسبة ذلك الرب (الخودان) التي يؤديها الكورس تتعالى هلاهل النساء المتميزة وصيحات المتجمعين التي تعكس الفرح والإيمان، وأثناء ذلك يتم تناول الطعام المقدس، حيث تنصب المائدة الكبرى والطويلة على بساط من الصوف، وهي حصيلة موائد آتية من كل البيوت، وكل حسب إمكانياته، التي تحوي صنوف الطعام من اللحم والبرغل والرز والحلويات، ويجري تناول الطعام بعد أن يتلو رجل الدين المكلّف في تلك الأمسية قول (السماط) المبارك، يدعو الجميع للتقدم نحو المائدة المباركة، بعد أن يتناول هو شخصياً أول لقمة وسط تعالي أصوات الهلاهل ونقر الدفوف من قبل القوالين.

وبعدها يعلن الاحتفال الجماهيري الكبير على أنغام شجية وحماسية تصاحبها من جديد هلاهل نسائية عالية ومتواصلة وصرخات الرجال والأطفال الجماعية، ليكون اليوم التالي خاصا لطوافة معبد (الخودان) المذكور، وفي اليوم التالي تستمر الدبكات الراقصة الكبيرة.

ويستمر هذا التقليد متنقلاً من معبد لآخر ومن قريةٍ لأخرى لفترة تدوم أكثر من أربعين يوما تبدأ من نيسان وتنتهي في نهاية حزيران وهو ما يعرف بالطوافات، التي هي مهرجانات جماهيرية موسيقية راقصة، تبدأ بأول طوافة للشيخ مهمد في مدينة بعشيقة وتنتهي في قرية الجراحية بطوافة بير مند.

فالطقوس الأساسية (الجوهرية) تتم من خلال رجال الدين المنشدين (القوالين) أصحاب الآلات الموسيقية المقدسة الدف والشبّاب

Telegram: SOMRLIBRARY

والطقوس الثانية وهي امتداد للأولى وأوسع منها وتأخذ طابعاً جماهيرياً، تكون من خلال احتفالات كبرى يشترك فيها العازفون العاديون من الطبالين وعازفي الزرنه والمزوج.

وقد ورد في نص مسماري من زمن الحاكم (كوديا) الذي حكم بلاد سومر سنة 2100-2080 ق. م. وصف لدور الموسيقى خلال عملية بناء معبد الاله ننجرسون في لكش، وجاء فيه أن كوديا قدم الهدايا للإله المذكور ومن ضمنها الآلة الموسيقية باسم بالاك BALAG. وعند قيام كوديا بسكب الماء في قالب اللبن، عزفت الموسيقى على آلتي (يسم وآلا) وهي نفس الآلتين التي يُعزف عليها في صحن المعبد الأمامي بعد إكمال البناء.

كذلك هناك نصوص تؤكد إن الموسيقى الدينيه كانت تقدم في صحن المعبد حيث كان (كيسال Kisal - وهو صحن المعبد والمكان المهم للموسيقى في عهد سلالة أور الثالثة سنة 2050 - 1950 ق. م.

وكان يتوج الاحتفال في المعبد السومري بإنشاد قصة الخليقة، وهو التقليد نفسه السائد لدى الأيزيدية اليوم، حيث لا يخلو أي احتفال ديني لأي رب من أربابهم هذه، من تلاوة قصة الخليقة حسب المفاهيم الخاصة للأيزيدية.

وضمن سياق الإرث الموسيقي المشترك بين السومريين والأيزيديه، تأتي الشعائر الخاصة بدفن الموتى وفكرة الانبعاث والخلود، والتي تحتل مكانا هاما لدى الأيزيدية في المقدمة تلك الطقوس، حيث تشارك الموسيقى بقسط كبير في عملية الدفن ومراسيم التعزية، تبدأ من لحظة إخراج الميت من داره إلى المقبرة بمصاحبة القوالين الذين يتقدمون النعش وموكب المشيعين، مع ترديد الأقوال المحفوظة على الميت.

Telegram: SOMRLIBRARY

ويستمر العزف يومياً مساءً في دار المتوفى لمدة سبعة أيام متتالية وفي يوم الأربعين وبعد مرور سنة على وفاته وتتخللها نهارا زيارة قبر المتوفى من قبل النساء مع القوالين في أيام الأعياد والمناسبات الدينية وأيام الأربعاء، وعلى القبور تندمج نواحات النساء وضرباتهم على الخدود والصدور مع أنغام العازفين. وتقدم العطايا والحلويات وبعض الأطعمة، وتشارك إحدى النساء في الإنشاد من خلال ذكرها لمناقب المتوفى وعطاءاته.

ويمكن أن نربط وبدون تردد بين هذه الطقوس المتميزة عند الأيزيديه وأسلوب دفن الموتى في العهد السوري القديم.

ويدفن الأيزيدي الفقير من خلال فرقة موسيقية صغيرة مكونة من عازف واحد أو اثنين من العازفين على الدفوف والشباب، ويدفن الغني من خلال فرقة موسيقية أكبر ليصل عددهم إلى 6 أو 8 أو أكثر، وتزداد تبعاً لذلك العطايا والهبات المقدمة لهؤلاء المنشدين من ذوي الميت ويزداد تبعاً لذلك الزمن الذي يجري فيه العزف إكراما للميت تناسبا مع منزلته وعطاءات ذويه. وقد جرت مراعاة هذه المسألة بالذات في عهد اورو كاجينا الذي يعتبر مصلحاً اجتماعياً، حيث أصبحت مكافأة الكاهن المنشد على الفقير نصف كمية الحبوب التي يتسلمها من ذوي الميت الأغنياء.

ويتطلب أداء الموسيقى عند الأيزيديين ضوابط فنية معينه أثناء تأدية الطقوس والشعائر الدينية، وتتواجد فواصل بين الأحاديث والأقوال والتراتيل ضمن ترددات صوتيه منفصلة. وهناك فقرات للموسيقى والعزف منفردة من دون ترديدات صوتيه -كلاميه- وفصول متداخلة بين العزف والأقوال تقدم بحماس وترددات نغمية أعلى، تزيد من حماس الحاضرين الذين يصلون إلى حالة من الاندماج مع الجو

Telegram: SOMRLIBRARY

الموسيقي / الديني، فيتحولون من سامعين إلى مشاركين بهذه الطقوس بالهلاهيل والأصوات المتعالية التي تعكس حالة الاندماج الروحي بين الطرفين (العازفين والجمهور).

وهناك ضوابط تحدد أسلوب الأداء بين أفراد المجموعة المنشدة بشكل يحافظ على توزيع الأدوار الفردية والجماعية بلا خلل حسب مقتضيات الطقس والمناسبة ويتناوب أحياناً شخصان أو فريقان على تأدية هذه الأدوار.. وتحدد المناسبة أسلوب العزف، حيث هناك عزف متميز للموتى والمناحات والأحزان وعزف مختلف للمناسبات الأخرى من أفراح، وتتميز في هذا المجال موسيقى (عيد أيزيد) الذي يعقب فيه ما يطلق عليه ال (محتر) في الساعات الأولى من الفجر ويصادف يوم الجمعة ويكون من خلال صعود القوالين إلى الأسطح العالية وتأدية عزف خاص بالمناسبة قد يشترك معهم من مكان آخر عازف الزرنه الذي يؤدي هو أيضا لحناً خاصاً ومتميزاً بالعيد يسمى (بالميترخانة) وخلال ذلك تتعالى أصوات النساء بالهلاهيل ويقوم الرجال بإطلاق العيارات النارية، لحين انبلاج الصباح حيث يتسابق الجميع لمعايدة الأهل والأقرباء وتتوجه فيه النساء مع القوالين نحو المقابر لزيارة الموتى مع هداياهم لاستكمال طقوس العيد المهمة..

وهناك أيضا موسيقى متميزة بعيد الجماعية في وادي لالش تستمر طيلة أيام العيد يجري خلالها ذبح الثور وفيادته من معبد الشيخ آدي إلى المذبح الكائن بالقرب من معبد الشيخ شمس. تترافق فيه مع العزف إطلاق العيارات النارية من قمة الجبل، بالإضافة إلى الموسيقى المرافقة لنصب تخت ليزيد.

Telegram: SOMRLIBRARY

الفصل الثالث

الموسيقى الدينية عند العرب والمسلمين

بالعودة إلى الألف الأول قبل الميلاد، نجد أن العرب كانوا في ذلك الزمن يعيشون حياة مزدهرة، طبقاً لما وجد من آثار في جنوب شبه الجزيرة العربية، وكذلك حسبما وجد من نقوش بابلية وآشورية في بلاد الشام. عثر على نقش يعود للقرن السابع عشر قبل الميلاد، وهو أحد نقوش بانيبال، حيث يُظهر هذا النقش أن الأسرى العرب لدى الآشوريين كانوا ينشدون إنشاداً جميلاً أثناء أداء أشغالهم، وأن سادتهم كانوا يستزيدون منهم. واتضح أن الموسيقى لدى العرب القدماء كانت ترتبط بالطقوس الدينية والشعر والاشتغال بالسحر مثل غيرهم من الشعوب، وكانت موسيقاهم تؤدى بآلات موسيقية عربية وصل أثرها إلى الحضارات المجاورة، وأهمها سكان بلاد الرافدين والإغريق والعبرانيين، ونجد كذلك أن أسماء بعض الآلات لدى هذه الشعوب مشتق من أسماء عربية، ومثال على ذلك كلمة الطبلة، التي دخلت على العبرية (تيبيلا) وفي لغة أهل بابل وآشور (تابولا).

وإن كثيراً من الآثار التي عثر عليها في مناطق جنوب شبه الجزيرة العربية وشرق المتوسط تثبت أن العرب الذين قطنوا هذه المناطق استخدموا أدوات موسيقية واهتموا بالموسيقى.

Telegram: SOMRLIBRARY

وفي نصوص قصائد جلجامش إشارات كثيرة إلى الموسيقى الدينية. وإلى احتفالات دينية تحوي الرقص والغناء إلى جانب طقوس العبادة وتقديس الآلهات. وفي حضارات اليمن القديمة استخدمت الموسيقى أيضاً في طقوس دينية.

لقد كان لسكان الجزيرة العربية طقوس دينية كسواهم من الأمم، يمارسونها عند أصنام آلهتهم التي اختلفت أقدارها ومراتبها، وقد وجد منها في الكعبة وحولها قبل ظهور الإسلام.

وكان في الطقوس الدينية عند عرب الجاهلية، رقص وغناء وإيقاع ودعاء، يُقدم في إطار حركي له طابعٌ احتفالي جماهيري عام. وكان الرجال يتمتعون بالنظر للرقص النسائي، ويحتسون الخمور في مهرجانات لشكر أصنام الآلهة.

والحج في الجاهلية كان له طقسه الخاص وتقليده في شهر ذو الحجة، وكان يتخلّل الطواف والحج رقص ديني كجزء من الطقس التعبّدي، فيقومون بالرقص والدوران وتقديم الأضاحي للآلهة. وقد وردت في الشعر العربي إشارات إلى تلك الأصنام:

«يا عام لو قدرت عليك رماحنا والراقصات إلى منى فالغبغب»

ومنى من الأصنام المعروفة في الجاهلية، فكانت تدين بها ثلاث عشرة قبيلة، لايكتمل حجها إلا بحلق رؤوسها عند الصنم والإقامة عنده.

ورقص العرب كثيرٌ ومتنوع ومنه رقصة بني دوس التي كانت تُرقص حول صنم (ذي الخلصة)، وكانت تعتبر من أشهر رقصات العصر الجاهلي.

وفي الموروث التاريخي العربي إشارة إلى ما كانت تؤديه النساء من طقوس تعبدية وهنّ عرايا ترتجّ أعجازهن في الدوران حول صنم ذي

Telegram: SOMRLIBRARY

الخلصة، وكان ذلك مرافقاً بالغناء أو الأداء المرنّم للتلبية، ويذكرنا هذا بشكل من أشكال الجوقة اليونانية، وما يتعلق بأعياد الإله ديونيزوس.

وقد ورد في كتاب السماع عند العرب لمجدي العقيلي قوله:

«وكان سيرهم حول نصبهم تارة مشياً، وطوراً تمايلاً»

هذا التنوع في الحركة وما يرافقه من تطور وتغيير في التشكيل والإيقاع، وفي نوعية الانفعال هو رقص فني ومسرحي وانفعالي.

لم يكن الرقص في الجاهلية للاحتفال الديني فحسب، بل كان أهل مكة والحجاز حين يحتفلون في مناسبة، يحضرون أبناء الحبشة للرقص والغناء، وفي مناسبات مثل استقبال كبار الوافدين يقدمون أصنافاً من اللهو حيث يخرج المقلسون بالسيوف والريحان وبالدفوف والغناء. وفي كل مهرجانات عرب الجاهلية كانت تقدم الخمور بكثرة.

وبظهور الإسلام، كان عليه أن يمحو تلك المظاهر القديمة الكثيرة، لذلك جاءت قوانين الإسلام تمنع المرأة من التعري والتبرج، ومن أداء ذلك الرقص، وتحرّم المجون وتلك الحفلات. لكن ذلك المنع لم يكن يقصد منه تحريم الموسيقى والرقص.

إن الموسيقى قبل الإسلام لم تكن أكثر من ترنم ساذج يحمله المغني أو المغنية تبعاً لذوقه أو انفعاله أو ما يريده من تأثير. فكان للعرب أنواع من المعزوفات الدارجة، يكررونها في تلك الحفلات.

انتشرت في العصر الجاهلي آلات ضبط الوزن، وأكثرها انتشاراً الصنوج والجلاجل وآلات الزمر والخلاخيل التي توضع في الأقدام.

الفارابي المتوفى سنة 950 ميلادية يذكر أن الطنبور البغدادي أو الطنبور الميزاني المشهور في عصره كان ذا دساتين توافق دساتين الجاهلية. وكان العود شائعاً جداً، وكان يعرف بأسماء مختلفة مثل المزهر والكران والبربط والموتر.

Telegram: SOMRLIBRARY

ومن أشهر الموسيقيين الجاهليين عدي بن ربيعة، وشاعر بني تغلب. وعلقمة بن عبدة من الشعراء الذين غنوا المعلقات. والأعشى ميمون بن قيس، والنصر بن الحارث، سليل قصي المشهور، كان من شعراء الجاهلية الموسيقيين.

وأشهر المغنيات: جرادتا بني عاد المشهورتان كانتا تسميان تعاد وتماد وكانت هزيلة وعفيرة مغنيتي بني جديس، ومن المحتمل أن أم حاتم الطائي الشاعر المشهور كانت موسيقية. وكانت الخنساء شاعرة الرثاء المشهورة تغني مراثيها بمصاحبة الموسيقى، وكانت بنت عتبة التي تمثل السيدة العربية الجاهلية شاعرة وموسيقية.

اشتهر عرب الجاهلية بفن الغناء والشعر. وإن الشعر الجاهلي بما بلغه من تطور ونضج ينمّ عن مدى تعلق العرب المبكر بهذا الفن الموسيقي، ويدل على أهميته الكبرى عندهم.

وقد اكتشف العرب مبكراً التأثير العصبي والتربوي للموسيقى. فبعض الروايات التي وردت في (الأغاني، وإحياء علوم الدين، والعقد الفريد) تقول إن الجمل يغير خطواته بحسب تغيير الإيقاع والوزن، والغزال يسهل قيادته بالألحان، والحيات تتسحر، والنمل يرتمي في النار، وبعض الطيور تهوي ميتة على صوت الموسيقى، وأن أناساً تأثروا بالصوت الحسن تأثراً شديداً. وثمة روايات قديمة كثيرة تحكي لنا عن هذه المواضيع.

ولقد لعبت الموسيقى دوراً هاماً في أسرار العرافين والسحرة، فكانوا يستدعون الجن بالموسيقى، ومن بقايا هذه المعتقدات تمسكهم فيما بعد بأن الجن يوحون بالأشعار للشعراء، وبالألحان للموسيقيين.

فالعربية تُطلق على صوت الجن «العَزْف» وهو اسم آلة موسيقية خاصة أيضاً وحين يشبّه اليهود «روح القدس» بأصوات القيثارة، كما

Telegram: SOMRLIBRARY

نرى في أناشيد سليمان فإنهم استقوا هذا الرمز البارز من الثقافات الدينية البدائية.

استمر استعمال الموسيقى في عهد الرسول الكريم. ففي يوم الهجرة استقبله أهل المدينة بالغناء والعزف، وأنشدوا في وصفه (طلع البدر علينا) مستخدمين الطبول والدفوف.

ومن التجلّيات الغنائية والموسيقية والمسرحية في صدر الإسلام:

إحياء ذكرى عاشوراء. والحكاية- النياحة والقصص والمرويات التراثية (مثل كليلة ودمنة)- المقامة- الإسراء والمعراج- حلقات الذكر الصّوفية- احتفالات جماهيرية متنوّعة ومنها احتفالات المولد النبوي، والحكواتي أو القصاص الشعبي.

وهناك مظاهر واحتفالات شعبية عامة تتميز عن سواها بأنها ذات طابع جماهيري في المشاركة بالأداء، وهذا ما يقربها بأنواعها من المسرح الشعبي، وهو على نمط قريب من أنماط المسرح الديني الأوروبي في القرون الوسطى وخاصة مسرحيات الأسرار(المسيحية).

لا يوجد خلاف بين الباحثين في بدايات المسرح العربي والإسلامي حول الظواهر المسرحية الكبيرة التي بدت في إحياء الجماهير لمناسبة عاشوراء في معظم البلدان الإسلامية، والتي تُعاد فيها وبأشكال مختلفة إحياء ذكرى آلام الحسين واستشهاده. وتعتبر الأيام العشرة التي تُحيى في كربلاء كل عام، من أكثر الاحتفالات الدينية الإسلامية قرباً من المسرح الجماهيري العام سواء بأساليب تقديمها أو بتأثيرها على الناس.

ويختلف شكل الاحتفال من بلد إلى آخر. فقد كتب جون غلوب، في كتابه إمبراطورية العرب، ما شاهده في كربلاء وقدمه على أنه أشبه بالعرض المسرحي:

Telegram: SOMRLIBRARY

« ... يبدأ في اليوم الأول من شهر محرم من كل عام، وهو تاريخ وصول قافلة الحسين الصغيرة إلى كربلاء، حيث أقامت خيامها محرومة من الماء، عشرة أيام من الصيام والعويل والبكاء، وتتلى قصة الفاجعة المؤلمة على جماهير النائحين والباكين في كل يوم، وفي كل بلدة وقرية ومضرب من مضارب القبائل. وظل الرجال طيلة ثلاثة عشر قرناً يطوفون الشوارع في كل ليلة، وقد نزعوا ملابسهم حتى الخصر يسوّطون أنفسهم بالسياط ويعولون ويبكون الحسين. وتمثل جماعة من الرجال في مخيم صغير صورة جماعة الحسين، بينما يمثل فريق كبير جيش الأمويين، ويؤدي أحد الرجال دور المخزي الذي مثله شمر.

وبعد انتهاء التمثيل يسير الموكب إلى البلدة وقد حمل رأس الحسين، كما سار فيه موكب من الأطفال الصغار، وقد ألقوا بثيابهم على رؤوسهم ليخفوها، يمثلون دور الجثث، وتصوَّر الرؤوس المقطوعة بشكل رؤوس من الخشب وقد طليت باللون الأصفر الشاحب لتبرز صورة الموت. وتكتظ ساحة البلدة بالنساء والأطفال وقد ارتفع البكاء والنحيب من كل مكان، فحتى الشعب المتفرج يؤدي كله دوراً مسرحياً. بينما تسير القافلة في طريقها عبر البلدة، وهذا المنظر العاطفي يثير الشجن والألم، ولا يستطيع المرء أن يراه دون أن تسيل من عينيه الدموع..».

وتعتبر خطبة الجمعة من المظاهر المسرحية الهامة عند المسلمين.

فبالإضافة إلى علوم الخطيب، لابد له من امتلاك مواهب في الأداء وجهورية الصوت واختيار الحركات والانفعالات المناسبة.

لقد أتى الإسلام على تحولات في حياة العرب في الجزيرة العربية، بدءاً من الحجاز مهد الحضارة الإسلامية، ولا سيما التحولات التي طرأت على الموسيقى والفنون. وظل الاجتهاد يحرّم الموسيقى تارة

Telegram: SOMRLIBRARY

ويحللها تارة أخرى، على الرغم من عدم وجود أي برهان على تحريمها في القرآن الكريم. وإن تحريم الموسيقى والغناء ارتبط بتحريم مجالس الشرب واللهو والمجون، التي كانت تؤدى فيها الموسيقى، ولكن من جهة أخرى، نذكر أن الإسلام بتعاليمه الجديدة انتقل بالموسيقى إلى مراحل جديدة أكثر رقياً.

حيث كان الآذان أداء موسيقياً دينياً. وكانت تلاوة القرآن تتطلب أداء موسيقياً رفيعاً. وكانت خطبة الجمعة وقصائد الشعر الإسلامية تحمل سمات موسيقية. وفي المدينة المنورة اختلط العرب بالأسرى الفرس، فبدأ تأثر الموسيقى العربية بالموسيقى الفارسية منذ هذه المرحلة، وانتقلت صناعة الغناء الفارسية إلى العرب، وكان المغني طويس أول وأشهر المغنين الفرس. أما بالنسبة للآلات الموسيقية التي استخدمت في عصر صدر الإسلام، فهي ذاتها تلك الآلات التي كانت مستخدمة في العصر الجاهلي. ومن بلاد الفرس قدم أبو الفرج الأصفهاني ودوّن كتابه الشهير المسمى (الأغاني)، وفيه نقل كل معارف الموسيقى والرقص والفنون الفارسية. ولابد هنا من التنويه بأن الأصفهاني كان يتبع المذهب الشيعي، وبأن المحتفلين بعاشوراء كانوا من الشيعة. ما يعني أن تلك الأنواع من المهرجانات كانت تقتصر على الشيعة والصوفية. ولم تكن مقبولة عند أهل السنة. وكان هذا أحد الأسباب التي جعلت أهل السنة يحاربون ويحرّمون الطقوس الدينية الممزوجة بالموسيقى والفنون.

لقد شهدت الموسيقى في بداية عهد الخلفاء الراشدين (632-661م) هجوماً كبيراً وتحريماً من قبل فقهاء السنة، وبالذات الخليفتين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب، إلى أن عادت تبصر بصيصاً من النور في عهد علي وعثمان اللذين تغيرت في عهدهما مظاهر الحياة

Telegram: SOMRLIBRARY

الاجتماعية عند العرب والمسلمين، وبذلك شجعوا الموسيقى على أنها جزء من الرفاهية.

وعندما انتقلت الخلافة إلى الأمويين، شيّد الأمويون أجمل القصور في عاصمة الخلافة دمشق، وانتقل الغناء من مجرد عمل للرقيق إلى عمل للموالي ذوي المراكز الاجتماعية العالية، الذين دخلوا قصور الخلفاء من أبوابها الواسعة وأجزلت لهم العطايا والمكافآت. كما كان لامتداد الإمبراطورية العربية حتى جبال الهندوس شرقاً والمحيط الأطلسي غرباً أثرٌ في الموسيقى العربية، حيث تأثرت بالنظريات الموسيقية اليونانية وسمات الموسيقى الفارسية. وبقيت هذه الآثار ظاهرة على ألحان الموسيقى العربية إلى يومنا هذا.

ومن أبرز المغنين العرب في العصر الأموي سائب خاثر، ومن النساء عزة الميلاء، وجميلة، وابن مسجح الملقب بأبي الموسيقى العربية القديمة، الذي أدخل تجديدات لحنية ووضع أسساً ونظريات في العزف والغناء والتلحين، حيث سار على نهجه المغنون والموسيقيون من بعده أمثال ابن سريج وابن محرز. ومن الجدير بالذكر أنه وضع في العصر الأموي كتابا «النغم» و«القيان» اللذان مهّد بهما واضعهما يونس لانطلاق حركة فكرية موسيقية فيما بعد.

ومن أشكال الموسيقى التي استقرت عند المسلمين:

الموسيقى الدينية الصوفية - الإنشاد الديني الصوفي - التواشيح - الأغاني الدينية - الابتهالات الدينية - الأدعية - القصائد الدينية - موسيقى الأذان - موسيقى ترتيل القرآن الكريم - الشعر الديني - وأخيراً الموسيقى الدينية الآلية البحتة.

وتظهر الأنغام الموسيقية واضحة جلية في العديد من الطقوس

Telegram: SOMRLIBRARY

التعبدية عند المسلمين، مثل الأذان، وترتيل القرآن، وطرق التمجيد واستقبال وتوديع شهر رمضان، إضافة للأنغام والمقامات التي تصاحب حفلات الذكر بأنواعه، والمولد النبوي والتهليلة وتقدم هذه الحفلات الدينية في مناسبات ذكرى ولادة الرسول، وفي الاحتفال بذكرى الإسراء والمعراج، وليلة القدر، إضافة للمناسبات الاجتماعية الحزينة والمفرحة مثل العودة من الحج، أو إيفاء النذور. وهناك موسيقى تتعلق بأحداث الموت، وعلى هذا فقد أصبحت الموسيقى عند المسلمين ترتبط بالعالم الديني.

وكان من المسلمين من تطرّف بشدة للموسيقى، واعتبرها من شروط تعلم الترتيل والتجويد.

فالملا عثمان الموصلي رفض أن يعلّم بعض الطلاب قراءة القرآن الكريم، إذا لم يجيدوا معرفة غناء المقام العراقي قائلاً لهم: «.. إن قارئ القرآن الذي لا يعرف الأنغام والمقامات كالذي بيته في الصحراء دون بوصلة...».

لقد عرفت أشكال وحالات من التصوف خلال عهد النبي وفي عهد الخلفاء. لكن لم يتسنَّ لها الانطلاق بقوة بسبب محاربة الفقهاء المسلمين لمظاهر التصوف ولأفكار دعاتها.

ثم ارتبط مفهوم التصوف بمدينة بغداد.. إذ أن الانطلاقة القوية للتصوف الإسلامي في القرن السادس الهجري انطلقت من العراق إلى سائر بلاد المشرق. فقبل دخول الإسلام إلى العراق كانت تلك الشعوب تحتفظ بديانات وعقائد كثيرة ذات أصول غنوصية صوفية. والحقيقة أن تلك الشعوب احتفظت بتلك المعتقدات والطقوس الدينية رغم دخولها في الإسلام. فتم مزجها مع العقائد الإسلامية الجديدة. فنشأ فكر التصوف الإسلامي الجديد. الذي استند إلى أفكار صوفية قديمة.

Telegram: SOMRLIBRARY

وقد فتح إقبال البغداديين على الغناء، آفاقا واسعة أمام الشعراء، واخذ بعض أنواع الشعر، ومنه الشعر الشعبي. فكان ظهور الغناء الصوفي ثمرة التفاعل بين التصوف والأجواء الثقافية العراقية. وفي النطاق نفسه انتشرت عندهم القراءة المنغمة للقرآن الكريم.

وتنسجم موسيقى التصوف مع الآداب العامة، فجاءت تحمل الرزانة والبطء والحزن. وظهر عدد كبير من المبدعين من الشعراء والمنشدين والموسيقيين المتصوفين.

وحتى عصرنا الحاضر تغلب على نغمة الآذان في بغداد أنغام المقام العراقي مثل أنغام مقام الحجاز والكرد والعجم.. وكتب الشيخ جلال الحنفي في جامع الخلفاء:

« .. هناك من المصلين ممن يستأنسون ببعض أنغام المقام العراقي، فيطلبونها من المؤذن قبل رفع الآذان بوقت مناسب..»

والتجويد هو فن تلاوة القرآن الكريم أداء ونغماً. فقد امتاز تجويد القرآن الكريم في بغداد خصوصاً باحتوائه الكثير من أنغام المقام العراقي. وتميز عنه التجويد في مصر والشام.

وتظهر في تلاوة القرآن الإقليمية، مثل المغاربية التي يتوضح فيها التقطيع. والمصرية تتميز بالبطء والوتيرة الواحدة، في حين تتميز القراءة العراقية بكثرة الأنغام التي قد تصل إلى ثلاثين نغمة. وحتى اليوم مازالت القراءة العراقية متميزة عن غيرها من القراءات في العالم كله. فالقارئ العراقي يبدو كأنه راوي يقرأ في ملحمة ويمثل أصواتاً عديدة. ويستطيع أن يغيّر نمط القراءة واللحن الصوتي حسب معنى الآية. والحقيقة أن القراءة العراقية لامثيل لها في العالم الإسلامي كله.

وقد اجتهد المسلمون فوضعوا أحكاماً لتجويد القرآن الكريم.

وتتميز صلاة اليوم الأول لعيدي (الفطر والأضحى) بالتكبير

Telegram: SOMRLIBRARY

بنشيد يردده المصلون في الجوامع، منغم على أنغام مقام الجهاركاه. تقول كلماته: (الله أكبر – لا إله إلا الله – الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا)..

ولنفترض اليوم بأن أحد المصلين جلس في المسجد يقول هذه العبارات بدون لحن، فمما لاشك فيه أن جميع الحاضرين سوف يحتجون على تصرفه. وسوف يعتبرونه مخالفاً لقواعد طقوسية ثابتة. لكنها قواعد موسيقية وليست إسلامية!. فهو يخالف إبداعات الموسيقيين ليس إلا.

والتمجيد ظاهرة صوفية، شاعت في المساجد الإسلامية. وهو التغني بألفاظ وتسبيحات ليالي الجمع. ويبدأ التمجيد بقراءة سورة الفاتحة، ثم تتبعه ألفاظ خاصة بالتسبيح وبعض قصائد الفخر والتصوف والرجاء، تقرأ على أنغام مثل (نغمة مقام الأرواح والمخالف والمحمودي والعجم عشيران) ومن المتعارف ختام التمجيد بنغم مقام الصبا.

كما يستقبل المسلمون في العراق خصوصاً شهر رمضان قبل عدة أيام من قدومه ببعض العبارات والأشعار المنغمة على مآذن الجوامع، وتسمى هذه بالتسبيحات. وهي أناشيد دينية تمتدح الرسول غالباً. إذ تتلى الألفاظ على نغم مقام الحكيمي، ويودع في الخمسة أيام الأخيرة من رمضان بقراءة ألفاظ وأشعار مناسبة تصف أهمية الشهر وفضائله، على أنغام مقام السفيان الحزينة. وفي الشام تنشد تسبيحات قبل الأذان في كل يوم جمعة. إضافة إلى تسابيح خاصة في مساء يومي الخميس والاثنين.

والمنقبة النبوية العراقية، يعادلها في الشام ومصر المولد النبوي، هي احتفال ديني يقام في المناسبات الدينية، مثل ليلة القدر والإسراء

Telegram: SOMRLIBRARY

والمعراج والمولد النبوي وهي وعاء واسع للمقامات والأنغام، تضم عشرات الأشغال من تواشيح وتنزيلات تبلغ القمة في الإجادة النغمية.

ويقدم المنقبة النبّوية مجموعة من الرجال (الشيخ والشغالة) يقدمون مجموعة من التنزيلات والمدائح النبوية من الشعر الفصيح والعامي. وموضوعاتها تروي قصص الرسول وتصف خصاله وعلمه وتستعيد بعض أقواله. وأحياناً تتغزل بجماله وتحكي عن قدراته الخارقة. يقول أحد الأشعار (هذا الذي جاء للبحار مالحة، فمج منها فصار الماء كالعسل).

والأذكار هي طقس صوفي إسلامي تؤدى فيه القصائد بصيغة المقام العراقي، تصاحبه قرارات الذكارة أو مجموعة مؤدي الذكر. وتسمى في الشام بالذكر والتذكير.

وتقدم حفلة الذكر في الأضرحة والجوامع والمقامات والبيوت وهناك أنواع من الذكر تختلف باختلاف الطرق الصوفية كالطريقة القادرية والرفاعية، ويمتاز كل ذكر بقراءة مجموعة من المقامات تقرأ حسب نظام الفصل. وتزيد الطريقة القادرية في هذا الاحتفال عزفاً موسيقياً على الطبول والصنج. وإنشاد وتمجيد للشيخ الرفاعي.

والمولد النبوي يتضمن قراءة مجموعة من المقامات تتوزع على فصول، وكل فصل يضم عدداً مختلفاً من المقامات. إضافة لنظم مجموعة من الأشعار تلحّن خصيصاً للمولد، أو تقتبس الألحان من الأغاني المحلية الشائعة، وتقرأ في المولد مجموعة من الأشعار الصوفية. وفي الشام يقرأ الناس أشعاراً من كتيب صغير يسمى (قصة المولد).

وحفلة التهليلة هي حفلة دينية. تنشد فيها التواشيح والتسبيحات من قبل بعض الموسيقيين المتخصصين. وتقرأ في حفلة

Telegram: SOMRLIBRARY

التهليلات مجموعة من المقامات، يرافقها همهمات يؤديها العوام بترديد (لا اله إلا الله) تسمى (الونّه)، تنغم بنغم يناسب المقام المؤدى.

ويستخدم الصوفية العديد من الآلات الموسيقية كالآلات الإيقاعية والهوائية والوترية، وبعض الفرق الصوفية تستخدم الآلات الإيقاعية فقط وهي مجموعة من آلات الدف.

والدف عبارة عن إطار دائري، يرمز عند المتصوفة إلى الدائرة وتعني عندهم الحركة اللانهائية للكون وتثبت على الدف مجموعة من الحلقات المستديرة، كما أن عدد السلاسل المثبتة تتفق مع عدد أسماء الله الحسنى وللدف أهمية كبيرة، فصوته يلهم المبتدئين ويشوقهم لأداء الذكر.. ووسيلة المتصوف للوصول إلى حالة من الوجد وقد يكون أقصى مراتب الوجد الصوفي وفقدان الإحساس بالواقع الخارجي، حتى ينسى المتصوف جسده في حفلة ضرب الجسد على إيقاع الموسيقى. وهناك آلات أخرى مثل النقارة يستخدمها الدراويش الأكراد مثل (البرزنجية والبندنيمي والرفاعي) إذ يتم استخدامها في فصل التوحيد.

مدرسة الموسيقى الأندلسية

يعتبر عهد هارون الرشيد (786- 809 م) عهداً مليئاً بالأمجاد والمحافل في الثقافة والآداب والفن، فقد اجتمعت في بلاطه أعظم المواهب الموسيقية.

حتى القرن التاسع، بقي الغناء النشاطَ الموسيقي الدارج والغالب، إلى أن حمل القرن العاشر الميلادي نهجاً جديداً في الموسيقى العربية مكتسباً من الاختلاط بالفرس والمغول والأتراك، فشاع قالب (النوبة) الموسيقي الذي أتاح المجال للأداء الآلي، ومن بعد ذلك دخول الارتجال

Telegram: SOMRLIBRARY

الموسيقي بصحبة آلات أخرى غير العود، كالقانون الذي كثر استخدامه في سوريا في القرن العاشر، وكذلك الربابة.

فقد وضع العرب حوالي مائتي مصنف في سائر الفنون والعلوم الموسيقية في الفترة ما بين القرن التاسع والثالث عشر، أما قنبلة النهضة الموسيقية فقد تفجرت في الأندلس ما بين القرنين الثامن والخامس عشر، بدخول الإسلام إلى الأندلس عام 713 م وإقامة خلافة أموية منفصلة عن الخلافة العباسية في بغداد تتخذ قرطبة عاصمة لها، فأنشأت في القرن التاسع الميلادي مدارس كان المقصد منها أن تتفوق على مدارس بغداد، وتُوج إنشاء المدارس والمعاهد بإنشاء أول كلية موسيقية في سالامانك. وأصبحت قرطبة بؤرة للثقافة الموسيقية، وصدحت فيها وفي غيرها إبداعات إمام الغناء العربي زرياب الذي تلقن أصول الموسيقى الفارسية والعربية على يد الموسيقار الفذ اسحق الموصلي.

وما إن بدأت تهمد نيران هذه النهضة في القرن الخامس عشر حتى تلقفها الغرب وأعاد إشعالها في أوروبا في أوائل القرن السادس عشر، فانتقل شذا الأساليب الشرقية في الألحان والشعر، وتسربت الإيقاعات المغربية إلى إنشاد شعر التروبادور الفرنسي، وترافق هذا مع انتقال آلات الموسيقى العربية كالعود والقيثارة والطنبور إلى أوروبا.

فبعد انهيار حضارة العرب في الأندلس انتقل عدد كبير من سكانها إلى شمال إفريقيا، وتغلغلت آثار الموسيقى الأندلسية في رحاب موسيقى هذه الشعوب المسلمة، وحل الطرب الأندلسي ذو الطابع الديني والفني كجزء من تراث هذه الشعوب، يمدح ويتغزل ويمازح ويمتزج مع الموعظة المستمدة من الشعر الصوفي العريق. ثم تطعَّم هذا اللون من الفن بتأثيرات شرقية أخرى، فأصبح يعرف في المغرب باسم الآلي، تمييزاً له عن الفن

Telegram: SOMRLIBRARY

الذي يعتمد على أصوات المغنين فقط، ويطلق عليه في الجزائر اسم (الصنعة الجزائرية)، أما في تونس وليبيا فيسمى المألوف.

ازدهار الطرق الصوفية في المغرب

كان المغرب منذ القرن الثاني للهجرة، وعلى امتداد تاريخه في ظل الإسلام، واقعاً تحت تأثير كل من الشرق الإسلامي وبلاد الأندلس، يظهر هذا في أخذه بكثير من الأنظمة والتقاليد الواردة منهما.

وقد كانت الزوايا في مرحلة نشوئها الأولى التي تمتد حتى حلول القرن السادس للهجرة تعرف بدور الكرامة أو دور الضيوف، كما كانت ذات دور ديني وجهادي في آن واحد، إذ تستخدم لإقامة الشعائر الدينية وحماية ثغور البلاد.

على أن التأثر الموماً إليه بلغ شأوه البعيد في العصر الموحدي الذي وجد في الصوفية ما يقيم دعائم التوحيد الذي كان شعار الدولة آنذاك. حتى إذا قامت الدولة المرينية زادت من تنشيط الحركة الصوفية، ووجدت في أبي الحسن الشاذلي تلميذ القطب المولى عبد السلام بن مشيش خير عنصر يذكي هذه الحركة، فأحاطته بالعناية وأمدته بالعون. وإلى جانبه ازدهرت طريقة أبي صالح الدكالي المتوفى سنة 631 هـ، وطريقة أبي زكريا الحاجي الذي ظهر بسلا آخر القرن الثامن. وقد كانت هذه الطرق في مجملها تمثل الصوفية السنية وتشكل أحد التيارات الفكرية في المغرب العربي.

ولم يكن تشجيع السعديين للحركة الصوفية بأقل ممن سبقهم، فلقد نقلوا رفات مؤسس الطريقة الجزولية التي تفرعت من الشاذلية إلى مراكش حيث أقاموا له ضريحاً أصبح محجاً للمتصوفين.

امتدت الصوفية المغربية إلى ما وراء الحدود المغربية، فتأسست

Telegram: SOMRLIBRARY

بمختلف أقاليم الشمال الإفريقي زوايا تقتبس من معين الطرق المغربية كالعيساوية والتيجانية والطيبية بتونس، كما أحدث المغاربة أوراداً خاصة لطرق خارجة عن المغرب مثل القادرية. وظلت الصوفية المغربية نشيطة حتى القرن الثامن للهجرة.

إن الأزجال والموشحات التي وضعها الموسيقي والصوفي الكبير علي بن عبد الله الششتري الذي ظهر في العهد المريني لاقت شيوعاً واسعاً في أقطار الشمال الإفريقي، فلقد تلقاها رجال الصوفية، وراحوا ينشدونها في حلقات الذكر. وما تزال بصماتها اللحنية بارزة حتى اليوم في نوبات المألوف الأربعة عشر التي تنشد بتونس على الطبوع الأندلسية، كما لا تزال بارزة في ألحان همزية الإمام البوصيري.

وهكذا ظهرت للأغنية الصوفية قوالب وأشكال متباينة بتباين الطرق ومناهج غنائها وأنواع رقصها، كما لعبت المدنية دورها في بلورة أسلوب الأداء للأغنية الصوفية، غير أن غناء البدو ظل بالرغم من كل المؤثرات متمسكاً بالبساطة.

وقد سارت الأذكار المغربية في بلدان العالم الإسلامي مسار الأمثال في اللهجات، ناهيك بدلائل الخيرات التي أنشأها محمد بن سليمان الجزولي المراكشي المتوفى عام 870 هـ، فإن هذا المؤلف انتشر في البلاد الإسلامية وغير الإسلامية، حتى قال عنه الحاجي خليفة يواظب بقراءته في المشارق والمغارب، لاسيما في «بلاد الروم» وحتى قال عنه محمد مرتضى الزبيدي «أنه ولعت به الخاصة والعامة وخدموه بشروح وحواش».

كما برزت إلى الوجود في العهد العلوي وقبيل حلوله زوايا أصبحت مراكزاً للتصوف وتلاوة الأحزاب وقراءة الأوراد والذكر. وكان أنشط هذه الزوايا:

Telegram: SOMRLIBRARY

زاوية حي المخفية بفاس وزاوية حي العيون بتطوان، وقد أسسهما معا الشيخ أبو المحاسن يوسف الفاسي المتوفى سنة 1013 هـ، ورتب لمريدهما أوراداً يقرؤونها صباحاً وعشية وبعد الغروب.

زاوية حي القلقليين بفاس التي أسسها عبد الرحمن بن محمد الفاسي المدعو بالعارف، المتوفى سنة 1045 هـ وقد كان المريدون على عهد هذا الأخير يجتمعون للذكر مرتين في اليوم.

زاوية تامكروت بدرعة جنوب المغرب التي أسسها عمر بن أحمد الأنصاري عام 983 هـ.

الزاوية الدلائية التي أسسها في أواخر القرن العاشر أبو بكر بن محمد الدلائي.

وقد تضافرت عوامل شتى مكّنت الموسيقى والغناء من ولوج رحاب التصوف في المغرب كان من بينها:

التأثير الخارجي، من تسرب النظريات والطقوس التي تبثها مدارس التصوف في الأندلس والمشرق الإسلامي.

يقول مؤرخ تطوان محمد داوود: «أما الذكر في الأسواق والرقص والسماع فلم يعرف فيما قبل مولاي العربي الدرقاوي المتوفى عام 1239 هـ الذي من أشياخه السادة الفاسيون. وهذه الطريقة وقع فيها تقليد المشارقة، كما أن أصحاب الشيخ سيدي محمد بن عيسى أخذوا الشطح عن الرفاعية المصرية، ومنها أخذت البيارق والأعلام والطبول والمزامير».

كما تسامح رجال التصوف في عروض السماح واعتبره كثير منهم مما يتوسل به إلى الخالق، ويحلّي به أذكاره وأوراده، ويرفع به عوامل القلق. ويقول المنجور: التصوف هو تخلية القلب عن غير الله، وتحليته بذكر الله.

Telegram: SOMRLIBRARY

تساهل رجال الدين والفقهاء إزاء المتصوفين عند تواجدهم بالرقص والطرب. فقد جاء في شرح الوغليسية أن ما وقع لبعض المساكين من السماع بهذه الآلات محمول على أنهم أصحاب حال وصاحب الحال له حكم المجنون في جميع الحالات، ويسلّم له ولا يقتدى به.

طبعت الزوايا والتكايا المغربية بصفة الشعبية. فلقد كانت هذه المراكز بمنزلة أندية تلتقي فيها الطبقات الشعبية على تباين مستوياتها الثقافية والإقتصادية والإجتماعية، لتردد على صعيد واحد الأوراد والأذكار أو لتستمع إلى المواعظ والترتيلات.

بعد سقوط الأندلس خاصة وفي فترات تلاشي مظاهر الحكم بالمغرب، ندرت مجالس الطرب التي كان الأمراء والخلفاء يعقدون حلقاتها في قصورهم، وكادت محافل الموسيقى أن تنقطع لولا بقية من صوفية كانوا يجتمعون بزواياهم على الذكر والغناء فكانوا حلقة الوصل بين الحاضر والماضي، كما كانوا حماة التراث الموسيقي الأصيل، ومن هنا ندرك الدور الإيجابي الذي لعبته الزوايا الصوفية بالمغرب في الحفاظ على أصول الغناء العربي الإسلامي من الاندثار.

الخصائص الفنية للأغنية الصوفية

للأغنية الصوفية خصائص ومميزات متعددة سواء من حيث نوعية الموضوعات التي تتطرق إليها، أو من حيث اعتمادها على ألحان موسيقية مميزة، هي في الغالب مزيج من الطبوع والمقامات المستعملة في أنماط الموسيقى.

أنها تعتمد من حيث الموضوعات على قصائد منظومة في الذكر لأقطاب الصوفية كابن الفارض والششتري والحراق، وعلى ما نظمه

Telegram: SOMRLIBRARY

أشياخ الطرق ورجالها من أوراد وأحزاب وأدعية. ومثال ذلك دلائل الخيرات للشيخ الجزولي المتوفى عام 870 هـ، والصلاة المشيشية لعبد السلام بن مشيش، وحزب الإبريز للشيخ سيدي محمد بن عيسى، وورد الكتانيين، وأذكار الطريقة الوزانية والتيجانية وغيرها.

لغة هذه الأوراد مزيج من الفصحى والعامية وأخرى بإحدى اللهجات المحلية في كل بلد. منها كتاب «بحر الدموع» للشيخ محمد بن علي الهوزالي، ومنظومة الأصناكي وغيرهما.

يجمع كلام الصوفية بين المنظوم والمنثور، في حين لا تنشد طوائف المستمعين إلا الأشعار المنظومة.

تقدم الأغنية الصوفية على ألحان موسيقية هي في الغالب مزيج من الطبوع والمقامات المستعملة في أنماط الموسيقى.

ففي المغرب نجد أن أغلب هذه الطبوع تلك المستعملة في الموسيقى الأندلسية. وقد أفرد الدلائي خاتمة كتابه لذكر ما هو مستعمل من الطبوع الأندلسية في محافل الذكر عند المتصوفة، وذكر طرائق من بعض الطبوع الأندلسية:

1- طريقة من الحجازي المشرقي
2- طريقة من الأصبهان
3- طريقة من رمل الماية
4- طريقة غريبة الحسين والصيكة
5- طريقة من الحجازي الكبير والحصار
6- طريقة من المشرقي الصغير

ويبلغ عدد طبوع الموسيقى الأندلسية المستخدمة عند أصحاب الذكر - حسب الدلائي - اثنى عشر طبعاً.

Telegram: SOMRLIBRARY

وأغلب ما يكون الذكر جماعياً، وهو ما يرمز إلى التلاحم الروحي الذي يجمع بين أتباع الطريقة.

أما الرقص، فلقد وجدوا فيه خير سبيل إلى استراق القلوب واستلاب الوجدان، وكأنما يريدون من خلال تعاطيهم للشطح تكسير القيود التي تربطهم بالأرض والناس والحياة المادية ليحلّوا في الأجواء الروحانية الصافية. وتتمسك الطرق بالرقص تمسكاً عظيماً لأنها تعتبره أداة فعالة في تحقيق المقاصد الصوفية. ومن ثم فقد غدا يمثل ركناً من أركان الفن الصوفي، إلى جانب الذكر والغناء والموسيقى.

ويروي الحسن اليوسي في المحاضرات:

«إن جماعة قدموا على سيدي محمد الشرقي التادلاوي، فخرج إليهم، وتحرك سماع، فلم يشعروا به إلا وهو وسطهم يتواجد، وليس عليه القميص، فقال بعض الجالسين سراً: هذا رجل خفيف. فإذا هو على الفور تكلم على خواطرهم فقال:

«اللـــه اللـــه يا اللـــه الله الله يـا لطيـف
والحب يهز الرجال لا والله ماني خفيف».

الرقص الصوفي

أهم ما يميز رقص الطرقيين أنه يسير وفق قواعد وتقاليد متوارثة بين رجال الطرق، وأنه يختلف حركة وقوة وحدّة باختلاف الطوائف. فمنه رقص هادئ ليس فيه غير الهز العمودي للجسم، ومنه رقص يعتمد على تحريك قوى الجسم والأطراف، مع الضرب العنيف بالأقدام على الأرض.

ويبلغ الرقص حدته عند بعض الطوائف وخاصة لدى انصرافها إلى التوسل والجذب على مقاطع كلمة المدد التي ترددها على نغمة

Telegram: SOMRLIBRARY

مكررة، وهو في هذه الحال يتحد ويصطخب ويبلغ من العنف درجة قصوى لا يوازيها إلا قوة الأداء الصوتي الذي يكاد يتحول إلى حشرجة مختنقة. وقد تختلط بأصوات سعال وتنخع وتمخط. وقد تصبح أصواتاً منكرة لامعنى لها. وقد تستحوذ على المريد المنهمك في الذكر والرقص حالات من الوجد يفقد معها وعيه بالناس وشعوره بما حوله. أو أنه يتظاهر بذلك.. ويشير ابن خلدون إلى هذه الظاهرة إذ يقول: «إن الجسد إذا رجع عن الحس الظاهر إلى الباطن ضعفت أحوال الحس وقويت أحوال الروح وغلب سلطانه وتجدد نشوؤه». ويذهب ابن خلدون بعد ذلك إلى تعليل هذه الظاهرة فيقول: «وأعان على ذلك الذكر فإنه كالغذاء لتنمية الروح».

وقد أنشد صاحب التشوف البيت التالي:

ولله في الأرواح عند استماعها إلى اللحن سر في الورى غير مظهر

وقد أصبح التوسل بالأوراد والأذكار يشكل إلى جانب المواظبة على الصلاة، دعامة أساسية في تكوين المريد وتربيته تربية روحية.

وإلى جانب الرقص، تسهم الآلات النقرية بدورها في بلورة الخصائص الإيقاعية لأغاني الطرقيين. ويبدو ذلك جلياً من وفرة هذه الآلات التي تصاحب الإنشاد وحركات الرقص، كالطبلة لدى القاسميين، والدف والطاسة عند التهاميين، والطارة عند العيساويين، والهواز لدى الهداوين، والتعريجة وأكوال عند احمادشة، والبندير لدى الجيلاليين.

ولقد كان من نتائج تداول آلات النقر أن أصبحت بعض إيقاعات الأغاني الصوفية بالغة التعقيد والصعوبة، كما بلغت الأوزان من الاكتمال ما جعلها تقوم بذاتها وتستقل بكيانها.

يلجأ مريدو الطريقة الجزولية وما شاكلها من الطوائف التي تترفع عن استعمال الآلات إلى الاعتماد على الألفاظ واعتبارها أساسا

Telegram: SOMRLIBRARY

لتوقيع الألحان، فتمد أو تقصر الكلمات، وتسكّن المتحرك، وتحرك الساكن، بحسب ما يلائم ذلك من الألحان، وهكذا تتحكم الكلمات هي وحدها في النَفَس اللحني، ويكاد ينعدم الميزان بمعناه الموسيقي. وقد أشار إلى هذه الظاهرة السملالي المراكشي صاحب الإعلام في صدد ترجمته للشيخ الجزولي.

وقد انعكست نتائج هذه الظاهرة على الإنتاج الغنائي لهؤلاء المادحين، فجاءت أناشيدهم حرة الأداء، وكانت أدعى إلى التأمل والتدبر فيما احتوته من معاني، في حين انعكس الالتزام بالميازين لدى الطوائف الأخرى على أغانيها، فجاءت صاخبة الإيقاع، وكانت بدورها أدعى إلى التواجد والشرود الفكري، كما كانت حركاتها أقرب إلى الجذب منها إلى الرقص الموقّع.

وبعض الطرق الصوفية التي لا تستخدم الآلات مطلقاً، وإنما تعتمد كلية على الإنشاد الصوتي وفق الأنغام الموسيقية على طريقة المسمعين، كالكتانيين والتيجانيين والشرفاء الصقليين.

وهناك طرق صوفية تعتمد بالدرجة الأولى على الآلات الوترية. وتتشكل من الطرق التي ينتسب رجالها ورواداها في الغالب إلى الأوساط البورجوازية والمحافظة. وتكاد هذه الفئة تلتقي في استخدامها للوتريات مع أجواق الآلة الأندلسية للشبه القائم بينهما. أشار التادلي إلى هذه الطريقة بقوله: «... السادات الصوفية أصحاب مولاي العربي الدرقاوي، ومعهم مولاي عبد الرحمن الفجيجي الذي يضرب العود. ومن خلال تتبع حلقة ذكر تحييها الزاوية الشقورية بالشاون يلاحظ استعمال الكمنجة والعود والرباب مع الاعتماد على الطر والدربكة لضبط الإيقاع. وهي ظاهرة تؤكد النزعة التحررية وسمة التسامح..».

وهناك فرق صوفية تعتمد في مصاحبة إنشادها على آلات النفخ

Telegram: SOMRLIBRARY

والنقر، مثل التهاميين والغازيين والعيساويين واحمادشة وجيلالة، وتنتمي أغلب هذه الطرق إلى أوساط الحرفيين وعامة الشعب.

وهناك فرق صوفية تكاد لا تستعمل سوى آلات النقر كطائفة هداوة في المغرب، وإلى ذلك أشار إبراهيم التادلي إذ قال: إن الهداويين يستعملون الإيقاع الثلاثي، فإن دقهم في أكوال ثلاث مرات يشطحون ويضربون عليه. وهناك الزاوية الحسونية، التي تستخدم من بين آلات النقر ما هو ألصق بألوان الموسيقى الشعبية كالطاسة والطبلة والطبل الكبير والطارة.

ولقد وقفت بعض الطوائف الصوفية من الآلات الموسيقية موقفاً سلبياً، فاستنكفت عن استخدامها في أذكارها، في حين رحّبت بها طرق أخرى ولم تر في استعمالها ما ينقص من قيمة أذكارها. وقد ذهب أصحاب الفئة الثانية في تبرير هذا الاستعمال مذهب التأويل الصوفي.

يقول الشيخ إسماعيل الأنقوري في كتابه «رسالة في دوران الصوفية ورقصهم»:

«.. إن أصحاب الباطن ينظرون إلى حقيقة كل شيء، فيسمعون من كل شيء تسبيح الله وتنزيهه كما قال تعالى: (**وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم**). فالدف والمزامير والقضيب والطبل وأمثالها داخل في الشيئية، فهم يسبّحون الله ويقدسونه، فكيف ينكر أهل الظاهر على أرباب الطريق الذين يسمعون تسبيح الأشياء؟..»

إن استعمال «الملاهي» هو الجد كله عند المتصوفة، كما قال ابن الفارض:

ولاتك باللاهي عن اللهو جملة فلهو الملاهي جد نفس مجدة

لقد نحت الصوفية طريقاً خاصة بها. واستندت إلى آيات من القرآن الكريم، فاعتبرت أن الذكر الذي تحدث عنه القرآن الكريم هو

Telegram: SOMRLIBRARY

هذه الحفلات التي يمارسونها. واعتبروا أن حفلات الرقص والعزف والنقر هي نوع من الذكر، وبالتالي فهي طقوس عبادة. ومن هنا فإن كثيراً من أتباع طرق الصوفية لا يؤدون الصلاة ولا يصومون رمضان، إذ حل الذكر عندهم محل طرق العبادة المتعارف عليها عند غيرهم من المسلمين. والحقيقة أن ولعهم بحفلات الرقص والمسرح والموسيقى جعلهم يستحدثون طقوس عبادة جديدة في الإسلام. وبذلك فقد أخذوا عن ممارسات الأقدمين أتباع الديانات الوثنية طقوس عبادة وثنية. فأدخلوها على الإسلام.

سنتعرف في هذا الكتاب على طقوس اليونان والرومان، وقد كانت مهرجانات لهو وعزف ورقص، تقدم فيها الأضاحي لشكر الآلهة، ويتم تمجيد الآلهة وعبادتها وتكريم أصنامها. حيث يتقدم الشخص من الملكة الآلهة الجالسة على عرشها، فيستأذنها ويركع لها. ويشرب نخبها إن هي رضيت عنه. ونرى في مهرجانات الصوفية أدواراً مسرحية مشابهة لتلك الوثنية، إذ يتقدم المريد أو الدرويش من شيخ الطريقة فيستأذنه، ويقبّل يده، ويتبرك به أو بثوبه، ثم يبدأ بالعزف أو الرقص.

كما أن حفلات الصوفية تتخللها موائد وولائم عارمة، وأحياناً توزع الخمور والحشيش. وهذا نفس ما كان يحدث في مهرجانات تكريم الآلهة عند القدماء.

إن فرض الموسيقى في طقوس دينية إسلامية بديلة عما تعارف المسلمون عليه من طرق عبادة، هو السبب الذي جعل المسلمين عموماً وفقهاؤهم ينفرون من الموسيقى والرقص ويدينون كل الفنون الدخيلة على الإسلام. ولهذه الأسباب تم تجميد الموسيقى والفنون المسرحية عند المسلمين، ولم يتسنَّ لهذه الفنون أن تتطور في العالم الإسلامي.

وقف بعض الفقهاء من ظاهرة العزف الآلي لدى أصحاب الطرق

Telegram: SOMRLIBRARY

موقف المعارضة والتنديد. ولعل أشد هؤلاء الفقهاء العلامة محمد بن المدني كنون المتوفى عام 1302 هـ في كتابه «الزجر والإقماع في النهي عن آلات اللهو والسماع». فقد أفتى بتحريم العزف على آلات الموسيقى، متذرعاً بأقوال بعض فقهاء الإسلام كقول صاحب عوارف المعارف: «خلاف في حرمة الأوتار والمزامير وسائر الآلات». ولم يفرق فيما استعمل للعزف المجرد أو المصحوب بالغناء.

وهناك إنكار الزياني المتوفى عام 1249 م في «الترجمانة الكبرى».

وعمل بعض الفقراء الصوفية الذين كانوا يجتمعون بضريح المولى إدريس فيستعلمون بعض الآلات في أذكارهم كالعود والبندير والطر والبوق والمزامير.

وقبلهما أنكر الونشريسي في «المعيار المعرب» على أصحاب الطرق استعمالهم الآلات عند الاجتماع في ليلة المولد النبوي.

ومثل العلامة كنون اتخذ بعض شعراء مطلع القرن الثالث عشر للهجرة بالمغرب موقف المعارضة من ظاهره العزف الآلي لدى أصحاب الطرق. ومن هؤلاء الشاعر محمد المهدي الحجوي الذي يقول من قصيدة «وقفة على الأطلال»:

ولذا زاوية يدعو لها ... ولهذا نغمات وطبول

ومنهم الشاعر محمد الجزولي من قصيدته «الرباط وختمة شيخ الإسلام»

وإن اذكر يس بقرع طبل ... ومزمار علا ذقا لعينا

وإن الدين من هذا براء ... وإن الله يخزي المدعينا

ومنهم أيضاً محمد الناصري من قصيدته «جيل التصوف»:

أفي القرآن قال الله فيكم ... تغنوا راقصين على الطبول؟

Telegram: SOMRLIBRARY

لقد حولوا مجامعهم إلى مواطن روحية تردد فيها الألحان الشجية والأغاني المرقصة، ولعل ذلك ما قصده اليوسي وهو يتحدث عن المريد الذي يتعاطى السماع إذ قال:

«وقد يكون متمكناً يريد تدريج غيره..» كما جعل بعض الفقهاء من وجوه إباحته «التنازل للمريدين حتى تتفرغ قلوبهم لقبول الحق في قالب الباطل إذ ليس لهم القوة لقبول الحق في وجهه إلا بواسطة من الطبع».

وقيل إن استجلاب النفوس بمساعدة طبعها أهدى لتقريب نفعها. ولقد عبر عن هذه المعاني صاحب «المواهب اللدنية» إذ قال في كلامه عن السماع: «فزبدة السماع تلطيف السر، ومن ثم وضع العارف الكبير سيدي علي الوفوي حزبه المشهور على الألحان والأوزان اللطيفة تنشيطاً لقلوب المريدين، وترويحاً لأسرار السالكين. وقيل «إن للنفس حظاً من الألحان، فإذا قبلت هذه الواردات السَنية من الموارد النبوية المحمدية، بهذه النغمات الفائقة، والأوزان الرائقة، تشربتها العروق، وأخذ كل عضو نصيبه من ذلك المدد المحمدي فأثمر شجرة خطاب الأزل بما سقته من موارد هذه اللطائف..»

الحلقة المغربية

تميز الفن الصوفي المغربي عن غيره من فنون الصوفية في سورية ومصر والعراق. والحلقة المغربية هي أحد الفنون الفرجوية في المغرب، ولازالت راسخة في وجدان الجمهور المغاربي، ولم تنتقل هذه الفنون بشكلها المغربي إلى الشرق. فهي فن مسرحي رفيع المستوى، ويحتاج أداؤه إلى تدريب وامتهان. تتعدد أنشطة الحلايقية حسب تخصص وموهبة كل منهم، فهناك القراد، ومروض الأفاعي، وهناك الحلايقي (الراوي) الذي أصبح سمة في النصوص العربية، والمغاربية.

Telegram: SOMRLIBRARY

والحلقة فضاء لعبي يؤثثه «الحلايقي» وفق أسلوب عمله، من حيث القص، وتشخيص السير الشعبية، وتقطيعها إلى مراحل وحقب، بكلمات وحركات تجعله يعيش من ذاته بطريقة يختلط فيها العجائبي بالواقعي، بحيث يظل مفتوحاً عبر شكله الدائري وفرجاته القائمة على السرد وبلاغة الجسد والموسيقى. يضرب الحلايقي على الدف (البندير أو التعريجة أو الكمان)، وهو يدور حول نقطة مركزية (نواة الحلقة) يصلي على الرسول (ص)، وينادي على الأجواد ورجال البلاد، ويتوسل بالصالحين والخلفاء الراشدين، فيقول:

أنا فعاركم، أنا مزاوك فيكم، قربوا، قربوا تصفاو يا لجواد...

تتجمع الحلقة رويداً، رويداً.. وعندما تكمل الحلقة شكلها النهائي، يفتتح عرضه بالبسملة والصلاة على المصطفى والأنبياء وبالمقدمة المشهورة التي تقول:

كان يا مكان يا سادة يا كرام في قديم الزمان...

فالحلقة تحمل جل خصائص الجوقة اليونانية، يعمد «الحلايقي» إشراكها في العرض، من خلال أسلوب حواري يتكرر في الغالب، (صلوا على الحبيب محمد)

ترد الحلقة: (اللهم صلي عليك يا رسول الله).

أما «الحلايقي» فيتشابه كثيراً والممثل اليوناني، فهو وإن لم يلبس قناعاً محسوساً لأداء أدوار أبطاله فهو يرتدي قناعاً نفسياً فالعيون تخرج من الرؤوس، والخدود تنتفخ، والأيدي ترتفع إلى الأصداغ وترسم أقواساً في الهواء.

والراوي هو هبة الحلقة للفن المسرحي، والوجه الأدبي للحلايقي في النصوص المسرحية، وهو أكثر عمقاً من شخصية الحلايقي، بل نصف تراث العرب.

Telegram: SOMRLIBRARY

والرواية في التراث العربي، هي الشخصية التي كان لها الفضل في نقل العلوم والفنون، والدين الإسلامي. بل بلغ حد الاهتمام بها إلى وضع علوم لدراستها والحكم على روايتها بالقبول أو الرد مثل علم التجريح. فقد استلهم مسرحيونا هذه الشخصية من التراث الإسلامي لكسب ثقة الجمهور، لما تحمله هذه الشخصية من قدسية في الوعي الجمعي لدى المسمين والعرب.

المخطوطات العربية والإسلامية حافلة بعناوين مصنفات الموسيقى والعلوم المرتبطة بها، وقد أسهم في هذا التدوين الفلاسفة والفقهاء والساسة.

فالموسيقى لم تنشأ على خصام مع الدين وأغراضه، بل على العكس كانت وظيفتها تهيئ النفوس والأرواح لاستقبال المعاني والقيم الدينية، وبالتالي فهي من علوم الآلة التي يتوسل بها الدين لتحقيق أغراضه، شأنها في ذلك شأن بعض العلوم والفنون التي تخدم الرسالة الدينية وتيسر نفوذها. والحضارة الإسلامية منظوراً إليها من هذه الزاوية تمدنا بأمثلة بارزة وقوية عن الوظيفة الدينية للموسيقى.

وفي المغرب ألّف الفقيه أبو الربيع سليمان الحوات (ت. 1816م) كتاباً في الموسيقى الأندلسية يعرب فيه عن هذه الوظيفة سماه «كشف القناع عن وجه تأثير الطبوع في الطباع».

فالإنشاد الديني والصوفي الذي ازدهر في بعض مراحل الحضارة الإسلامية كانت وظيفته تهذيبية وأخلاقية وتطهيرية ودعوية، قبل أن تشوبه الانحرافات العقدية، وطقوس البدعة. وشيء من هذا لا زال حاضراً في حياتنا المعاصرة، مشخصاً في النشيد الإسلامي الذي هو تعبير موسيقي يحضِّر الذات لاستقبال المعاني والقيم الدينية أو يكرسها.

Telegram: SOMRLIBRARY

تعتقد الصوفية بأن جمال الصوت أو النغم وما يعبر عنه شيء صادر من عالم علوي يتذكر به السامع ما كان من لقاء الأرواح بالحي القيوم قبل حلولها في الأبدان. وينصبُّ دور السامع على تحويل معاني النغم إلى مقياس لواقع حاله مع الله فإن كان المعنى كتاباً أو قبولاً أو بعداً ووحشة أجرى بها قياس المراجعة لحاله مع ربه لتتيقظ في قلبه سخونة الحض على طلب المزيد من حب الله ورضوانه.

عشق الحجاج للموسيقى

من الولاة الّذين قدّمتهم حكايات ألف ليلة وليلة تقديماً ساخراً، الحجّاج بن يوسف الثّقفي (660-714م)، وفي حكاية نعم ونعمة كشف عن امرأة جميلة اسمها نعم. وكانت زوجة لـ نعمة بن الرّبيع، ولم يكن بالكوفة جارية أحسن ولا أحلى ولا أظرف منها، وقد كبرت وقرأت القرآن والعلوم، وعرفت أنواع العزف واللّعب والآلات، وبرعت في المغنى وآلات الملاهي، حتى أنّها فاقت جميع أهل عصرها.

شاع خبر جمالها وفنونها في الكوفة، فسمع بها الحجّاج، وقرّر أن يحتال عليها ويخطفها، ويقدّمها هديّة للخليفة الأمويّ عبد الملك بن مروان. فأتى بها ونظر إليها، فرآها أجمل أهل زمانها.

فأمر حاجبه أن يأخذ الجارية على نجيب سابق، ويتوجّه بها إلى دمشق، ويسلّمها إلى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان. لكن أمير المؤمنين عاقبه على فعلته.

موالد مصرية

ذكرى المولد النبوي، هي احتفال ديني يبتهج به المسلمون في العالم كله. وتختلف طرق وطقوس الاحتفال من دولة إلى أخرى، ففي بلاد

Telegram: SOMRLIBRARY

الشام يقيم الرجال احتفالاً تمنع النساء من حضوره، وتقيم النساء احتفالاً تحضره النساء فحسب. ويبدو أن مصر تنفرد وحدها بين الدول الإسلامية بالاحتفال في موالد يتشارك بها النساء والرجال. ننقل فيما يلي وصفاً للمولد المشترك عن كاتب مصري:

« ... المولد المصري احتفالية صاخبة، نفوس عارية في احتياجاتها، صريحة في إفشاء أسرار ضعفها وعوزها، تشكو وتبكي وتذكر وتتمايل حتى السكر، تصرخ وتنام في العراء رجالاً ونساء في أمان إنساني، وكأنه مجتمع آخر غير الذي يعاني هواجس الفصل والمنع.

آلاف من الرجال والنساء والشباب والأطفال من ريف مصر نازحون من أعماق التاريخ يحيطون مقابرهم المحفورة في الصحراء وأديرة القديسين والأضرحة المقامة على التلال يقيمون طقوس احتفالهم بعظمائهم الذين يطلون عليهم من العالم الآخر محصنين بالمتون والأوراد ...

على الرصيف تستمع إلى مشاعر الناس وحكاياتهم ورويداً ستدخل إلى أساطيرهم الخاصة وحكاياتهم مع الأولياء الذين يطلبونهم بالاسم ويكلفونهم بمهام، وقصص المرض والشفاء والضيق والفرج.

فالنساء والرجال معاً في كل مكان. على الأرصفة داخل الخيام وفي حلقات الذكر، أسر متجاورة.

أما الوجد الذي يشعر به الذاكرون في السرادقات المقامة حول المسجد وهم يهيمون يتمايلون على إيقاعات الإنشاد فلن تشعر به ما لم تجربه، إنها حالة مدهشة وأنت تشاهد الجموع رجالاً ونساء يتمايلون مع الموسيقى وغناء عن العشق يعبُر من لذة الحواس إلى تسامي الأرواح. وليس كل من يحاول ينجح فهناك من يظلون يتمايلون في آلية وهناك من يصلون إلى حالات هيستيرية من الوجد. شيء لا يصدق فكأنما

Telegram: SOMRLIBRARY

تدخل الموسيقى في المسام لتحيل كثافة الأجساد إلى خفة ولذة على إيقاع نشوة جماعية وفرحة تغسل الآلام وتذيب الهموم.

بينهم رجال متعلمون ومثقفون ويشغلون مراكز مرموقة».

يقول شيخ منهم:

«المولد موائد وعوائد وفوائد .. نحن لا نحظر أي معرفة نحن نقرأ الأناجيل ونقرأ الشيخ ابن عربي ونستشهد بنصر حامد أبو زيد الذي يحاربونه فهم يضعون خطوطاً حمراء للفكر ونحن نحب المعرفة لأنها تؤدي إلى الله. ولذلك تجد الصوفي الحق ضد التطرف فلا توجد كراهية مقدسة...»

ويتابع الشيخ الصوفي فيقول:

« ... شعار الصوفية الحقة: العلم أشرف المقامات والحب أشرف الأحوال».

الحاضرون كانوا يحفظون ويرددون أشعار ابن الفارض ومعظمهم من البسطاء القادمين من أقاصي الصعيد وأنحاء الريف المصري وقد أصابهم الوجد وراحوا يرددون:

«ما نحن إلا كالكتابة في الهواء سطور خيال والحروف ضمائر
شتان بين حقيقة هي مظهري تمحو سواها ومالها مِا يناظر

وهم يهيمون مع الإيقاع والموسيقى الصوفية والشيخ ياسين يعيد مرات:

ذاب الفؤاد بحب من أتصور والوجد حرقني ولم استبصر
شمس الحقيقة أشرقت في هيكلي وبها سجودي مهلل ومكبر
دكت جبالي بشعاع سطوعها فتناثر البنيان تيها ومظهر..»

Telegram: SOMRLIBRARY

آلة الناي في الموسيقى الصوفية

آلة الناى هي أقدم الآلات الموسيقية القديمة والتي ارتبطت بالموسيقى الدينية. فهي من أقدم ما صوره المصري القديم على جدران المعابد المصرية وكذلك ما سجله الإغريقي القديم في جداريات ونقوش آنية الفخار الإغريقية القديمة وأيضا ما سجل في آثار الهند وإفريقيا.

ولقد سجل الفنان المصري القديم منذ آلاف السنين على اللوحات الحائطية في المعابد صوراً للفرق الموسيقية المصرية يظهر فيها الناى باعتباره عنصراً أساسياً في الفرقة الموسيقية مع الصنج والكنارة.

لقد أظهرت حفريات جدران المعابد أن قدماء المصريين كانوا يستخدمون أنواعاً كثيرة ومختلفة من آلات الناي ورغم تعدد أشكالها نجدها كلها كانت في الأصل قصبة مجوفة ثم تغيرت إمكاناتها وأشكالها، ومنها ما تبدلت وظائفها وارتبطت أحياناً بفنون الغناء والإنشاد وتنوعت خبرة الإنسان ومجالات استخدام هذه الآلة.

وتتحد مشاعر الإنسان المصغي لها مع تسبيح الوجود الإنساني ويصفها البعض بأنها قيثارة السماء التي انبعثت من الأرض تحاور في الليالي الصافية صمت النجوم السابحة. وظلت بوجودها الصامت شاهداً على دور الحياة وأصبحت هذه الآلة العاشق، والولهان، فتحولت النسمات إلى آهات والآهات إلى نغمات وإلى تسبيح وتصبح لغة الوجود.

ولقد صاحبت آلة الناي الأداء الغنائي في شكله الديني كما صاحبت التراتيل الصوفية والدراويش وأيضاً غناء المداحين والإنشاد الديني وحلقات الذكر والموالد في جميع المناسبات الدينية على اختلافها.

وتتكون الفرق الموسيقية الصوفية من منشد وعازف الناي

Telegram: SOMRLIBRARY

وعازف المزمار وعازف العفاطة وعازف العود وضابط إيقاع وعازفي الدفوف والمزاهر.

الأذان للصلاة

إنه على الرغم من ارتباط الأذان بالصلاة فإنه لم يرد في القرآن ما يحدد نصه أو طريقة أدائه، وإنما كان المسلمون وهم قلة في بدء الدعوة يدعون إلى الصلاة بالنداء المسموع من قريب. ولعل أول نص للأذان هو ما جاء في طبقات ابن سعد من أن المسلمين كانوا إذا حان وقت الصلاة نادى فيهم بلال بقوله: الصلاة جامعة.

روى عبد الله بن عمر: «كان المسلمون حين قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة ليس ينادى لها، فتكلموا يوماً في ذلك فقال بعضهم: اتخذوا ناقوساً مثل ناقوس النصارى. وقال بعضهم: بل بوقاً مثل قرن اليهود. فقال عمر: أولا تبعثون رجلاً ينادى بالصلاة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بلال قم فناد بالصلاة».

وهكذا رفض المسلمون استعمال الناقوس والبوق، ولم يكن هذا الرفض نابعاً عن استنكاف من تقليد النصارى واليهود فحسب، ولكنه أيضاً كان نابعاً من اطمئنانهم إلى استعمال الصوت البشري كوسيلة لتبليغ الأذان إلى الناس، وهو اختيار يؤكد اعتماد الديانة الإسلامية على الوسائل الفطرية في بث تعاليمها ونشر عقائدها، كما يؤكد مدى ارتياح العرب إلى الصوت البشري كأداة موسيقية ولمكانته من بين آلات العزف والنقر باعتباره ألصق بالإنسان وأقدر على نقل المشاعر الدينية الصادقة. ولعل ذلك ما أثار دهشة يهود المدينة الذين ذكر المفسرون أنهم قالوا عندما سمعوا الأذان: لقد أبدعت يا محمد شيئاً لم يكن فيما مضى.

Telegram: SOMRLIBRARY

ولعل اختيار الصوت البشري لا يعني استتكاراً للموسيقى وللآلات الموسيقية. فالخيار هنا يرتبط فقط بالأذان.

ثم تسربت إلى الصوامع تقاليد دخيلة شرقية وأندلسية وأخرى أملتها ظروف سياسية طارئة. فمن هذه الأخيرة ما أحدثه المهدي بن تومرت من الأمر بالنداء للصلاة باللسان البربري بعد النداء لها باللسان العربي، ولاسيما في بعض مناطق المغرب. وقد ذهب صاحب الحلل الموشية في تبرير صنيع ابن تومرت بأنه يدخل في نطاق تعبئته للجماهير الشعبية ضد المرابطين إذ كان «ينقل به إليهم المواعظ والأمثال، ويضرب لهم المقاصد، فجذب نفوسهم واستجلب قلوبهم، وسهل عليهم التعليم بنفسه وبأعيان أصحابه».

وقد تولى المأمون الموحدي إلغاء هذه العادة بعد أن خفّت وطأة المهدوية بالمغرب. وبالاستفادة من القصة السابقة التي أمر فيها رسول الله بأن يؤذن إلى الصلاة بصوت بشري، نكتشف أن الهدف من الأذان هو الإعلام والإعلان. فالأذان بحد ذاته ليس نصاً مقدساً، ولا هو نص ثابت مقرر. فيمكن التصرف بطريقة الأذان وترجمته إلى لغات أهل كل بلد. ويمكن قبول ما اجتهد به المهدي بن تومرت.

كما أحدث المهدي النداء في الفجر بعبارة «أصبح ولله الحمد». وقد عرف العهد الوطاسي عادة إنشاد الأشعار وتلاوة الأذكار فوق الصوامع قبل أذان الفجر وفي ليالي رمضان، وهي زيادات غنائية أنكرها القاضي أحمد الونشريسي في المعيار فقال: «ومنها إنشاد الشعر أو غيره في الصوامع، فإنه من البدع التابعة لبدع، لأن الأصل الأذان وحده، ثم اتبع الأذكار لقصد الإيقاظ، ثم اتبع الغناء والسماع. وهذا كله من الإحداث والبدع». ولم يقف الأمر عند حد إنشاد الأهازيج والأذكار على الصوامع بالمغرب، بل تسرب إليها منذ العهد المريني تقليد جديد، وهو النفخ في النفير والبوق.

Telegram: SOMRLIBRARY

ويبدو أن أهل الأندلس كانوا أسبق إلى استعمال البوق والنفير في هذه الأغراض، وكان المغاربة «حسب الوزاني في نوازله الكبرى» يعلنون عن أوقات الصلوات الخمس برفع العلم نهاراً والفنار ليلاً فوق الصوامع، فلما استقبلوا مهاجري الأندلس أخذوا عنهم استعمالها بالمساجد. وإلى هذا أشار الونشريسي بقوله: «وهذا البوق صار عَلَماً في بلاد الأندلس في رمضان على غروب الشمس ودخول وقت الإفطار، ثم جُعل عَلَماً أيضا بالمغرب الأوسط والأقصى على وقت السحور ابتداء وانتهاء».

وقد انتهى الجدل في شأن البوقات إلى حلٍ وسط يوفق بين المنع والإجازة، وهو إحداث أبراج خاصة في جوار المساجد يعتليها النفارون والبواقون ليعلنوا عن ظهور هلال رمضان وهلال العيد وينبهوا الصائمين في هجيع الليل. وفي دمشق ومصر عُرف مدفع رمضان، حيث تطلق قذائف مدفع يمكن سماعها في كل المدينة، فتعلن عن بداية شهر رمضان، وموعد أذان الفجر، وموعد أذان المغرب، وموعد حلول عيد الفطر.

لقد أجمع أئمة الإسلام على الاحتراس من الإخلال بنطق الكلمات ومخارج الحروف في الأذان، ولكنهم اختلفوا في جواز تلحينه وترجيعه. على أن إسناد الأذان إلى ذوي الأصوات الحسنة كان مطمح المسلمين منذ عهد مبكر.

فقد جاء في كتاب «الإقناع» عند ذكر آداب الأذان أنه «يسنّ أن يكون المؤذن صيّتا أي رفيع الصوت لأنه أبلغ في الإعلام، حسن الصوت لأنه أرق لسامعه، مرتلاً لألفاظ الأذان»

يقول المراكشي في المعجب: إنه إذا استقام الخطيب فوق المنبر أذن ثلاثة من المؤذنين مفترقين، أصواتهم في نهاية الحُسْن، قد انتُخبوا لذلك من البلدان.

Telegram: SOMRLIBRARY

كما عرفت طرائق الأذان تدرجاً من الأداء البسيط نحو الإلقاء الغنائي الذي يغلب عليه الترنم والتطريب، حتى أصبحت للأذان طرائق متنوعة يشكل كل منها قالباً غنائياً له طابعه وخاصياته. وما من شك في أن هذه الطرائق كانت على اختلاف نماذجها تستمد مميزاتها من طبيعة الأصناف الموسيقية السائدة في البلاد. وفي مقدمتها الموسيقى الأندلسية.

أهم الخصائص الفنية التي تميز الأذان المغربي التقليدي:

يعتمد الأذان في الغالب على لحن بسيط التركيب، تنعدم فيه الزخارف والانعراجات إلا ما كان نادراً، ويلاحظ أن نغمة البداية التي تتكئ على الهمزة من اسم الجلالة تنطلق من نغمة منخفضة، ومنها يقفز الصوت إلى درجة أعلى يغلب أن لا يتجاوز بعدها الموسيقى مسافة الرابعة. وتتوالى فقرات الأذان عبر لحن موسيقي بسيط لا تتجاوز نغماته نطاق بعد ثلاثي يصعب أحياناً تحديد مقامه.

وقد ظهرت العادة في إقامة الجمع أن يعلن الأذان ثلاثة مؤذنين بالتتالي.

ينفرد المغرب من بين دول العالم الإسلامي بظاهرة التناوب في أذان صلاة الجمعة يضطلع بالأذان في سائر البلاد الإسلامية مؤذن واحد يؤديه منفرداً، ولا يشذ عن ذلك إلا «الأذان السلطاني» الذي عرفته بعض بلاد الشرق العربي ودمشق خصوصاً، وهو أذان يؤديه جماعة من المؤذنين في وقت واحد.

وفيما كان المغرب حتى أوائل القرن العشرين ما يزال متشبثا بالطريقة التقليدية في الأذان تحت تأثير تمسكه بمذهب المالكية، وفيما كان يحافظ على أصالة طريقة أدائه، مستفيداً من طبيعة الموسيقى

Telegram: SOMRLIBRARY

المغربية بجميع أصنافها، تعرض الأذان في أقطار المغرب العربي الأخرى لموجات من تأثير الموسيقى التركية التي دخلتها مع الحكم العثماني، فأشاعت فيه طرائق غنائية يغلب عليها التلحين والترنّم، وتسرب إلى ألحانه ربع النغمة وثلاثة أرباعها، وبذلك أصبح يشكل مزيجاً من الأسلوبين المغربي والمشرقي.

على أن المغرب ما فتئ بدوره أن وقع تحت التأثير الشرقي منذ العشرينات من القرن السابق للأسباب نفسها التي أدت إلى شيوع أسلوب التجويد المشرقي، فأصبحنا نسمع أصواتاً ترتفع بالأذان الغنائي المتموج الألحان على مقدمات عربية شرقية كمقام الحجاز.

وقد اختلف المسلمون على تحديد نص الأذان، فالشيعة في العراق وإيران يضيفون عبارة (أشهد أن علياً ولي الله)، وعبارة ثانية تقول (حيّ على خير العمل). وبما أنه لم ينزل في القرآن الكريم نص ثابت موحد للأذان، فهذا يعني أن الإسلام قد أراد من الأذان دعوة المسلمين إلى الصلاة.

ترتيل القرآن الكريم

إن شيوع أنماط التلاوة القرآنية المغربية والتي تحدد معالم أسلوب التجويد المغربي لم يحل دون تسرب أسلوب التلاوة الشرقية إلى المغرب، فلقد كان لتوافد قراء المشرق على المغرب في مختلف عصوره، وكذا إعجاب الحجاج المغاربة بهذا الأسلوب عند مرورهم بتونس والقاهرة وبيت المقدس وبغداد ومكة المكرمة ما يسّر له طريق العبور، وهيأ النفوس لتقبله.

اصطلح على تسميته التجويد، ومعناه لغة التحسين.

«وهو عندهم عبارة عن الإتيان بالقراءة مجودة الألفاظ بريئة من

Telegram: SOMRLIBRARY

الـرداءة في النطـق... وهـو حليـة الـتلاوة وزينـة القـراءة، وهـو إعطـاء الحـروف حقوقهـا وترتيـب مراتبـها ورد الحـرف إلى مخرجـه وأصـله وإلحاقه بنظيره وتصحيح لفظه وتلطيف النطق به على صيغته وكمال هيئته، من غير إسراف ولا تعسف ولا إفراط ولا تكلف».

وقد ناقش فقهاء وعلماء الإسلام هذه الكلمات، فكان منهم من أخذها على سجيتها دون أن يجردها من مضامينها الغنائية الموسيقية وعلى رأس هؤلاء ابن القيم الجوزية الذي يرى «إن الترنم لا يكون إلا بالصوت إذا حسَّنه المترنم وطرب به»، وهو في دفاعه عن رأيه يردد مع الذين يقولون: «إن التطريب بقراءة القرآن أوقع في النفوس، وأدعى إلى الاستماع والإصغاء إليه... وهو بمنزلة الحلاوة.. وبمنزلة الأفاويه والطيب.. وأنه لابد للنفس من طرب واشتياق إلى الغناء، فعوضت عن طرب الغناء بطرب القرآن..»

ويجارى هذا المعنى ما ذهب إليه القسطلاني - وهو أحد أئمة الشافعية- الذي يعتبر التنغيم وسيلة من وسائل تحسين القراءة وتعويض النقص عند من لم يؤت صوتاً حسناً حيث يقول في «إرشاد الساري»: «إن لم يكن القارئ حسن الصوت فليحسِّنه ما استطاع. ومن جملة تحسينه أن يراعي فيه قوانين النغم. فإن الصوت الحسن يزداد حسناً بذلك...»

وفيما استقر مصطلح «التجويد» على ما يفيد العلم الذي يضبط قواعد تلاوة القرآن الكريم، فقد ارتبط مصطلح «الترتيل» بالموسيقى كظاهرة تقوم على تنقل الصوت البشري في مراتب النغم وعبر درجاته وفق أساليب متناسقة خالية من الوزن الذي يحدد الإيقاع.

وقد عرض أبو عبد الله محمد القرطبي في كتابه «الجامع لأحكام القرآن» لمسألة قراءة القرآن بالألحان، واستعرض وجوه الرأي في تأويل

Telegram: SOMRLIBRARY

معنى كلمة «التغني». التي تنسب إلى رسول الله في قوله: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»، ليخلص إلى القول بأن هذه الكلمة لا تحمل مفاهيم موسيقية بحتة، ومن ثم فهي لا تعني إطلاقا الترخيص بتلحين القرآن والتطريب به، لأن ذلك من قبيل «لحون أهل الفسق» وترجيع النصارى، ونوح الرهبانية.

وعلى غرار القرطبي عارض آخرون أن يكون التجويد على صورة الأصوات والألحان وأنكروا التغني بالقرآن، وعدّوه بدعة محدثة، ومن هؤلاء أنس بن مالك، وسعيد بن المسيب، والحسن البصري، ومالك بن أنس.

فقد أجمع القوم منذ السنوات الأولى من نزول الوحي على التحري في القراءة، وذلك بتجنب الإفراط في التلحين والتطريب والحيطة من أن يخرج اللحن بالقرآن عن حده. وشيئاً فشيئاً بدأ الناس يتواضعون على قوانين يحكمون بها ترتيل القرآن الكريم، فتحصّل لهم من ذلك علم قائم بذاته يعرف بـ: «علم القراءات»، وهو «علم يعرف به كيفية أداء كلمات القرآن واختلافها».

وينظر هذا العلم في «الكلمات القرآنية من حيث أحوالها فيه كالمد والقصر».

وقد توثق الاتصال بين علم التجويد وعلم القراءات. فقد زخر هذا العلم بمصطلحات خاصة، استمد بعضها من قاموس المصطلحات الموسيقية بعد أن جردها من مفاهيمها الأولى واستبدلها بمفاهيم جديدة، واستُحدث أكثرُها على غرار ما فعله الخليل في وضعه لمصطلحات علم العروض. وقد أصبحت بعض مصطلحات التجويد من الدقة والشمول بحيث أنها تدل على مجمل معالم أسلوب الترتيل المستحب، ومثال ذلك الحدر والتدوير والتحقيق.

Telegram: SOMRLIBRARY

عندما انتشر الإسلام في ربوع الجزيرة العربية ركدت صنوف الغناء الجاهلي من نُصب وحداء وهزج وسناد ونوح ورمل، وأصابها ما أصاب كثيراً من أغراض الشعر العربي نفسه. وقد انشغل الناس عن كل ذلك بالقرآن، فأقبلوا على القرآن يقرؤونه مجرداً عن الأنغام أحياناً، أو يرتلونه ترتيلاً مصحوباً بالألحان أحياناً أخرى، فكثر حفّاظه وقراؤه ومرتلوه. وهكذا بدأ الغناء العربي الإسلامي بالتجويد الذي كان يعتمد في الدرجة الأولى على حسن الصوت وفخامته دون اكتراث بالموسيقى العربية الإسلامية، كما نستطيع أن ندرك سر تعلق المستمع العربي حتى في عصرنا الحاضر بصوت المغني ونبراته أكثر من تعلقه بالألحان التي يترنم بها.

يقول ابن خلدون في حديثه عن صناعة الغناء: «ليس المراد تلحين الموسيقى الصناعي إذ صناعة الغناء مباينة للقرآن بكل وجه... فلا يمكن اجتماع التلحين والأداء المعبر في القرآن بوجه، وإنما مرادهم التلحين البسيط الذي يهتدي إليه صاحب المضمار بطبعه كما قد مناه، فيردد أصواته ترديداً على نسق يدركها العالم بالغناء وغيره...».

وشبيه بهذا القول ما ذكره التادلي في كتابه أغاني السقا إذ قال: «أما قراءة القرآن بالتلحين، وهو تطريب الصوت بالأنغام... فإن لم يخرجه عن حد القرآن كره على المشهور من مذهب الجمهور لأن المقصود من القراءة التدبر. وتقطيع الصوت بالأنغام يناني ذلك».

ذكر العباس ابن الفقيه محمد بن عبد الرحمن الفيلالي الحجرتي ثم الفاسي في كناشاته بالخزانة العامة أن أفراداً بجامع القرويين كانوا يحتذون في تلاوتهم الطبوع الأندلسية: طبع الزيدان، وتارة الأصبهان. كما أبان التادلي عن الطبوع التي يجوز ترتيل القرآن عليها، وهي طبع

Telegram: SOMRLIBRARY

الماية أو نغمة الرصد التي هي من طبع الماية أو نغمة العشاق التي هي فرع الزيدان، أو نغمة عراق العجم التي هي فرع لطبع الذيل.

على أن أكثر المجودين يجنحون إلى استخدام طبوع الرصد، والحجاز المشرقي والعشاق.

يلاحظ بأن التجويد الفني عمل فردي لا تضطلع به الجماعة، وإنما يضطلع به المقرئ المنفرد، وإن جمال الصوت شرط أساسي في المرتلين المجودين، فكأن الأصوات مزامير على حد تعبير ابن خلدون.

ومهما يكن من أمر فإن المقرئين لا يسمحون بغير استعمال الأنغام العربية وعلة ذلك ما جاء على لسان أحد أعلام المغرب وهو يتحدث عن تلاوة القرآن إذ قال: «وإنما تزيُّن قراءته بألحان العرب الذين أنزل بألسنتهم، وذلك أن طبع الموسيقى العجمي لا يتم إلا بمد ما لا يمد، وقصر ما لا يقصر. وعلى خلافه اللحن العربي. ولذلك ورد الإذن به...» والمراد بالطبع العجمي: أسلوب تركيب الأبعاد الصوتية المتداول في تأليف ألحان الموسيقى الغربية، وكذا أسلوب الغناء الغربي الذي يبيح مد الحروف غير الممدودة وقصر غير المقصورة.

ويقوم بين الترتيب الفردي والقراءة الجماعية صنف ثالث عرف في المغرب خصوصاً، وهو القراءة الثنائية، وهو ترتيل يضطلع به مقرئان يرتلان القرآن في آن واحد، على نغمات موحدة يقعان على أنغامها في تساوق مثير للإعجاب وكأنما ينطلق صوتاهما من حنجرة واحدة. وتعرف هذه التلاوة بالقراءة الفيلالية. وهي تمتاز ببطء الأداء وارتفاع الطبقة الصوتية، وتكسو ألحانها سمة من الحزن الذي يحرك نفوس السامعين المتدبرين. وتتدرج تحتها أصناف عدة تتعدد أسماؤها بتعدد مناطق انتشارها كالقراءة الرتبية نسبة إلى الرتب، والغرفية نسبة إلى الغرف، والجرفية نسبة إلى الجرف، والمدغرية نسبة إلى مدغرة.

Telegram: SOMRLIBRARY

ومن خصائص هذه التلاوة أن تتلى الآيات القرآنية على أساس لحن نغمي واحد تعاد قراءته تباعاً وبشكل دوري، فكثيراً ما يأتي وقوف القارئين على غير قرار اللحن، وذلك على خلاف ما هو معتاد لدى القراء عادة.

يصف البلوي قراءة (ابن برال محمد بن سعد الأنصاري شيخ المقرئين بتونس على عهد الحفصيين)، فيقول:

« ... فما قرع سمعي ولا وقع في أذن قلبي أحسن منه صوتاً، ولا أحلى تلاوة، ولا أطيب إيراداً، ولا أعذب مساقاً، ولا أعجب إحكاماً، ولا أغرب ترتيلاً، ولا أجمل جملة وتفصيلاً... فبين باكٍ وداعٍ وخاشعٍ وساقط من القيام، وعادم وجوده في ذلك المقام، كلهم يفعل فيه صدقه، ويسكنهم نطقه، ويسكرهم ذوقه».

كتاب الاغاني للاصفهاني

أبو الفرج الأصفهاني المتوفى 356 هـ هو عالم فارسي من مدينة أصفهان، يؤلف كتابه الضخم ويسميه الأغاني. ويهديه للوزير أبي الحسن محمّد بن الحسن المهلّبي. وهو كتاب أدب وشعر وموسيقى. نقل فيه أنواع الغناء والموسيقى والفن الفارسي، الذي كان جديداً وغريباً على المجتمع العربي آنذاك.

هذا الكتاب يقدم لك صورة تشمل رقاصين، مغنين، مائلين مميلين، رقاصات.. مغنيات.. أئلات.. مميلات... الخ.

فالحافظ أبو الفرج بن الجوزي يقول عن الأصفهاني: «وكان يتشيّع. ومثله لا يوثق بروايته، فإنّه يصرّح في كتبه بما يوجب عليه الفسق، وتُهوّن شرب الخمر وربّما حكى ذلك عن نفسه، ومن تأمّل كتاب الأغاني رأى كل قبيح ومنكر.» ابن الجوزي: المنتظم ج6 ص40، 41

Telegram: SOMRLIBRARY

وليس هذا رأي ابن الجوزي فقط بل جمهرة من علماء الأمّة كالخطيب البغدادي وابن كثير وابن تيمية وغيرهم..

ومن النقد الموجه للكتاب ننقل:

« .. إنّ كتاب الأغاني كُتب في عهد آل بُويه، وتناول الغناء وما يتعلّق به مع أخبار شائنة منذ الجاهليّة إلى عهد الخليفة المعتضد بالله المتوفّى سنة 289 هجرية. وسكت عمّا بعد ذلك فهل انقطع الغناء؟ أم أنّه أراد أن يسكت قبل مجيء العهد البُويهي، لئلا يضطر إلى ذكر أشياء قبيحة لا يحسن ذكرها؟ لذلك نال الكتاب رضا آل بُويه، واتّفق مع رغبتهم وهواهم في تشويه تاريخنا، والدسّ والافتراء والكذب على آل البيت النّبوي الشّريف، وعلى الأمويّين. وعلى أعلام أمّتنا ولذلك كان عضد الدّولة البُويهي لا يفارق كتاب الأغاني».

«السيف اليماني» ص70

وصفه الشيخ الصوفي ابن عربي فقال: هو كتاب جليل القدر، كثير العلم، لم يؤلف مثله قط. وقد يختلف الناس حول ما حواه من أخبار وروايات.

ويذكر لنا أبو الفرج الباعث على تأليف كتابه في مقدمته، فيقول: «والذي بعثني على تأليفه أن رئيساً من رؤسائنا كلفني جمعه له وموضوع الكتاب هو الغناء، وقد ألفه ليكون بديلاً عن الكتاب المنسوب إلى إسحاق الموصلي، ولذلك صدّر الأصفهاني كتابه بذكر «المائة صوت المختارة للرشيد»..

وكان أبو الفرج يبدأ بذكر الصوت الذي اختاره والشعر المتعلق به، ثم يستطرد إلى ذكر أشعار أخرى قيلت في المعنى نفسه، وتُغنى بها، ثم يتناول المناسبة التي قيلت فيها هذه الأشعار، وقد تكون المناسبة اجتماعية أو سياسية فيبين ذلك، وهو في أثناء ذلك يتعرض لذكر

Telegram: SOMRLIBRARY

الإنسان وأخبار القبائل، وقصص وأشعار.. فيقف القارئ على ألوان مختلفة من الحياة، وعادات متفرقة في بيئات مختلفة، وطرائق الحياة في البادية والقصور من لهو وتسلية فراغ.

وقد حوى كتاب الأغاني تراجم لزهاء ثلاثمائة شاعر وقرابة ستين من المغنيين والمغنيات. ومعظم من ترجم لهم كانوا من شعراء الجاهلية والإسلام.

ولع العباسيين بالفنون والموسيقى

عندما يُذكر العصر العباسي 750-1258م يتبادر إلى الأذهان ذلك العصر الذهبي للعرب والمسلمين، الذي رغب فيه العباسيون أن يتفوقوا على أمجاد الساسانيين القدماء في بلاد فارس، فانتعشت على أيديهم العلوم والفنون مع انتقال عاصمة الخلافة من دمشق إلى بغداد، وشيدت المعاهد والمصانع والمستشفيات. وقد روي عن ولع الخلفاء العباسيين بالفن، حتى كادت بلاطات أمراء المؤمنين تتحول إلى معاهد ومجالس موسيقية، عدا عن الهبات والعطايا التي كان الخلفاء العباسيون يغدقونها على الموسيقيين.

هذه الأجواء حمّست الموسيقيين وشجعتهم على المضي قدماً في رفع مستوى الموسيقى ومكانتها، من نواحٍ عدة تشمل الأداء الغنائي والبحوث والدراسات الموسيقية، حيث وصلنا في كتاب «رسالة في الموسيقى» لواضعه ابن منجم- أحد تلامذة اسحق الموصلي- بحثا قيّما في السلم الموسيقى العربي الذي كان مستخدماً حتى القرن الخامس عشر، وهو مشابه للسلم الفيثاغوري الإغريقي.

Telegram: SOMRLIBRARY

تراث الأديغا

كان الشركس يسكنون في مناطق متوزعة في آسيا، ويعتنقون ديانات قديمة أهمها الأديغة. وتعتبر ملاحم نارت، أهم كتاب تراثي للشركس، فهو مجموعة من الأساطير والملاحم تشكل بمجملها الموروث الموغل في القدم للشعب الشركسي، وتعكس عاداتهم ومعتقداتهم ونظراتهم إلى الآلهة والإنسان والطبيعة والكون. وقد حفظتها وتناقلتها الأجيال عبر القرون بشكل أغان وأناشيد دينية وتراثية. وابتهالات دينية وقصائد غنائية. وقصص نثرية وملاحم شعرية مغناة. ومنذ عام 1846 بدأ الشركس بجمعها وطبعها. ومن هنا فإن للشركس خصوصية فنية واحتفالية يتميزون بها عن غيرهم من الشعوب.

لقد دخلت عليهم المسيحية عن طريق البيزنطيين فاعتنقوها، ومع دخول الفاتحين المسلمين أصبحوا مسلمين. ورغم ذلك ظل قسم منهم يحافظ على عقائد الأديغة ونارت باعتبارها تراثهم الأصيل. وهي ديانة قديمة جداً، وما زالت في تلك المناطق آثار حجرية ومنحوتات صخرية وحجرية كثيرة تعود لحضارة الأديغة. وقد عبدوا الطبيعة في القديم، ووحدوا بين الطبيعة والإله. كما عَبدوا آلهة الزراعة وعبدوا إله الرعد. ورُبطتْ هذه العبادة بعبادةِ الأشجارِ والبساتين المقدسة، حيث قدمت لها الصلوات والنذور.

إن بعض عقائد الأديغة ظهرت في الطريقة الصوفية اليسوية. فالشيخ اليسوي كوّن طريقته في تلك المناطق، واعتمد فيها على العقائد التي كانت سائدة هناك. ودفن في طشقند وما زال قبره مزاراً مهماً يحج إليه أتباع الطريقة اليسوية.

وكان الشيخ بكتاش ولي قد تأثر بطريقة اليسوي وطورها. وكان يحمل معه من بلاد فارس عقائد صوفية خاصة.

Telegram: SOMRLIBRARY

جلال الدين الرومي

جلال الدين الرومي، الشاعر الصوفي الشهير، 1207 - 1273. شيخ صوفي عثماني، نكتشف وجود تناغم وتوّلف في فكر الرومي والشيخ بكتاش ولي، فالبكتاشية تبنت الكثير والمميز من فكر الرومي الذي قضى معظم حياته في منطقة تسمى «أرض روم» في تركيا الحالية. وحين وفاته في عام 1273م، دفن في قونية وأصبح مدفنه مزارا إلى يومنا هذا.

والحقيقة أنه في تلك المرحلة الزمنية كانت تتشكل البكتاشية والإسماعيلية. وبالوقت نفسه كانت الصوفية والشيعية تنجز المراحل الأخيرة من التكوين المذهبي. وكانت تتشكل الفرقة الصوفية الأيزيدية (العدوية) وطائفة الدروز الموحدين، والطائفة المالاونية المسيحية. فالقرن الثالث عشر الميلادي كان مرحلة مخاض فكري جديد نتج عنه انطلاق الأفكار الدينية الجديدة. المتأثرة بالآخر، وكانت المعركة الفكرية حامية الوطيس، وتدور رحاها في كل العالم الإسلامي آنذاك.

تكتب الباحثة الروسية أيرين ميلكوف عن علاقة البكتاشية بالشامانية، ونترجم أهم ما ورد في مقالها الذي يحمل اسم (البكتاشية التركية والشامانية).

الشاعر الشيخ جلال الدين الرومي، مؤسس الطريقة المولوية يقول:

«تعالَ..... تعالَ لتكون معنا، مَن تكن.. كافراً، وثنيا، أو مجوسيا.. تعالَ، وإن تكن قد تبتَ مائة مرّة، يكفي أن نكون معاً.. لأن هذا المحفل لا يؤمن باليأس والقنوط..»

ففي عهد المجد العثماني، اعتنق العثمانيون الإسلام فآل حكمهم إلى إمبراطورية مترامية الأطراف كادت أن تصل إلى فيينا عام 1529.

Telegram: SOMRLIBRARY

أحب العثمانيون الموسيقى حباً جماً، وازداد اهتمام الخلفاء العثمانيين بالموسيقى خوفاً عليها من أصحاب الطريقة المولوية - وهي حركة تنسب إلى المتصوف جلال الدين الرومي- التي كانت تسيطر على صنعة الموسيقى في ذلك الوقت، وكان السلطان سليم الثالث أول من أخرج الموسيقى من تكايا المولوية ونقلها إلى قصر الخلافة.

تأثرت الموسيقى في العهد العثماني بالطابع التركي أولاً، وبالنظريات الإغريقية والعربية والفارسية ثانياً، وبالطابع الأوروبي ثالثاً. وعرفت عند الأتراك أنواعاً من التأليف الموسيقي والإنشادي.

ولدت الموسيقى الدينية التركية في القرن الثالث عشر. ومن هناك انتشرت إلى بقاع كثيرة في العالم الإسلامي.

ففي مدينة قونيا -عاصمة الدولة السلجوقية 1237/1299م- الواقعة في جنوب تركيا، ظهرت الموسيقى الصوفية في بساطتها الأولى على أيدي دراويش الطريقة المولوية؛ حيث كانوا ينشدون قصائدهم من المديح والثناء في حق الرسول وفي صحابته. وكذلك مدحاً في رجال الصوفية الكبار، وكان ذلك في زوايا الطريقة التي انتشرت في مدن جنوب ووسط الأناضول مثل: قونيا وقيصرى وسيواس وآقسراي.

في البداية لم تعرف الموسيقى الصوفية غير مقامات وآلات موسيقية بسيطة مثل الناي والدف والسّاز (آلة وترية تشبه العود، ولكنها أصغر حجما منه)،

وفي سورية، وإثر الحكم الأموي والعباسي تمازجت الموسيقى السريانية مع الموسيقى التركية. فكانت النتيجة ولادة نمط موسيقي سوري جديد.

وتعرف الموسيقى الصوفية عند الأتراك عمومًا باسمين:

أولهما «سَماع» Sema أو السماعي- وهو نوع من الأشعار أو

Telegram: SOMRLIBRARY

الكلمات المستخدمة في الموسيقى التركية. وهو أيضًا الذكر الديني القائم على الدوران وقوفاً والمصحوب بالموسيقى التي تستخدم فيها آلات موسيقية مثل الناي والقانون وهي الموسيقى التي تعزف في الحجرة المسماة بـ «سماع خانه» Sema-Hane والتي تقع في داخل زاوية الطريقة المولوية أو تلك الأشعار الغنائية التي تغنى في الـ «مشك خانه» Meşk-Hane (المكان المخصص للعزف الموسيقى)

النوع الثاني للموسيقى الصوفية التركية يحمل اسم «إلهي» İlahi وهو من الشعر الصوفي التركي والإلهي، وهو المنظومات والقصائد التي تتحدث عن أوصاف وخصال الله تعالى ورسوله الكريم وتحتوي على أدعية.

وتعرف الموسيقى الصوفية التركية كذلك بالقصائد الشعرية، وهي الأشعار التي تزيد عن خمسة عشر بيتًا، وتدور حول مدح الكبار.

ومن الأشكال المنتشرة في الوقت الحالي في الموسيقى الصوفية التركية: المجموعات المنشدة (Şarkılar Gorupu)، وهي مجموعات تتكون من خمسة إلى عشرة أشخاص يرتدون ملابس موحدة، ويقومون بالغناء أو الإنشاد الديني دون أدوات موسيقية، ولكن ينشدون على مقام موسيقي واحد لا يتغير، ويتبادل أفراد المجموعة الإنشاد المنفرد، ثم يعودون مجدداً بين الحين والآخر للإنشاد الجماعي داخل الجوامع الكبيرة في المناسبات الإسلامية مثل: ليلة القدر، النصف من شعبان، المولد النبوي الشريف وغيرها، أو في الاحتفالات العائلية الاجتماعية مثل: حفلات ختان الصبيان، والوفاة، والعودة من الحج... إلخ.

وبواسطة العثمانيين وجنود الإنكشارية البكتاشيين انتقلت الموسيقى الصوفية التركية إلى مصر، وأصبح لها دور كبير في الاحتفالات

Telegram: SOMRLIBRARY

الدينية الشعبية المصرية. ونعتقد بأنها امتزجت هناك مع الرقص النسائي، وتطور بواسطتها ذلك الرقص الاحتفالي.

Telegram: SOMRLIBRARY

الموسيقى البكتاشية

كان الشيخ بكتاش ولي قد تأثر بطريقة اليسوي وطورها . وتأثر بتراث الأديغا . وكان يحمل معه من بلاد فارس عقائد صوفية خاصة. فاستنبط من خلال تلك الثقافات والموروثات المتنوعة، الفرقة الصوفية البكتاشية. ونرى اليوم بأن البكتاشية حافظت على مبدأ تقديس الطبيعة ومظاهرها . وآمنت بوحدة الوجود وباتحاد الإله في الطبيعة.

تقول المستشرقة إيرين ميلكوف:

« .. البكتاشية التركية لا تقتصر على الأتراك فحسب. بل هي مذهب قديم كان يتبعه أتراك وأكراد وتركمان منذ القرن العاشر الميلادي. وقد ظهرت هذه الطائفة في آسيا الوسطى منذ القرن العاشر. وانتقلت في بدايات القرن الحادي عشر إلى مابين النهرين والأناضول. وآسيا الوسطى. وحملت معها أيضاً عقائد وطقوس شامانية من آسيا الوسطى. وفي تركيا تم تشكل الصيغة المختلطة المتأثرة بالشامانية والإسلام والتي تمزجهما معاً في صيغة واحدة».

فالشامانية هي دين بدائي من أديان شمالي آسيا . وكان مشابهاً للعقائد القديمة في المنطقة (الهندوسية والزرادشتية).

وهناك طقوس الحج إلى قبر اليسوي، ترى فيه مسلمين يؤدون «الحج الأصغر» في «مكة الثانية» الكازاخستانية. وذلك على مدار العام، ووفق طقوس خاصة منبثقة من تقاليد وعادات شعبية..

Telegram: SOMRLIBRARY

المدينة المعروفة باسم «تركستان» فيها يوجد ضريح أحمد اليسوي، وهو أشهر قدماء الصوفيين في البلاد الناطقة باللغة التركية، وقد عرفت المدينة سابقاً باسم يساوي وفي القرن الخامس عشر سميت تركستان باعتبارها مدينة لكافة الشعوب الناطقة باللغة التركية.

الصورة: رقص صوفي بكتاشي، هو ماعرف باسم رقص السما أو السماح

الصور عن موقع اتحاد البكتاشيين الأتراك في أوروبا (FUAF)

عزف موسيقي في بيوت الجمع، موسيقى مرافقة للطقوس الدينية البكتاشية

Telegram: SOMRLIBRARY

الصورة: طقوس العبادة داخل بيت الجمع البكتاشي

تكثر بيوت الجمع وتسمى في أوروبا مراكز ثقافية بكتاشية. وكلها تابعة للبكتاشية التركية. ففي كل مدينة فرنسية يوجد لهم مركز.. فعدد أتباع البكتاشية في فرنسا لا يزيد عن مائة وخمسين ألف نسمة، ورغم ذلك فهم يمتلكون اثنين وثلاثين مركزاً دينياً وإعلامياً.

وتؤدي هذه البيوت والمراكز نشاطات كثيرة:

إقامة صلوات أسبوعية. ودورات للعزف على الساز وخدمات حفلات الزواج والأعراس. ومكتبة لإعارة الكتب والأقراص الموسيقية. وخدمات الدفن والقداس.

ويتميز البكتاشيون بثلاث مزايا اتخذوها تقاليد متوارثة لا يحيدون عنها:

إجراء ختان الأولاد في ذكرى ميلاد الإمام عليّ من كل عام.

وإقامة احتفال كبير عند الزواج الذي عادة ما يجري في ذكرى ميلاد الإمام الحسين.

والاجتماع في (بيوت الجمع) لإجراء المقابلات الموسيقية الراقصة

Telegram: SOMRLIBRARY

في المناسبات ولقراءة الأنفاس البكتاشية والأشعار المولوية والخاصة بالشعراء العشّاق البكتاشيين ومقتل الطالبيين لاسيما أيام عاشوراء.

فالرقص البكتاشي التركي هو شكل مطور للموسيقى الصوفية عموماً، وقد ارتبط بآلة موسيقية وترية تشبه آلة البزق. وهي آلة موسيقية قديمة عرفتها شعوب شرق الأناضول منذ قرون. فعند ظهور البكتاشية كانت آلة البزق هي أرقى الآلات الموسيقية هناك. ولهذا السبب فقد تم ربطها بعملية أداء الطقوس الموسيقية الدينية منذ ذلك الحين. واعتبرت طقساً دينياً إلزامياً عند البكتاشية.

وتقام مراسم الاحتفال بيوم عاشوراء سنوياً في مناطق تواجد أتباع البكتاشية. وتجري تلك الاحتفالات منذ سبعمائة سنة تقريباً.

يكتب زائر لقرية بير حمزة بابا: «وصلنا في الساعة الثالثة ليلاً في الظلام. دخلنا ساحة القرية، ونزلنا في مقهى، جلسنا نحتسي القهوة. كان كثير من الناس في العراء. بينهم أطفال ونساء. بعضهم يتلفحون بالبطانيات اتقاء للبرد. أقيمت في الساحة خيمة كبيرة مربعة واحتشد فيها كثير من الناس.. يأتون منذ بداية الليل ليستعدوا لحضور الاحتفال الذي سيجري في الصباح. يأتون من القرى المجاورة في حافلات وجرارات وشاحنات مختلفة.

ماذا يفعل الناس هنا؟

لماذا يأتون إلى قرية جبلية صغيرة؟

حتى المرضى منهم جاؤوا معهم. إنهم يتعبون كثيراً في هذه الرحلة.. جوع وعطش وطريق طويلة. وانتظار الاحتفال. وسهر لعدة أيام بلا نوم. وتعب، وندم على الخطايا، كلهم يحجّون إلى مقام الحاج بكتاش ولي. وفي الصباح بدأت تقدم الوجبات للجميع وتوزع القهوة والشاي.

Telegram: SOMRLIBRARY

تحتلّ عاشوراء أهمية كبيرة بالنسبة للبكتاشيين الأتراك. وهي ذكرى مقتل الحسين على أيدي الحاكم الأموي. في كل سنة يصوم البكتاشيون عن الاستحمام وأكل اللحوم أثني عشر يوماً إكراما لتلك الذكرى المؤلمة. وبعد انتهاء أيام الصيام يحتفلون معيّدين هنا عند مقام الولي بكتاش. في هذه القرية المربعة، يجتمع حوالي ثلاثة آلاف شخص يأتون من القرى المجاورة ومن المغترب. يبكون أثناء الطقوس والأدعية. ويطفئون الشموع. وخلال الحفل، هناك جمهور المحبة، وحماسة ومليئة بالحب جاء أحدهم من مدينة بعيدة.

حمزة بابا كان الناس يصطفون في طابور طويل وسط ازدحام كبير لأجل أن يصلّون عند قبره. وكان بينهم عجائز وكهول وشبان وأطفال».

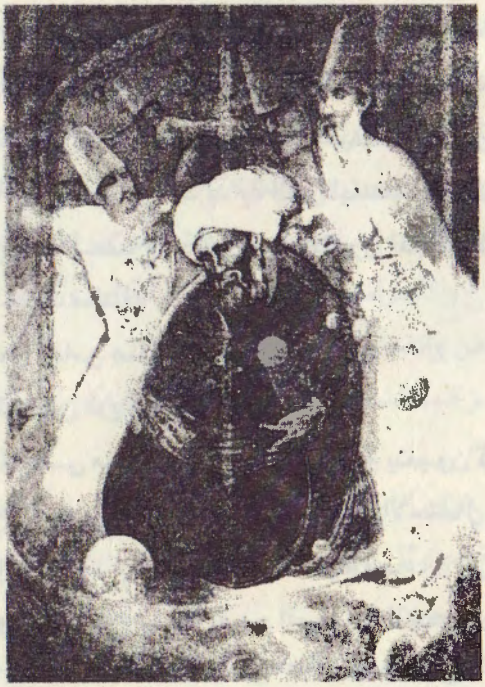

Telegram: SOMRLIBRARY

الصورة: رقص نسائي صوفي بكتاشي، أثناء الاحتفالات الدينية في بيوت الجمع، ترتدي النساء حجاباً أخضر، ورداء أحمر. وهي ألوان مفضلة عند البكتاشية

وعند ولادة مولود جديد تذهب العائلة إلى بيت الجمع ويذبحون خروفاً كأضحية. وغالباً ما يحصلون على الهدايا من الحاضرين. ويقام الحفل وفق طقوس خاصة، ويسمى حفل ختان الكفيل: فالكفيل هو طريقة للمساعدة. والكفيل يمثل حرفياً الأب الثاني للمولود. يحمل الكفيل الابن بالمعمودية، بين يديه، لأجل الختان، ويسهر على راحته طوال حياته وكأنه واحد من أبنائه. وتبقى هذه العلاقة ثابتة بإخلاص حتى وفاة أحد الشخصين. كما يتم رعاية كل شخص للآخر والدفاع عنه حتى الممات.

وهناك طقس المصاحبة Musahiplik، وهو طقس متمم لطقوس الختان. ويعتبر صداقة طوال الحياة. فالمصاحب هو الذي كفل الطفل في

Telegram: SOMRLIBRARY

الختان، وهو يحتفل مع العائلة كلها ليبرهن على أنه أصبح جزءاً منها. وأصبح مصاحباً لكل أفراد العائلة. وهو يتكفل بها دوماً في حالات الموت أو الفقر.

ويعتبر الموت عند البكتاشية رجوعاً أو عودة إلى الله. فيتم توزيع الأطعمة على الناس طوال أربعة أيام. وفي أجواء احتفالات عارمة.

وللبكتاشية طقوس خاصة في التعميد والدخول في الدين، وفيها تقدم الأضاحي أيضاً. وتذبح الخراف الذكور وتوزع لحومها على الناس. ويجب أن يتحد الناس جميعهم الذين يدخلون هذا الطقس، فلا يمكن لأحد منهم أن يخرج منه مطلقاً في تلك اللحظات. فهو حفل مقدس ومغلق. كما يعاقب أي شخص يخرج أو يخطئ في طقوس الاحتفال. هناك اثنا عشر شخصاً، لكل واحد منهم مهمة. يؤدي مهمته باحتراف ودقة، وهم:

المرشد، الرهبر، الذاكر، المكنس، والدليل، المنظم، الحارس، الصفرجي، المطهر، السقا، البيك. السماحي.

يقومون جميعاً بأداء طقوس للمنتمي الجديد وتعميده. ثم يبدأ السماح. وبعده توزع الأطعمة.

وهناك طقس الموازيان Moïse، والموازيان هما (هيزير والياس). Hizir et Ilyas. وهما مكفلان بالعقاب، وهما العارفان العظيمان. وقد أرسلهما الله إلى الأرض ليراقبا ويتخصصا بالمعرفة.

هيزير هو المتخصص بالمشكلات فوق الأرض. والياس يتخصص بالمشكلات فوق البحار.

وفي مساء السادس من أيار من كل عام يحتفل البكتاشيون بعيد الياس وهيزير. «Hidirellez»، ويوصف بأنه عيد اللقاء بين الملكين تحت شجيرات الأزهار، لكي يساعدهم الناس على ذلك اللقاء الذي هما

Telegram: SOMRLIBRARY

بحاجة له. في ذلك المساء تقوم كثير من الشعائر والطقوس لمساعدة النبيين deux prophètes وطلب مساعدتهم.

كما يحتفلون بعيد النيروز Nevruz في 21 من آذار من كل عام. وهو مخصص للاحتفال بميلاد الإمام علي. وفيه توزع الأطعمة. ويتوجب الالتزام بالقواعد الدقيقة.

وشعارهم (توني وتبري)، وله عندهم مقاصد خاصة.

السمفونية الكونية للثالوث البكتاشي

يكتب الباحث البكتاشي التركي إبراهيم الداقوقي عن تعريف البكتاشية ويقول:

البكتاشية اصطلاحاً تعني الفكرة البكتاشية وهي شيعة الإمام علي بن أبي طالب وسالك نهجه في الحياة بالالتزام بالحق والعدالة ومكارم الأخلاق مع احترام الآخر (الإنسان والحيوان والجماد). لأن الإنسان خليفة الله على الأرض وصورة من الإمام علي وفاطمة الزهراء . قطبا الإمامة الإثنا عشرية. إضافة إلى ضرورة المحافظة على الحيوان والجماد، باعتبارهما من مخلوقات الله. أما من حيث المضمون، فإن البكتاشية نظرية فلسفية . أخلاقية قائمة بذاتها، حتى أن الجامعات الألمانية بدأت بتدريسها منذ بداية العام الدراسي 2001 2002 في كليات الإلهيات جميعها .

يؤكد المثقفون الأتراك . ومعظمهم من الأكراد . في النقاشات حول البكتاشية والبكتاشيين فيقولون:

«أن البكتاشية ليست ديانة ولا مذهباً دينياً إنما هي نظرة شمولية إلى الكون والإنسان والإله في إطار من التسامح... وإننا نعد البكتاشية والمولوية والبابائية كلها اتجاهات متعددة في هذه النظرة

Telegram: SOMRLIBRARY

الكلية الإنسانية للوجود التي يمتزج في إطارها العرب والأكراد والأتراك والعجم».

والأخيّة عندهم عقيدة وإيمان.

وقد أبدع شعراء البكتاشية بقصائد مميزة تعرض فكرهم الديني، نذكر بعضها.

يقول يونس أمره في قصيدة له:

يقال بأن فقيراً قد مات
وتركت رفاته ثلاثة أيام بلياليها
ثم غسلوا جسده بالماء البارد
فهو مثلي وحيد تماماً

❖ ❖ ❖

العالم هو غذائي
شعبه هو شعبي
فأنا مغلف بهذا الجسد
وقد ظهرت كيونس

❖ ❖ ❖

الشيء الذي يشكل طلسماً هو الإنسان
هذا الذي يعبر عن نفسه بكثير من اللغات
هذا الكائن الذي لا تستطيع السماء ولا الأرض أن تحويه
هو الذي تحتويه روحي

Telegram: SOMRLIBRARY

هذا الذي بحثت عنه طويلاً وانتظرته
هذا الذي طلبته من السماء والأرض
هذا الذي لم أجده
ولم أعثر على أثر نه
وجدته في الإنسان.

❖ ❖ ❖

الأبواب الأربعة
الباب الأول هو القانون
أن تفعل هذا ولا تفعل ذاك
أن تقرأ القرآن
فكل آية منه تغسل أخطائك
الباب الثاني هو المدرسة
تتبع فيها شيخك
وتقسم بأنك توافق أم لا
وتكون كما يتوجب عليك أن تكون
الباب الثالث هو العلم
حيث تفتح الروح عينيها
وينعدم السقف في هذا القصر الرحب
وتتكشف لك السماء

الباب الرابع هو الحقيقة
التي تجد فيها كل شيء

Telegram: SOMRLIBRARY

تحتفل في كل أيامك
وتكون ملهماً
في كل الليالي

نحن لا نمتلك حقداً لأحد من البشر
فالغريب هو أيضاً صديق لنا
هناك حيث توجد الأحزان والمآسي
هناك مسكننا
ومكان وجودنا

❖ ❖ ❖

اسمنا هو الفقر
وعدونا هو الحقد
نحن لا نحقد على أحد من البشر
فكل الناس يساوونا

❖ ❖ ❖

وطننا هو الجنة
رفيقنا هو الله الحقيقي
ونحن نتجه نحوه
وكل الطرق الأخرى تبدو لنا ضيقة
لا تترك نفسك لتقع في فخ مغريات الحياة

Telegram: SOMRLIBRARY

إنك لن تستطيع أن تهرب من قدرك
يونس الدرويش يقول لكم:
حافظوا على الإيمان والدين
لأن سليمان نفسه قد مات
وزالت مملكته وتاجه
ولقمان الطبيب لم يستطع أن يجد دواء لنفسه
ولم يقدر على منع الموت والقدر

إذا كسرت قلباً ذات مرة
فصلاتك لن تكون صلاة

❖ ❖ ❖

ثمان وسبعون أمة
لن يقدروا على تطهير يديك أو وجهك
ولو أنك ألّفت بين القلوب
وساعدت شخصاً
وأحسنت لمحتاج
سيكون ذلك بألف عمل
ولن يكون قليلاً
يونس يطلق حكمه
كما يخلط الزبد في العسل
إنه يبيع بضاعته
ميزانه هو الجوهر

Telegram: SOMRLIBRARY

❖ ❖ ❖

الشاعر المعاصر مصطفى كوجكون يقول:
لا تبق صامتاً تجاه الكفر والكفار
لأنك بحكمتك ستفقد
مجدك وعظمتك
يا حاج علي
إنهم نسوك إلى الأبد
ويتحدثون عنك دوماً بأنهم نجحوا وفازوا
أنت الشخصية الشجاعة
أنت البطل العالمي الذي لا ينسى
شجاعتك مذكورة لك ومحفوظة
وحكمتك ثابتة.
اسمك يعني الحكمة
ولقبك يعني الأدب والحشمة
معرفتك تعني مجداً كبيراً
وكل القلوب تلهف لذكرك
أولادك اليوم أصبحوا ملايين الملايين
استرح في سلام
أيها العارف العظيم
فنحن لم ننس الحسن ولا الحسين
ولا فاجعة كربلاء

Telegram: SOMRLIBRARY

الصفويون الذين أحيوا الموسيقى الفارسية

ينتمي الصفويون في الأساس إلى أسرة تركمانية صوفية تنتسب إلى الشيخ صفي الدين المتوفى سنه 1334 م. ويدّعون انتسابهم للنسب البكتاشي. وقد اشتهر الشيخ صفي الدين بطريقته الصوفيه في منطقة أردبيل التي حققت نفوذاً واضحاً في أذربيجان. وتزايد نفوذ ومكانة هذه الأسرة، فلم ترتح لها حكومة القرة قوينلو فاضطهدتها مما دفع رجال الأسرة إلى الاحتماء لدى حسن الطويل زعيم أمارة الآق قوينلو. الصفوية. وفي سنه (1501) تولى قياده الحركة الصفوية شاب يبلغ الثالثة عشرة من عمره اسمه إسماعيل بن حيدر بن جنيد. وقد انتقلت الطريقة الصفوية إلى بلاد فارس وكونت هناك طريقة عرفت فيما بعد بالشيعية. أو أنها تمازجت مع الأفكار الشيعية التي سبقتها. وهناك نشأت موسيقى دينية شيعية مميزة. استقت من التراث الموسيقي والفني الفارسي القديم، فمزجته بالتراث الموسيقي التركي. ومن خصائص فنون العرض عند شيعة إيران احتفالات الحسينية وعاشوراء وغيرها. وحتى عصرنا الحالي مازال الشيعة يحجون إلى العتبات المقدسة في العراق، فيقطعون مسافات طويلة مشياً على الأقدام.

الموحدون الدروز

ظهرت الطائفة الدرزية في القرن الحادي عشر في عصر سادس الخلفاء الفاطميين أبي علي المنصور بن العزيز بالله بن المعز لدين الله الفاطمي الملقب بـ الحاكم بأمر الله (996-1021)، وقد بدأ نشر المذهب بعد أن بعث الحاكم بأمر الله عدة رسل للدعوة لمذهب التوحيد (الدرزي)، أبرزهم حمزة بن علي بن محمد الزوزني عام 1017 إلى الشام للدعوة له.

Telegram: SOMRLIBRARY

ويعتبر الزوزني الأب الروحي للمذهب الدرزي، حيث وضع عدداً من المؤلفات بالمذهب.

الصورة: دروز لبنان في مطلع القرن الماضي

أخذ الدروز الكثير من النظريات الصوفية التي طرحها كبار رجالات التصوف الإسلامي. كما اعتقدوا بمبدأ وحدة الوجود. وتأثروا بأفكار دينية سبقت قيام فرقتهم.

يقول كاتب درزي:

« .. التصوف حساسية وشفافية ورقة قلب ولين وصفاء ووفاء وعبودية وكسر للنفس بشتى أنواع الرياضات

Telegram: SOMRLIBRARY

وهو حب ولوعة وتحرق وشوق للقاء وجه الرحمن...».

ولأبي يزيد البسطامي مكانة رفيعة عند الدروز، رغم أنه لم يكن درزياً.

ويهتم الدروز كغيرهم من الذين يتبعون عقائد وطرق صوفية، بالشاعرات المتصوفات الشهيرات. المعروفات بـ (عاشقات الله)، وأهمهن: رابعة العدوية - عفيرة البصرية - حيّونة - ريحانة - ميمونة - عوسجة.

قضت رابعة العدوية عمرها منذ توبتها وهي تحترق بنار الحب الإلهي حتى أصبحت شهيدة العشق الإلهي بحق. وكانت تتغنى بحب الله دون توقف. فتقول:

أحبك حبين: حب الهوى /// وحباً لأنك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الهوى /// فشغلي بذكرك عمن سواك
وأما الذي أنت أهل له /// فكشفك للحجب حتى أراك
فلا الحمد في ذا لا ذاك لي// ولكن لك الحمد في ذا وذاك.

الصورة: احتفالات درزية منذ عام 1920

Telegram: SOMRLIBRARY

وللدروز أعياد دينية خاصة بهم، وننقل عنهم هذا الوصف: ففي الخامس من شهر تموز 2008، احتفلوا بعيد كبير في قرية كفر سميع، حيث تقاطرت الجماهير من الكرمل في الجنوب، إلى جبل الشيخ في الشمال، للمشاركة بالاحتفال، بتدشين المقام الجديد لسيدنا الشيخ الفاضل، محمد أبي هلال.

كان المكان قد امتلأ بالضيوف من كافة القرى الدرزية، ومن كافة الطوائف، وحضر كذلك شباب القرية وطلابها، وتجمّعت النساء على السطوح، وفي الشرفات المطلة، لتكحل عيونها بهذا المنظر البديع.

مزار جديد، يُقام على أرض مقدّسة، لذكرى إنسان فاضل، وولي صالح، وتباركت به هذه البلاد، قبل حوالي أربعمائة سنة.

افتتح الاحتفال، الأستاذ الشيخ أبو يوسف سعيد إبراهيم قائلا:

أهلاً بكم يا ضيوفنا بمزارٍ حلّيتوا
وحلّ الهنا بقلوبنا من حين طلّيتوا
ببركة مشايخ للهُدى عالنور ضوّيتوا

Telegram: SOMRLIBRARY

ومُباركتنا تباركت بالّذي كان يزروها
يتفقّد أحوال ضيعتنا وتلّطي يفَيّتُه
الشيخ الفاضل المفضال بدر بدورها
مع صفوة من عُبّاد هَوْن حلّوا وبيّتوا
بحَلَقة لذكر الله عا لنهج مستورها
اشرف سُنن للناس يا أسياد مشّيتوا
ذكرى جليلة معطّرة بعطورها
سيرة حميدة وبسرّها بمنظورها

ويقول زعيم محلي:

« .. لقد ظلت المباركة أثراً دينياً على هيئتها المعروفة قديماً، واستمر التواصل بفضل الله ومنّه، من قبل أهل القرية، مع هذا المكان، على مدى هذه الحقبة من الزمن، فمنهم من كان يزورها للتبرك والعبادة، ومنهم من نذر النذور ووُفق، ومنهم من قدّم الأدعية، ونال مناله ببركة الشيخ الفاضل وصحبه. نفعنا الله ببركاتهم أجمعين».

وألقى الشيخ أبو سلمان كامل فلاح كلمة ننقل منها:

« .. تدشين بناية مزار ومقام سيدنا الشيخ الفاضل محمد أبو هلال الكوكباني رضي الله عنه وقدّس سرّه، حيث مكث في هذا المكان الذي تبارك به، ومن هنا جاءت تسميته «بالمباركة» التي اعتاد أهل القرية بزيارتها في الأعياد، وإيقاد الشموع وإيفاء النذور وعيادة المرضى، إيماناً بشفائهم. لقد كانت المباركة قبل إقامة هذا البناء، عبارة عن بناء حجري مستدير، وفي جوفه كورة تضاء فيها الشموع، وبجانبه عريشة وشجرة خروب كبيرة..»

وبمناسبة عيد النبي شعيب تقام الاحتفالات والصلوات في مقام النبي شعيب في حطين قرب طبريا.

Telegram: SOMRLIBRARY

ويحظى عيد الأضحى لدى الموحدين الدروز بأهمية دينية خاصة ومميزة جداً، ناهيك عن قيمته الاجتماعية الكبيرة.

ويبدأ الاستعداد للاحتفال بالأضحى عند الدروز في اليوم الأول لشهر ذي الحجة، ويستمر حتى اليوم العاشر منه. حيث يتوافد أبناء الطائفة إلى الخلوات لسماع الشعر الروحي والوعظ الديني، ويعودون إلى منازلهم، ليبدأ بعدها رجال الدين في الطائفة تلاوتهم الخاصة للقرآن، والتفاسير التي توضح أسرار الحكمة الإلهية للرسالة السماوية.

طائفة الأحباش

الأحباش يشكّلون جماعة إسلامية مستقلة بفكرها، ومميزة عن المسلمين المعاصرين عموماً. ونكتشف هذا بفضل خطابهم المميز والجديد والفريد من نوعه. فهم يوجّهون انتقادات للخطاب الإسلامي الشائع كله تقريباً، ويلتزمون بمقولات شيخهم (الهرري) والمشايخ الذين انتهجوا طريقه وفكره.

وإن كثرة عدد هؤلاء الأتباع الذين أصبح اسمهم (الأحباش)، أمر يجعلهم يشكلون حركة دينية إسلامية حقيقية. وهذه الحركة تتبنى أفكاراً جديدة تستند إلى الطريقة الصوفية النقشبندية حسب ما يصرحون، وبات للأحباش منظومة فكرية خاصة بهم، الأمر الذي يمكننا من تسميتها بفرقة إسلامية جديدة. فهم من حيث العدد والنشاط الديني، ومن حيث اهتمامهم بالفقه الإسلامي، وقيامهم بشرحه من جديد وفق أسس خاصة بهم، بكل هذا لا يختلفون عن أي فرقة إسلامية. كما سنتعرّف على النهج والفكر المميز الذي تعلنه هذه حركة.

جاء الشيخ الحبشي من مدينة هرر في أثيوبيا، وتنقّل بين العديد من المدن العربية كما تقول سيرة حياته التي تذكرها كتبهم ومطبوعاتهم.

Telegram: SOMRLIBRARY

وقد زار القدس وأقام فيها. ثم أقام في دمشق، وما زال بعض المشايخ في دمشق يتذكرون الشيخ الهرري، ويروون عنه الذكريات والقصص. ويقال بأن أهل الشام طردوه من أحد جوامع دمشق بعدما بدأ يصرح بفكره الجديد. وقد تنقل بين حمص وحلب وبعض المدن السورية. ويقال بأنه أقام لفترة في مكة والمدينة، ثم انتقل إلى لبنان ومكث في بيروت. وهناك بدأ دعوته ونشر أفكاره وأنشأ جماعته. ومن بيروت انتشرت أفكار الجماعة إلى بلدان غربية عديدة. فوصلت أفكارهم إلى الولايات المتحدة وكندا والعواصم الأوروبية كلها.

قدم الهرري إلى بيروت سنة 1950.

ويقول نص أحباشي:

«.. نحن لا نفضّل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام، ونقول نبيٌ واحدٌ أفضلُ من جميع الأولياء. نؤمنُ بما جاءَ من كراماتهم، وما صحّ عن الثقاة من رواياتهم..»

وللأحباش أعياد واحتفالات خاصة لايحضرها إلا أتباع الطريقة. وتكون دوماً مختلطة رجالاً ونساءً وأطفالاً. وتقام في الجوامع الخاصة بهم. يعزفون وينشدون ويطربون... وللأحباش مكتبة موسيقية خاصة بهم. فقد أنتجوا أكثر من مائة أغنية. وكلها تمجد شيخهم الهرري وطريقتهم، إضافة إلى تمجيدهم الرسول الكريم وأهل البيت ومشايخ الصوفية القدماء.

موسيقى القوّالي الصوفية

امتدت الطرق الصوفية شمالاً، فوصلت إلى باكستان وأفغانستان وشرقاً إلى الهند وطشقند وأندونيسيا والصين. وحملت الصوفية معها ما ابتكرته من فنون وموسيقى وعروض مسرحية.

Telegram: SOMRLIBRARY

ففي باكستان طريقة (مدني) وهي تنسب إلى شيخها الذي يحمل الاسم نفسه. وتتخصص هذه الطريقة بالإنشاد الديني، ويلبس رجالها أزياء خضراء اللون، وقد امتلكوا قناة فضائية تحمل اسم فرقتهم MADANI.

المنشد الصوفي فايز علي فايز ينحدر من مدينة شرقبور الباكستانية، وهو رائد موسيقى القوّالي الصوفية الكلاسيكية هناك. ويعتبر خليفة للموسيقار الكبير نصرت فاتح علي خان، يمارس فنّ موسيقى القوّالي الروحية المتوارثة عن الأجداد منذ سبعمائة عام.

تنتشر الموسيقى الصوفية انتشاراً واسعًا من السنغال وحتى إندونيسيا. وموسيقى القوّالي الصوفية نشأت في باكستان قبل سبعمائة عام، وذلك عندما جاء بعض العلماء والأولياء المسلمين إلى شبه القارة الهندية. ويتم أداء هذه الموسيقى في غناء جماعي، ويرافقه عزف على آلتي أرغن وآلات إيقاعية، وتصفيق حسب الإيقاع والغناء.

والنصوص تمجّد الأولياء الصوفيين والأنبياء. وكذلك ترتبط دائمًا طبيعة هذه الموسيقى وإلى حدّ كبير برأي المستمعين وشعورهم، فموسيقى القوّالي لها ميّزات دينية وكذلك دنيوية. وهذه الموسيقى بدأت في دور العبادة، ولكن يتم عزفها في يومنا هذا أيضًا في صالات الحفلات الموسيقية. ورسالتها هي دائمًا الحبّ.

يقول فايز علي فايز: «يتوجّه الصوفيون أحيانًا بصورة مباشرة إلى الله، بيد أنّهم يستخدمون أيضًا في بعض الأحيان تعبيرات مجازية. وفي آخر المطاف يكون المقصود دائمًا هو الله، إمّا بالاسم أو بين السطور..»

يستخدمون في أثناء الغناء تصفيقًا إيقاعيًا مستمرًا وآلات إيقاعية، وتتكون حلقة دائرية وتتكرّر من دون انقطاع كلمات مقدّسة وبعض الأبيات من الشعر الصوفي بهدف الدخول إلى حالة نشوة.

Telegram: SOMRLIBRARY

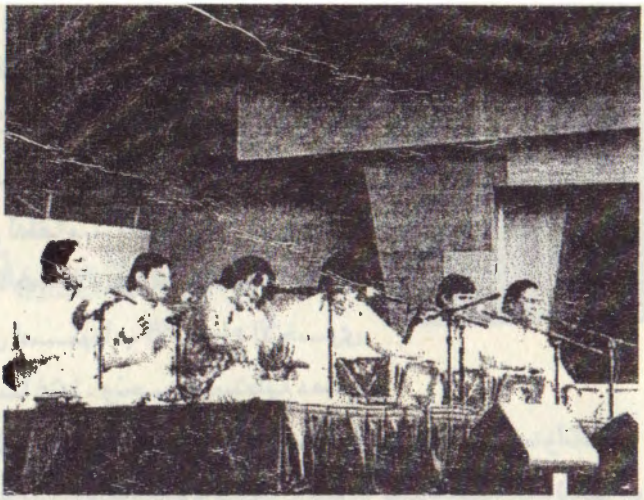

وفي الأبيات الشعرية تعبير عن الشوق إلى معشوقة أو معشوق وعن الشعور باليأس بسبب البعد عن هذا الشخص. يتوجّه الصوفيون أحيانًا بصورة مباشرة إلى الله، بيد أنهم يستخدمون أيضًا في بعض الأحيان تعبيرات مجازية.

وتعدّ المناطق التي يتم فيها غناء موسيقى القوّالي في يومنا هذا من أخطر المناطق في العالم، فهناك إسلاميو القاعدة وطالبان الذين يحاربون هذه الفرق الموسيقية.

Telegram: SOMRLIBRARY

يقول رئيس الفرقة فايز علي:

« ... القوّالي هي أفضل وسيلة على الإطلاق من أجل الدعوة إلى التعايش السلمي بين الناس، يمكن أن تجعل الناس لطفاء... الموسيقيون الروحيون وضعوا هذا الأسلوب بحيث يكون قادرًا على استيعاب الأنواع الأخرى واستساغتها. ونحن نستطيع دمج الموسيقى شبه الكلاسيكية من شمال الهند، والتهمري، وأناشيد الشعر الصوفي التي يطلق عليها اسم الكافي أو حتى شعر الغزل في موسيقى القوّالي. ولهذا السبب إنّ هذا الفن خُلق أكثر من غيره من الأساليب الأخرى في شبه القارة الهندية..»

Telegram: SOMRLIBRARY

الفصل الرابع

الموسيقى الدينية عند الشعوب الأوروبية

كانت الديانات الأوروبية تقدس الأصنام والأشخاص والحكام. وتعبدها جميعاً وذلك حسب المراحل الزمنية. وكانت لهم آلهة متعددة منها الحيوانات والأصنام والأموات والحكام والحكماء. والحقيقة أن هذه العبادة وهذه الاحتفالات الدينية هي التي أسست المسرح والدراما والموسيقى الحديثة. إذ لم يُحدث الأوروبيون قطيعة مع ماضيهم الفني المسرحي والموسيقي، بل قبلوه ووافقوا على تطويره في كل المراحل الزمنية المتلاحقة. حتى عندما دخلت المسيحية إلى أوروبا منحوا المسيحية طقوساً تتخللها الموسيقى والعروض الاحتفالية المبهجة. وعندما دخل الإسلام إلى الأندلس ازدهرت وتنوعت الموسيقى والفنون عند المسلمين الأوروبيين أنفسهم.

لقد تعرف الأوروبيون على طقوس احتفالية موسيقية دينية من خلال احتكاكهم بالشرق، فأخذوا عن الفرس وقدماء العرب كثيراً من الفنون الطقوسية الدينية القديمة.

لقد كتب الفيلسوف اليوناني أرسطو في كتاب الشعر:

« ... إن لدى الناس منذ الطفولة غريزة التشخيص ومن هذه الناحية يختلف الإنسان عن الحيوانات الأخرى في أنه أكثر قدرة على

Telegram: SOMRLIBRARY

المحاكاة وأنه يتعلم طرق تشخيص الأشياء.. وأن للإنسان المتعة واللذة التي نحصل عليها من عملية التشخيص هي تحول الحياة إلى مسرح..»

وقد ابتدع اليونانيون فرقة موسيقية مسرحية دينية تسمى بالجوقة. فالجوقة أو الكورس أو الكُورَال هو مجموعة من الأشخاص، تقدم الفن الغنائي وتتكون من مطربين أو مغنين. والجوقة تنسب إلى الموسيقى اليونانية القديمة التي كانت موجودة في المسرح أثناء أداء المآسي، مثل الصوت الخارجي الذي يسرد المشاهد الخارجية.

وكان الإعداد للمسابقات الدرامية الدينية يتطلّب أكثر من ستة شهور. فمن اللحظة التي يتولى فيها المسؤولون الرسميون مسؤولية الأعياد كان من أولويات مهامهم اختيار ثلاثة شعراء من المرشحين للمسابقات ومنحهم «جوقة».

وكان الاختيار يتطلّب الأخذ في الاعتبار معايير ذات طابع سياسي وأيديولوجي أو فكري. ويتحمّل الممول تكلفة الأقنعة والملابس المسرحية.

ومهرجان ديونيسيا هو احتفال كان يتم لتكريم الإله ديونيسوس،

Telegram: SOMRLIBRARY

وكان يجري في أثينا وبين الشعوب الأتيكية والأيونية في جزر بحر إيجة وآسيا الصغرى، وفي أتيكا كان هناك احتفالان يقامان سنوياً:

عيد ديونيسيا الأصغر وكان يتم في الريف لأربعة أيام بين 19 و22 ديسمبر، حيث يتم تذوق النبيذ الجديد، وكانت ترافقه الأغاني والرقص والعروض المرتجلة للفنانين الجوالين الذين اجتمعوا مع أناس آخرين من المدينة ليشاركوا ويشاهدوا الألعاب الريفية، وكانت التسلية المفضلة هي الأسكولياموس أو الرقص على رجل واحدة على كيس جلدي ملطخ بالزيت.

وعيد ديونيسيا الأكبر، وكان يتم في مدينة أثينا لستة أيام بين 28 مارس و2 أبريل، وكان يتم ابتهاجاً برحيل الشتاء وقدوم الصيف، حيث كان يعتقد بأن ديونيسوس خلص الناس من الحاجة والمتاعب في الشتاء. وكانت الطقوس الدينية تظهر الصورة القديمة للآلهة التي جلبت من إليوثيراي إلى أثينا، من معبد قديم في لينايوم إلى الأكروبوليس، ثم يعودون بها مجدداً، ويرافقهم جوقة من الأولاد وموكب يحمل الأقنعة ويغني الديثيرامبوس (أناشيد دينية كانت تغنى على شرف ديونيسوس). وكان الاحتفال يبلغ ذروته بعرض المسرحيات التراجيدية والكوميدية والساخرة في مسرح ديونيسوس الكبير.

ويشارك في العيد أكثر من 150 راقصاً في العروض الدرامية، وأكثر من ألف كانوا يشكلون فرقة منشدي الكورسات الديثرامبية. فقد كان الإعداد لهذه الاحتفالية يستغرق شهوراً كثيرة.

ولإضفاء الصفة الدينية على المهرجان، كان يتم تقديم الأضاحي قبل العروض الدرامية، وهي عبارة عن خنزير يذبح ويُنثر دمه في المسرح وعلى الجمهور

Telegram: SOMRLIBRARY

للتطهّر. وهذا الطقس الديني الدموي يذكرنا بقصة رويت في العهد القديم، وهي أن ذبح النبي موسى القرابين الكثيرة وقام بجمع الدماء في طست كبير، ثم رش الدم على الحاضرين.

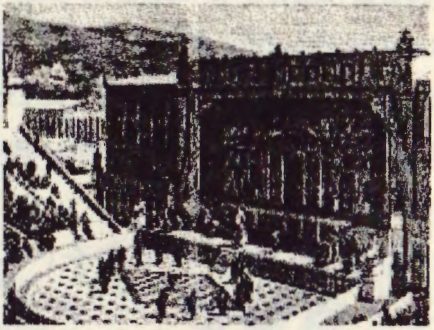

والنصوص اليونانية القديمة جاءت منسجمة مع العقيدة والطقوس الدينية السائدة آنذاك، والتي تشكل قاعدتها الاحتفالات الديونوزوسية أو الباخوسية. وتشكل الأناشيد العنزية أو(الديثرامب) العمود الفقري فيها، هذا إلى جانب الرقص والغناء المرافق لتلك الأناشيد.

Telegram: SOMRLIBRARY

أسطورة أوريستيس

الأساطير اليونانية كثيرة جداً، وكانت منظومة شعراً. فيتناقلها الناس، ويرويها الشعراء، ويتغنى بها المنشدون. وهي أساطير دينية تتركز موضوعاتها على تكريم الآلهة وتمجيدهم ووصف بطولاتهم وقوتهم. ووصف جماليات وسحر الآلهات الإناث. وكانت بعض هذه الأساطير تصاغ مسرحياً، فتعرض على الجمهور، والهدف منها تعظيم الملك والحاشية، وتكريم نسل الآلهة البشرية.

قامت كليتمنسترا وعشيقها إيجستوس بقتل زوجها أجاممنون بعد عودته من حرب طروادة. وقامت إلكترا خوفًا على شقيقها أوريستيس، الذي كان في خطر، بتهريبه من القصر الملكي.. وعندما كبر أوريستيس، أمره الإله أبولو بالانتقام لمقتل والده بقتل كليتمنسترا. وعاد أوريستيس إلى بيته وقتل أمه وإيجستوس. ومنذ ذلك الحين حولته الفيوريات، أي آلهات الانتقام الثلاث، إلى مجنون. ذهب أوريستيس أخيراً إلى أثينا. وفي أثينا برّأه المحلفون من المذبحة التي ارتكبها وحرروه من ذنبه ومن إلهات الانتقام. تزوج أوريستيس فيما بعد من هرميون ابنة هيلين الطروادية ومنيلاوس ملك اسبرطة.

يوريبيديس

ولد الشاعر اليوناني يوريبيدوس في سالامينا في سنة 480 قبل الميلاد. ثم قدم أولى مآسيه في إحدى المسابقات فنال المركز الثالث. وتركز مسرحياته على مبدأ العقاب الإلهي.

ولد أرستوفان Aristophanes سنة 446 وتوفى 386 ق. م

كان كاتب مسرحيات كوميدية شهير وغزير الإنتاج في أثينا القديمة.

Telegram: SOMRLIBRARY

الديثورامبوس

كان الديثورامبوس Dithurambos، أغنية دينية للإله ديونوسو، ويتخذون أسطورته موضوعاً لأناشيدهم، فيتحدثون عن ميلاده، ويتناولون حياته بالتفصيل، ويصفون الأخطار التي واجهها. وكان الشاعر يضم إليه جماعة من الناس، يلقنهم بعض الأبيات التي تفيض بالحزن والأسى، يرددونها أثناء الإنشاد، وكان أفراد هذه المجموعة (الجوقة فيما بعد) يرتدون جلد الماعز ليظهروا بمظهر الساتوري Saturoi أتباع ديونوسوس. وكان هذا الكورس الراقص مكون من الرجال والشباب من الذكور بمصاحبة الناي.

والكلمة ديثورامبوس، هي أحد الألقاب القديمة التي أطلقت على الإله ديونوسوس، وهي كلمة تستعمل للتعبير عن الإله وأيضاً عن الأغنية الدينية.

Telegram: SOMRLIBRARY

مسرح ديونوسوس في اثينا بني الأكروبوليس في القرن الثالث الميلادي

فالمسرح اليوناني القديم هو المسرح التقليدي الذي ازدهر في اليونان القديمة في الفترة بين (220 ق. م - 550 م). وقد كانت القوة السياسة والجيش في اليونان خلال تلك الفترة هي المحور الرئيسي لفن المسرح في اليونان القديمة. وقد كونت التراجيديا في أواخر القرن

Telegram: SOMRLIBRARY

السادس قبل الميلاد، والكوميديا (486 ق. م). وكان للمسرح اليوناني القديم تأثير كبير على الثقافة والدراما الغربية فيما بعد.

اندفع العامة نحو عبادة هذا الإله الجديد ديونيزوس، وكأنما أرادوا بذلك أن ينتقموا من الأسر الأرستقراطية بصورة جديدة، فعبدوا إلهاً غير آلهتهم القديمة، وارتبط ذلك بالفن الجديد.

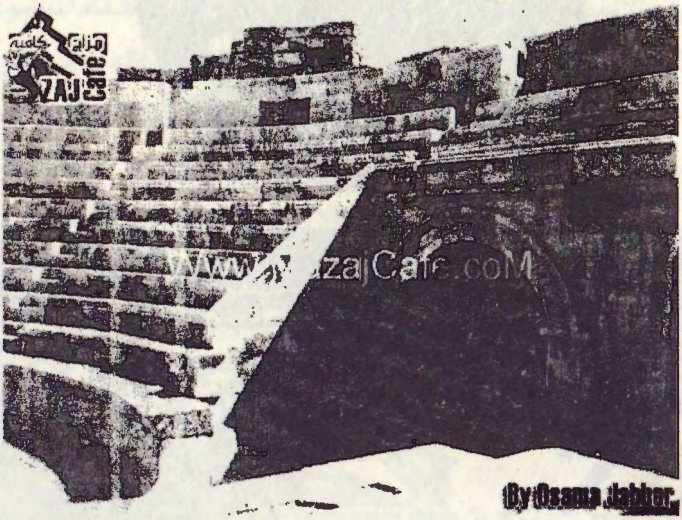

لمس شعراء أثينا تأثير الدين في نفوس الناس فجعلوا أبطال مسرحياتهم من الآلهة ونسبوا إليهم أهم الأدوار وجعلوهم يتحكمون في مصائر البشر. فكان ايسخولوس يشيد بهم دائماً ويتغنى بعدلهم ويمجد سلطانهم. فزيوس عنده هو الإله الأكبر العادل الذي لا يظلم أحداً. والقاهر لكل عنيد جبار.

كما عاش سوفوكليس في عصر تحررت فيه العقول على يد الفلاسفة الذين علموهم كيف يتأملون في ظواهر الكون وينبذون التقاليد والمعتقدات القديمة التي كان يؤمن بها أهل أثينا.

Telegram: SOMRLIBRARY

فقد كان العرض المسرحي جزءاً من احتفال رسمي مقدس. فنشأ المسرح كباقي الفنون الأخرى في أحضان الدين. ويظهر جلياً ذلك في ارتباط المسرح بالمعبد، فقد كان يُقام بجواره. ونجد في وسط الأوركسترا مذبحاً لتقديم الأضاحي للإله ديونوسوس قبل وبعد الاحتفالية الدينية.

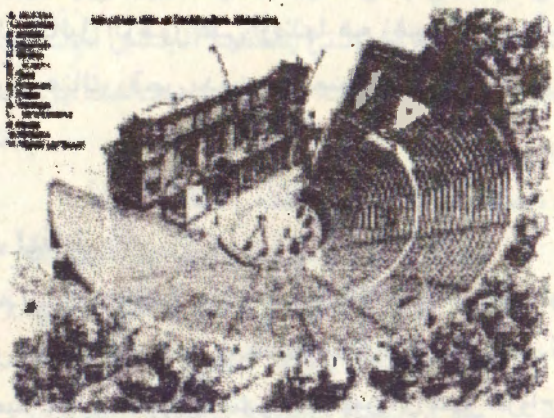

مسرح يوناني قديم

فالمسرح ديني النشأة وظل الدين مجالاً له ويعتمد عليه في تعليم الشعب وشرح الطقوس والمراسم وتلقين الشعب مغزاها وعظاتها.

وفي العروض ملهاة ونكات، وأحياناً أخرى يعبّرون عن الحزن العميق المصحوب بالشكوى والأنين.

لقد كان الإله ديونيسوس يصطحب في جولاته ومغامراته جماعة مهرّجة من المخلوقات الأسطورية لا تمثل قوى الطبيعة المختلفة فحسب وإنما تمثل أيضاً انفعالات الإنسان وعواطفه، وكان أغلب هؤلاء الممثلين الأتباع يسمون بالساتير، الذين يسكنون الجبال والأحراش والغابات. وهى مخلوقات أسطورية تتصف بالوقاحة وبأن نصفها إنساني والنصف

Telegram: SOMRLIBRARY

الآخر حيواني، ولها شعر كثيف وآذان مدببة، بارزة وسيقان كأرجل الماعز.

كانت الدراما في دور التكوين في تلك الأعياد التعبدية، وكانوا يبيحون لأنفسهم قسطاً من الأعمال المتحررة. فالحياة أبدية وعند قيام مراسم ديونوسوس صانع الرقص لا يوجد رجل في المدينة لا يرقص، وينثر الأهالي أكاليل الزهور على أرضها مع زهور الربيع رمز التجدد والبعث. فليس هناك رقص بدون ديونيسوس وبدونه لا تكون الفصول الأربعة ممتعة.

عيد لينايا

اسم لينـاي **Lenae** يعني النساء اللاتي مَسَّتهن لوثة حب ديونوسوس ففي رحاب معبد **Lenaion** لينايون المقدس كان يُقام الاحتفال بعيد عصر العنب في شهر جاميليون أي شهر الزواج نسبة إلى الاتحاد الديني للإلهين زيوس وهيرا.

فكان الفن الموسيقي والمسرحي اليوناني هو أحد مظاهر تطور العقل والفكر عند الإغريق، هذا التطور أسهم في تطور الفكر الديني الوثني في تلك العصور، ما أدى إلى تحرر العقل من عبادة الآلهة الوثنية، فكانت الأمور تتكامل وتتفاعل وتتطور مع بعضها البعض بالتوازي. فالفن الذي ولد من الديانة الوثنية ليخدمها نراه تمادى على الديانة نفسها واتخذ طريقاً منفرداً مبتعداً عن الدين.

وقد جعل المسرح معبداً مقدساً. وتطور هذا الفناء المقدس تدريجياً، اعتباراً من القرن السادس ق. م. وفيما بعد أُنشئ أول بناء مسرحي. وقد اكتمل مبكراً نسبياً تشكيل الصورة المميزة للمسرح الإغريقي لجميع العصور.

Telegram: SOMRLIBRARY

احتفالية الجنس المقدس

كانَ الجنسُ عبادةً، وطقساً منْ طُقوس التقَرُّب منَ الأرباب، وكانَ طقساً منْ طُقوسِ الخصْب. كانَ الإنسانُ القديمُ يَرْبطُ بشكْلٍ مُباشرٍ بينَ العمليَّة الجنسيَّة، وعمليَّة خصْب الأرض الزِّراعيَّة، هذه الرُّؤيةُ للفعْل الجنسيِّ جعلَ الآلهةَ القديمةَ تتباهَى بفعْلهَا الجنسَ، برَغباتهَا الجنسيَّة، وبالمُتع الَّتي يُحَقِّقُهَا الجنسُ للإنسان؛ وكانت قصائد الشعر والمديح المخصصة للإلهات تصف جمالهن وملابسهن، وفوح عطورهن...

وهذه «عشتارُ» رَبَّةُ الجنس المُقدَّس تتباهَى قائلةً:

بعدَ أنْ أستَحمَّ منْ اجلِ الرَّبِّ، منْ أجلِ الثَّورِ البَرِّيِّ.
بعدَ أنْ أُزَيِّنَ أعطافي وَأطلي بالعَنْبَرِ ثَغْري،
بعدَ أنْ أكحِّلَ بالإثْمِد عَيْنَيَّ،
بعدَ أنْ يحتوي خَصْرِيَ براحَتَيْه المَليحَتَيْن،
بعدَ أنْ يَضْطَجعَ الرَّاعي «دوموزي» إلى جانبي،
بعدَ أنْ يُمَسِّدَ حِضْنيَ باللَّبَنِ والقِشْدَة....

❖ ❖ ❖

ويَوْمَ زُفَّتْ «عشتارُ» إلى «دوموزي»، نجدها تغني شعراً:

الرَّاعي أتَى بالزُّبْدَة إلى البيتِ المَلَكيِّ.
وأمامَ البابَ نادَى:
افتَحِي البابَ سيِّدتي افتَحِي البابَ.

❖ ❖ ❖

Telegram: SOMRLIBRARY

وهَا هِيَ أُمُ «إنانا» تتغنى بأبيات شعرية وتقولُ لابْنَتِهَا:

«أيْ بُنَيْتِي.! الفَتَى سيكونُ لَكِ أَبَاً،
الفَتَى سيكونُ لَكِ أُماً،
اَفْتَحِي البابَ بُنَيْتِي،

وتقول القصيدة في وصف أفروديت:

أنا أغني لأفروديت العظيمة
المتوجة بالذهب
التي تهيمن على عالم الحب والجمال
تفوح منها أنفاس طيبة ورياح غربية منعشة
لها فوح أمواج البحر الصاخبة
تلك التي تئن على الشواطئ وتزيد
وتسطع نوراً بلون الذهب البراق
ترتدي رداء وهبتها إياه السماء
تعلّق في أذنيها أقراطاً من الذهب والعنبر الثمين
القلائد الذهبية تزين عنقها الجميل
الذي يشبه الثلج الأبيض
عشاقها يرقصون رقصات جميلة في الغابة
ويحتفلون بها مع أمهاتهم
يرتدون أجمل أثوابهم ويضعون زينتهم
يصلّون لها، ويقدسونها
الإلهة ديفا تذهل من جمال أفروديت

Telegram: SOMRLIBRARY

يدهشها البنفسج الذي يتوجها
فتصبح صديقة لها
إنها من شدة الحب تخجل وتذبل عينيها

❖ ❖ ❖

أفروديت الخالدة
يا ابنة كرياتريس
أيتها الساحرة أنشد لأجلك
أناشدك
يا ملكة
إن العذاب والألم الذي يسحق روحي
اسمعي صوتي من بعيد
أناشدك أن تأتي إليّ
وأن تغادري حضن أمك
فأنت ملاك ذهبي
يتجلى في عربة مربوطة مع الإله
جناحاك أسطول
سرعان ماتصلين إليّ
من مكان لانهائي تأتين
تتزلجين فوق الماء
تجتازين الظلمات الأرضية
وتنزلين من السماء
أنت ربة مباركة

Telegram: SOMRLIBRARY

مبتسمة الوجه تأتين
الويل لي الآن
لماذا كنت قد اتصلت بك؟
يمتلئ قلبي بجنون الرغبة

❖ ❖ ❖

وتقول قصيدة مخصصة للآلهة أيريس:

نغني لأجل أيريس الآلهة
التي نشأت عن رغوة كثيرة
هي التي تخلق وتدمر الكون
هي التي ترقص وتعبر المسافات
من العاصفة تأتي، من حيث النجوم
هي التي تنتزع أرواحنا من لحمنا
ثم تعيدنا إلى أجساد أخرى جديدة
إن عاشق الموت ومحب الحياة
يرقص على حافة سكين

الإنيادة أشعار مقدسة

ملحمة الإنيادة التي كتبها فرجيل، المولود شمالي إيطاليا في القرن الأول قبل الميلاد، تروي قصصاً أسطورية تصور أصل الشعب الروماني قبل تأسيس روما بزمن طويل، وقد نظمت على طريقة الشعر البطولي الذي عرف في العصور القديمة. وملحمة الإنيادة بمختصرها تروي قصة أحد أمراء طروادة (إينياس) الذي فرّ منها ناجياً مع

Telegram: SOMRLIBRARY

محاربين من قومه، لينفّذ أمر الآلهة له ببناء مملكة جديدة للطرواديين. وأصبحت الإنيادة أشعاراً دينية مقدسة يقولها الشعراء الجوالون الذين تنقلوا بين البلدان القديمة.

وصارت الإنيادة الكتاب الرئيسي للعالم الغربي لسنين طويلة. وكان يعاد نسخه ثم طباعته مرة كل عام على الأقل ويوزع في أوروبا كلها.

إنها أشعار بطولية، تحمل أفكار العقائد الوثنية. وتمجد الآلهة والآلهات. وتحمل موضوعات دينية كثيرة، منها القدر، والعقاب الإلهي، وأساليب التقرّب من الإله وعبادته. وشكر الآلهة بتقديم الأضاحي. وتحمل الإنيادة أيضاً وصفاً دقيقاً للمهرجانات الدينية الوطنية، وهي احتفالات لتكريم وشكر الآلهة، توزع فيها الأطعمة والخمور، ويلهو الجميع رجالاً ونساء، يمرحون ويرقصون، وتعزف الموسيقى، ويتخذ كل رجل خليلة له في نهاية الحفل.

ننقل هنا بعض الأبيات من الإنيادة:

« ... وتدّخلَ نبتون، الذي استخدم خطافه العظيم
لسحب السفن المتهالكة نحو الرمال
فأبحروا نحو ليبيا حيث توجد جزيرة ومرفأ طبيعي
لجأ إليها إينياس وجنوده، واستلقوا على الرمال مبتهجين
وكانوا منهكين وجائعين
فضرب أشات الحصى والحجارة
ووقف إينياس على الشاطئ يحدق في الأفق
فرأى ثلاثة أيائل تتسلح بقرونها الطويلة
تناول قوسه وقذف سهامه الضاربة
فقتلها وعاد بها إلى رفاقه عند الشاطئ

Telegram: SOMRLIBRARY

ووزع عليهم الخمر الذي كانوا يحملونه في السفن
ثم قام رفاقه بإعداد الأيائل والطرائد، فسلخوا جلودها
وبقروا بطونها، وقطعوا لحومها. وغرسوها في الأسياخ لشيّها
وبعد تلك الوجبة الدسمة استعاد الطرواديون قوتهم المستنفذة
نظر الإله جوبيتر من أعلى السموات، وتوقف عند قمة الأولامب
وركّز بصره على ممالك ليبيا.

فقالت له فينوس:
يا من تخضع لقوانينه أقدار البشر
يا من ينزل الصواعق فيخيف الناس
ماذا ارتكب ابني إينياس من أخطاء لتفعل به ما تفعل
وتعذبه ورفاقه الطرواديين.؟
فمن أصلابهم سينحدر على مر القرون الأسلاف
الذين سيسيطرون على البر والبحر
فأنت وعدتنا بذلك
هل غيّرت رأيك في هذا الوعد؟
إنه الأمل الذي ينسيني آلام طروادة

ابتسم أبو الآلهة والبشر وقام وقال لها:
اطمئني يا بنيتي.. يا فينوس..
والآن سأخبرك بالقدر المكتوب وبأسراره
فلسوف يقود إينياس حرباً ضروساً في إيطاليا
وينتصر على الشعوب المتوحشة
وسوف نحمي أنا وجونو الرومان الذين سيحكمون العالم

Telegram: SOMRLIBRARY

ومن هذا النسل الطروادي النبيل
سيولد يوليوس قيصر ويصبح إمبراطوراً عظيماً
وسوف يمد سلطته إلى المحيط
وستصل شهرته إلى عنان السماء...
فقد تمركز إينياس في قرطاج التي كانت مدينة لبيبة.
وعشقته ملكة قرطاج (السورية) التي قدمت من مدينة صور اللبنانية،
فرفض أن يتزوجها، السبب الذي جعلها تنتحر وتمزق مملكتها.
.....
وخرجت من أطيافها روائح الرحيق الذي هو غذاء الآلهات.
وتلألأ عنقها بلون وردي ناصع
وانسدلت طيات ردائها، فانكشف جسمها وقدماها
وبدا من خلال مشيتها بأنها آلهة
وعمّ المكان نفحة إلهية
فتطاير شعرها مع النسيم، وفاح منه عبيرها
فعرفها بأنها أمه
وقال لها: لماذا تتنكرين وتخفي نفسك عني؟
ولماذا لا تمنحيني فرصة أن أهنأ بمصافحتك يا أمي؟
لكنها مضت دون أن تجيب على سؤاله
ومضى هو ورفاقه إلى المدينة..
فأحاطته الآلهة فينوس بغيمة كثيفة تخفيه هو ورفاقه عن العيون
كي لا يؤذيه أحد هناك..
وارتفعت الآلهة وارتقت في أعالي السماوات عند بافوس
وكان الصوريون ينقلون الأحجار الكبيرة
ويشيدون جدران وقلاع مدينتهم

Telegram: SOMRLIBRARY

ويعمل آخرون بحفر الخنادق وتشييد البيوت.
ورأى الشابان الغازيان للبلدة كيف تبنى المسارح
ورأيا أيضاً انتخاب القضاة والمستشارين
فصاح وهو يتأمل تلك الصخور الكبيرة:
يا لسعادتهم حينما يشيدون مدينتهم ويحصنونها !.
وامتزجا بالجماهير دون أن يلاحظ وجودهما أحد
وولجا الغابة الصغيرة
وفيها يستخرج الرجال رأس حصان
أرشدتهم إليه الإلهة جونو
ليكون لهم بشرى وتفاؤل وحماية
وليكسبوا الثروات وينجحوا بأعمالهم.
هناك أقامت ديدون معبداً كبيراً للآلهة جونو
تكثر فيه القرابين والتقدمات للآلهة
وقف يتأمل ذلك المعبد وتقديم القرابين فيه
وشعر بالأمل والتفاؤل، وانتظر قدوم الملكة
وأعجب بأعمال الفنانين الموهوبين
الذين ابتدعوا لوحات تمثل تلك الحروب الطاحنة الشهيرة
ثم دخلت الملكة ديدون وهي تتلألأ جمالاً وروعة
فجلست تحت قبة المحراب على العرش المرتفع
وتحلّق حولها الشباب والفرسان ليحرسوها .
.....

وأمام عرشها الكبير، تقدم إليونييه وقال:
أيتها الملكة العظيمة الجليلة

Telegram: SOMRLIBRARY

يامن أعطاك الإله جوبيتر كل السلطة والقوة والمنعة
وهيأ لك فرصة إنشاء مملكتك الجديدة هنا في قرطاج
وأخضعَ لأمرك وتحت نير قوانينك أقواماً عتاة
نرجو أن تضعينا في الحسبان وترعي شؤوننا
كان ملكنا يدعى إينياس، وكان أشهر البواسل وأكثرهم تقى
انطلقت ضجة في القصر تعبّر عن الإعجاب بخطاب إليون

وبعد ذلك عبّرت الملكة ديدون عن رأيها بإيجاز وقالت:
أيها الطرواديون.. أبعدوا الخوف عن قلوبكم
فالحراسات الشديدة التي رأيتموها كانت من قِبل الاحتياطات الواجبة،
فبطلكم إينياس غني عن الوصف
وقد وصلت أخبار انتصاراته وبطولاته إلى كل مكان
فنحن فينيقيون نمتلك قلوباً مرهفة ومشاعر طيبة
ومدينتنا قرطاج ليست ببعيدة عن تلك الأحداث
التي شهدتها مدينة ساطعة كالشمس
فإن أردتم العودة إلى بلدكم، فسنكون بعونكم
وإن رغبتم في البقاء هنا، فعلى الرحب والسعة
وستكون هذه المدينة مدينتكم
وتكونوا كأبناء مدينتي الصوريون
وأرجو أن يكون ملككم إينياس على قد الحياة
ولذلك سأدفع برجالي ليبحثوا عنه على طول شواطئ ليبيا

Telegram: SOMRLIBRARY

وعندما اطمئن إينياس على الترحيب به. أنار وجهه بالسعادة
وقال له رفيقه أشات:

يا ابن الآلهة فينوس العظيمة..
هاقد اطمئن قلبك على أسطولك ورفاقك
فقد استجابت الآلهة لأمك وأنقذتهم من الغرق.
فماذا أنت فاعل الآن؟

عندئذ اختفت الغمامة التي كانت تغطيهما وظهرا على حالهما

وبدا إينياس مضيء الوجه كالآلهة
ودهش الجميع على ظهوره بينهم
فتقدم إينياس نحو الملكة ديدون وقال لها:

ها أنا ذا إينياس الذي أردت أن تبحثين عنه
فقد أنقذتني الآلهة من بين الأمواج والأعاصير
أقدم لك شكري الكبير أيتها الملكة الجليلة
فأنت خير من آزر الطرواديين البؤساء
استقبلتهم في مدينتكم وأقاموا في بيوتكم
أدعو الآلهة أن تجزيك عن هذا أكبر جزاء
أصاب الملكة ديدون الذهول
وشعرت بالأسى على المصائب التي واجهتهم

فقالت له:

إينياس.. يا ابن الآلهة فينوس.. وابن أنشيز
أنت ملك الإغريق..
قل للمحاربين الشباب الذين يتبعونك

Telegram: SOMRLIBRARY

أن يدخلوا إلى البيوت ويستريحوا
فأنا أصابني من قبل مثل ما أصابكم..
عانيت من البؤس، فتعلمت أن أنجد البؤساء.

ثم أخذته إينياس إلى قصرها الرحب. وأقامت صلوات الشكر لأجل الآلهة التي أنقذتهم، وأمرت بإعداد الأطعمة، وأرسلت لرفاق إينياس عشرين بيضة ومائة خنزير، ومائة خروف، وفي القصر نظّمت الولائم الطافحة، ومدّ البلاط بسجّاد أرجواني لامع. ووزعت الأواني الفضية على الطاولات، وعرضت المزهريات المزينة التي تحوي رسوماً جميلة تمثّل التاريخ العريق لأجداد الملكة ديدون.

الكوميديا الإلهية

كتبها الشاعر الإيطالي دانتي أليجيري شعراً مقفى. وتحكي قصة رحلة خيالية إلى عالم الآخرة، استغرقت سبعة أيام، زار فيها الجحيم والمطهر والفردوس. ويضع دانتي نفسه أثناء الكتابة في مقام الرب. فهو الذي يضع كل شخص بحسب أعماله في مكانته التي تلائمه. بل إنه وضع من لم يأت بذنب في الجحيم. وحتى يومنا يتعذر على الإيطاليين الاعتراف بتأثر دانتي بكتاب حي بن يقظان، لأنهم يعتبرون الكوميديا الإلهية كتاباً دينياً مقدساً متوارثاً. وقد لعب هذا الكتاب فعلاً دوراً في تأسيس جماعة دينية شبه صوفية متأثرة بالتراث الإسلامي، وكنائسها لاتزال قائمة في إيطاليا حتى اليوم.

يقول دانتي في الكوميديا:

واعلم يا بني بأن قسماً آخر منهم
يغوصون تحت المياه والوحل الأسود

Telegram: SOMRLIBRARY

أولئك يتنهدون من شدة الألم
فتطفو الفقاعات على السطح كما ترى هنا
لقد عاشوا منزوين
رافضين الظهور على السطح
لا يتمتعون ببهجة الشمس
ولا بطلاقة الهواء
فامتلأت أفئدتهم بالدخان العكر
ساعة يسترجع الملاحون ذكرياتهم
يتحدثون مع أنفاس الصباح الأولى
عن البيت الأول
والأبناء والأشرعة والإبحار
حينها يثير القلب ناقوس يدق من بعيد
ويعلن نهاية النهار المتعب
ويتلاشى كل شيء
في لحظة مشابهة رأيت روحاً
يشير في كل الاتجاهات ويلفت الأنظار
يصلّي وينظر نحو الشرق
وانطلقت ترنيمة السهرة عذبة تقول:
«نتقدم نحوك أيها النور»
«لا أعرف إلا أنك أنت هنا»
النغمة العذبة أفقدتني مشاعري
فقدت إحساسي بنفسي وخرجت عن ذاتي
ثم ارتفعت أصوات الجميع متحدة شجية
ترتل بلا توقف

Telegram: SOMRLIBRARY

والأعين مرفوعة نحو السماء
تمعّن أيها القارئ
فإن الحجاب هنا رقيق
يمكن هتكه بسهولة.
ابتهل الملوك وهم واقفون متواضعون
وهبط من السماء ملاكان بارقان
يحملان سيفين ملتهبين منكسرين
يرتديان ثوبين أخضرين
ويرفرفان بأجنحة خضر
حطّا بالقرب من الجمع
وحاصراه بأجنحتهما
الشعر فيهما ذهبي وهّاج
فلم أستطع التمعن في بريقهما
فقال سورديللو:
«جاءا من سماء السيدة العذراء
ليحميا الوادي من الأفعى التي ستطل برأسها المرعب»

السنتولوجيا

العلمولوجيا أو السنتولوجيا كنيسة أوروبية جديدة نشأت في ألمانيا وامتدت إلى أوروبا وأميريكا. وأشعلت جدلاً واسعاً في العالم كله.

لم يكن للسينتولوجيا «كتاب مقدس» بالمعنى الديني، لكن بعد موت زعيمهم هيوبارد جعلوا كتابه «ديانيتيكس» الصادر عام 1955. مقدساً وأساسياً.

ابتدعت السينتولوجيا طقوس جلسات الاستماع للموسيقى

Telegram: SOMRLIBRARY

الخاصة بها وطقوس الاستماع لدروس المؤسس رون هيوبارد . وطقوس الإعداد النفسي والروحي التي تمارسها الجماعة على الفرد المنتسب إليها . حيث يجري إخضاع التلميذ للجماعة ولفكرها . ويفرض عليه نسيان كافة المعتقدات والأفكار السابقة التي كان يتبناها . كما لا يوجد تحريمات تتعلق بمأكولات أو مشروبات معينة، والسينتولوجيا تحارب المخدرات بأنواعها لأسباب طبية وصحية، وتؤكّد على بناء جسم سليم وقوي وخال من الأمراض. كما وتشجع النشاطات الرياضية بأنواعها وبالوقت نفسها تسخّرها لكسب المزيد من الأرباح والتبرعات.

ابتكر هوبارد وسيلة أطلق عليها اسم الاستماع لتصبح هي محور ممارسة واستخدام العلمولوجيا، وقد ابتكروا جهازاً ألكترونياً خاصاً بالجماعة. يمكّن من قراءة الأقراص المضغوطة الخاصة بهم. إذ لايمكن قراءتها على أي جهاز آخر، ويسمى عندهم جهاز (المسمّع). وقد اقتبس هوبارد الاسم من الكلمة اللاتينية audire.

وعندهم جهاز تحليل نفس كهربائي، وهو يعتمد على طريقة التحقيق ويسمى (المقياس النفسي الكهربائي)، وهو عبارة عن آلة شبيهة بالعداد المزود بمؤشر يتصل بها قطبان، وعندما يجلس الشخص أمام المسمّع يمسك القطبين بيديه، فتتدفق طاقة كهربائية قوتها 1 . 5 فولت، وهي أقل من الطاقة اللازمة لتشغيل فلاش الكاميرا، لا يشعر بها الإنسان، ويواجه المستمع مجموعة من الأسئلة، ويتحرك مؤشر العداد وفقاً لإجابات الشخص التي تفجر طاقة ما يلتقطها الجهاز من العقل ويتم تسجيلها علي العداد، ويتم إعداد تقرير عن مشكلات الشخص قبل عرضها على هيئة أعلى، وتجري الجلسة في قاعة هادئة لا يسمح فيها بوجود أي شخص آخر غير المستمع مع المدرب الذي يستمع إليه للحفاظ على أسراره.

وقد ابتكرت جماعة السنتولوجيا معزوفات موسيقية كثيرة

Telegram: SOMRLIBRARY

خاصة بها . وهي تباع بأغلى الأسعار. إذ يزعم مدريوهم بأن للموسيقى السنتولوجية وظائف علاجية ودينية وعصبية إضافة إلى وظائفها التعليمية والتربوية.

قامت الجماعة في مرحلتها الأولى بالسيطرة على عدد من الكنائس وتحويلها إلى كنائس سينتولوجيا . حدث ذلك في الولايات المتحدة ثم في ألمانيا وفرنسا وبريطانيا . كما اتُهمت الجماعة بارتكاب عدد من الجرائم وخاصة اختلاس الأموال. رغم ذلك استطاعت أن تبني مراكز ومبان شاهقة، هي معابد دينية خاصة بها، في كبرى المدن في أمريكا وأوروبا .

وفي كتبهم ينتقدون الأديان كلها . ويأتون بشواهد من الأناجيل والعهد القديم، وكذلك بآيات من القرآن. فالسينتولوجيا تقوم على مبدأ أساسي واحد، وهو تقديس الموسيقى واستغلالها واستثمارها دينياً .

الغنوصيون

الغنوصية هي الديانة القديمة التي كانت سائدة في مناطق شرق المتوسط قبل ظهور الديانات السماوية الثلاث. وهي تقوم على التصوف والتزهد . وبعد ظهور الإسلام استعادت الصوفية قسطاً من فكر الغنوصية، واعتبرت أنها ديانة النبي إدريس. فالغنوصية هي أحد مرجعيات الفكر الصوفي الإسلامي.

وقد امتدت الغنوصية فوصلت أفكارها إلى المناطق الأوروبية وإلى شبه الجزيرة العربية، وفلسطين ومصر.

وذهب بعض المؤرخين إلى أنّ عبادة الشيطان المنحرفة بدأت في القرن الأول للميلاد عند الغنوصيين. وهؤلاء الغنوصيون كانوا ينظرون إلى الشيطان على أنه مساو لله تعالى في القوة والسلطان.

Telegram: SOMRLIBRARY

وتفيد الوثائق التاريخية بأن البوليصيين عبدوا الشيطان، ونقلوا ذلك عن الغنوصية. وكوّنوا في مناطق أوروبية جماعات دينية بوليصية.

عبدة الشيطان

لهذه الجماعة طقوس وممارسات يؤدونها في جميع الأدوار، منذ دخول أي فرد في جماعتهم وحتى نهايته أو انغماسه معهم، وهي على شكلين: طقوس التعميد أو الدخول إلى الجماعة. وطقوس الممارسة أو ما يطلق عليها القداس الأسود.

استمرت الشيطانية في الغرب منذ القرن الأول للميلاد حتى يومنا هذا، وكان إحياؤها في عهد لويس الرابع عشر، في فرنسا، ومنذ ذلك التاريخ لاتزال قائمة حتى يومنا هذا. ويعود غموض تاريخها الحديث لأنها تصنع في أوساط خفية لا تقبل الإعلان عن نفسها.

ظلت طوائف الشيطان في دائرة الظل حتى تم الاعتراف بها لأول مرة بشكل رسمي وعلني في الولايات المتحدة الأمريكية في عام 1966. وذلك حين تحولت أول كنيسة مسيحية إلى كنيسة شيطانية في سان فرانسيسكو تحت حماية قانون كاليفورنيا لحرية الأديان (الذي صدر في العام نفسه). وقد أنشأها قس مرتد يدعى انطوان لاڤي.

لعبدة الشيطان شعراء متخصصون في كتابة الكلمات التي تعظم الشيطان، وتثير الغرائز وتلهبها كما أن لهم ملحنين دمجوا تلك الكلمات بموسيقى صاخبة ذات إيقاع سريع. يسمعون لموسيقى (هيفي ميتال) وموسيقى (هارد روك) وقد ارتبط هذا النوع من الموسيقى بعدة جرائم قام بها شباب في عمر الخامسة عشرة إلى السابعة عشره ينتظر عدد منهم حكم الإعدام على جرائم تقشعر منها الأبدان. ولا يقصر

Telegram: SOMRLIBRARY

الشيطانيون موسيقاهم على أنفسهم بل يقيمون الحفلات العامة وينشرون في الأسواق أغانيهم التي تدعو لتمجيد الشيطان والدعوة للجنس والقتل والانتحار.

فرقه ديسيد deicide واسمها يعنى قاتل الإله. قائد هذه الفرقة هو المدعو كلين بنتون، يقول عندما سُئل عن أهداف فرقته:

نضع موسيقى تدعو إلى الشر بقدر المستطاع لكي نفوز بالدخول إلى جهنم من البوابات السبع وهذه إحدى طرق التعبير عندي منذ انتمائي لعباد الشيطان، عن صحيفة فانتازيا العدد الثامن عشر. Fandamemntalist journal18.

وقد أعلنت ولاية ماليزية حظر نوع من موسيقى (الهيفي ميتال) وهي الموسيقى التي تتسم بالصخب الشديد وتستخدم فيها الآلات النحاسية، وتحوي كلمات موسيقى (البلاك) أو (الهيفي ميتال) كلمات كفر وحثّ على القتل والانتحار والعنف.

موسيقى الهيفي ميتال HEAVY METAL

موسيقى الهافي ميتال Heavy Metal هي صنف صاخب ومثير للجدل من موسيقى الروك. ويميل عبدة الشيطان إلى هذا النوع

Telegram: SOMRLIBRARY

الصاخب من الموسيقى حيث تم توظيفها لتكون الموسيقى طقساً من طقوس عبدة الشيطان. وهي السلاح الأكثر فعالية في استقطاب الشباب والتأثير على أفكارهم وسلوكياتهم، فالموسيقى كما يقول صاحب كتاب عبدة الشيطان (البنعلي): «هي الجسر الراقص الذي تعبر من خلاله تلك الأفكار إلى الشباب»

فهم مع حرصهم على اختيار نوع من الموسيقى ذات الصخب العالي التي تصم الآذان، يحرصون على خلطها بأغانٍ تنشر أفكارهم وتدعو إليها.

وهذه كلمات بعض أغاني، (الهيفي ميتال) أو (الهارد روك)

«أيها الشيطان...

خذ روحي....

ويا غضب الإله

دنسها بالخطيئة وباركها بالنار...

لا بد أن أموت.....

الانتحار

الانتحار....

لابد أن أموت»

فالموسيقى عند عبدة الشيطان وسيلة لتعطيل الحواس البشرية، ونوع من أنواع التخدير العقلي، حتى تُقبل أفكارهم دون تمعن أو تفكر. فالمستمع إلى هذه الموسيقى الصاخبة يغرق في تيه وغموض، ويبدو كأنه غرق في سكرة وفي تحشيش. وإضافة إلى ذلك فهو يدمن على الكحول والمخدرات.

وهذه صورة لما يحدث في بعض حفلات موسيقى البلاك والهفي ميتال، ننقلها عن كاتب حضر حفلاتهم السرية ووصفها:

Telegram: SOMRLIBRARY

« ... تعزف الفرقة الإيقاعات الصاخبة لموسيقى البلاك ميتال، فيبدأ الحفل بتعاطي جماعي للمخدرات أو الخمور، ثم ينطلق مع دوران الرؤوس رقص هائج يتم خلاله تحريك الرؤوس بقوة. بينما الأعين مغمضة، ويرفع الراقصون أذرعهم إلى أعلى كما لو كانوا يدعون شيطانهم الأكبر إلى الحلول بينهم، وهم يلوّحون في الهواء بأيديهم راسمين تحية الشيطان ماداموا اختاروا أن يعبدو الشيطان فكل فعل شيطاني هو ممارستهم. منها الممارسات الجنسية الشاذة. ويلبسون اللون الأسود والأحمر ويفضلون ملابس الجلد الأسود. ويرتدون حلياً من الفضة تحوي رموزهم..»

وعند اليهود المتدينين أدعية للشيطان. على سبيل المثال، يجب على اليهودي أن يغسل يديه قبل الأكل وبعده، ويتلو المؤمنون بالقبّالاه أدعية يُفهَم منها أنها مُوجَّهة إلى كل من الإله والشيطان كقوتين متساويتين. فاليهودية وخاصة الصوفية اليهودية حافظت على نوع من التقديس للشيطان.

شهود يهوه

شهود يهوه جماعة دينية مسيحية بروتستانتية يؤمن أتباعها بعدد من الأفكار المشيحانية الصهيونية. ويعود اسم الجماعة الشائع إلى إيمانها بأن اسم الإله الحقيقي هو «يهوه» وأن الاسم الحقيقي للمسيحيين هو «شهود». نشأت الحركة في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1872 في مدينة بتسبرج بولاية فيلادلفيا. ولهذه الجماعة طقوس دينية تتخللها معزوفات موسيقية ورقص جماعي، وتنشد فيها قصائد غنائية تحمل أفكارهم وتروج معتقداتهم. وتمتلك الجماعة قناة فضائية يمكن استقبالها في منطقة الوطن العربي.

Telegram: SOMRLIBRARY

الصورة: شهود يهوده

تطور الموسيقى الدينية

الأسلوب الباروكي مصطلح يطلق على أشكال كثيرة من الفن ومنها الموسيقى. وقد امتد هذا العصر بين 1600 - 1700 حيث نشأ في أوروبا وامتد إلى القارة الأمريكية.

بدأت أول العلامات الدالة على العصر الباروكي تظهر في الموسيقى الإيطالية بشكل خاص، وهي التأثيرات اللونية التي ظهرت في صورتين: تعدد مجاميع الكورس واستعمال الهرمونية. وكانت موضوعات تلك الموسيقى دينية كنسية بحتة.

الموسيقى الدينية الإيطالية

«القبب الذهبية»، قدمته الأوركسترا السيمفونية الإيطالية، مركزها ميلانو والجوقة الغنائية للكاتدرائية. تعرض هذه السنوات عدة مؤلفات موسيقية دينية إيطالية، «Accademia delle Opere»

ويهدف مشروعها كما قيل إلى رفع شأن أكبر المقدسات المسيحية العالمية، إضافة إلى اطلاع الجماهير العريضة على ما لا تعرفه من المؤلفات الموسيقية الدينية.

Telegram: SOMRLIBRARY

لقد ظلت الكنيسة تحتكر الموسيقى وفنون المسرح، فكان طابع الموسيقى الكلاسيكية لايعدو تصويراً للتقاليد الرسمية، وإفصاحاً لأفكار الطبقة البرجوازية. وقلّ أن تعبر عن نفسية المؤلف، أو تصور

Telegram: SOMRLIBRARY

روحه ومشاعره الفنية. فكانت موسيقى هادئة رزينة، تتقلب فيها الألحان دون أن تحيد عن التقاليد أو العرف الاجتماعي.

ثم خرجت الموسيقى الكلاسيكية من طورها القديم، ومن الدواعي الهامة التي ساعدت على هذه الحركة التطورية أغاني الشعب، والأناشيد الحماسية، فامتدت يد الفنان خارج المعابد، وبدأ يغزو الطبيعة بأفكاره الموسيقية، يفصح عن خفاياها ويرسمها بألحانه ونغماته. كما فعل (بيتهوفن) في السيمفونية السادسة (سيمفونية الراعي). وفي القرن العشرين تحررت الموسيقى والمسرح وفنون العرض في أوروبا ودول الغرب، وتمّ فصل الموسيقى الدينية عن غيرها من أنواع الموسيقى. فنشأت أنواع كثيرة جديدة من الموسيقى وفنون الاحتفال والعرض.

وفي هذا العصر مازال الغرب يحتفظ أيضاً بالموسيقى الدينية، وتقوم بعض الجامعات في دول الغرب بتخصيص كليات لتدريس الموسيقى الدينية. وهناك اثنان وثمانون جامعة وكلية تقوم بتدريس الموسيقى الدينية. ومنها جامعة بوسطن في الولايات المتحدة.

وفي الولايات المتحدة أيضاً دعاوى ومطالب تسعى لتدريس الموسيقى الدينية المسيحية في المدارس العامة. لكن هذه المطالب تصطدم بمبادى الولايات المتحدة التي تمنع ذكر الدين في كل المدارس العامة.

واليوم تشكو الكنيسة الأمريكية من تراجع الاهتمام الديني عند الأمريكيين بدءاً من العام 1960. ويلاحظ الدارسون بأن اهتماماً جديداً بالفنون والموسيقى الدينية المسيحية بدأ يظهر من جديد. كما تكثر الأغاني المستنبطة عن الفنون الشعبية التقليدية، وهي ذات موضوعات دينية، مثل (بيت ميدلر روز) للمطربة مادونا. و(الطريق إلى الجنة).

Telegram: SOMRLIBRARY

و(مصادفة الملاك). وغيرها. وهذه فنون تحمل رسائل دينية مبطنة. ويقال أن تلك نهضة دينية هادئة تستخدم الفن كأداة، وتعبر عن العواطف الروحية بواسطة الموسيقى.

وفي أكبر وأهم كنيسة في شيكاغو، تم تأليف مقطوعة موسيقية خاصة، تشمل الأوركسترا والجاز والروك وموسيقى البوب، والتمثيليات والمسرحيات ومقاطع الفيديو، ونصوصاً من الكتاب المقدس. وتم بثها تلفزونياً. ويقال إن رواد الكنائس هناك يشعرون بحيوية خاصة وبنشاط عصبي بفضل تلك الأنواع الموسيقية. ومن خلالها كما يقولون، يكتشفون الله والوجود. إيفيت فلوندر، تبدع الموسيقى الدينية، وتقول: أن كيفية التركيز على الفنون والموسيقى يمكن أن تعزز النمو الروحي الفردي أيضاً. وتوصَف بتفانيها بالموسيقى. وتستعين بفنون القصص والتمثيليات داخل الكنيسة لنشر الوعي والتثقيف.

البرمجة اللغوية العصبية

تروّج هذه العقائد لمبدأ تقديس موسيقى الطبيعة والأكوان والجسد الإنساني، وتعتقد بأن موسيقى الطبيعة والكائنات بأنواعها تحوي الصوت الإلهي وروح الإله الكامنة فيها. وتروج هذه العقائد طرقاً في العلاج بالموسيقى، وتزعم بأنها تخلص المريض من الأمراض الكثيرة.

والبرمجة اللغوية العصبية هي جزء من منظومة تضم عشرات الطرق والتقنيات تنشر أفكاراً جديدة تستند إلى ديانات قديمة منها البوذية والمجوسية والهندوسية والفودو وغيرها، ومنها اليوم حركة نيو أيج «New Age Movement»، وحركة السينتولوجيا وغيرها من الجماعات الدينية الجديدة. ومن الواضح أن برامج هذه الأفكار الجديدة تسعى لأن تحل مع الأفكار والطقوس الدينية كلها.

Telegram: SOMRLIBRARY

استندت البرمجة اللغوية العصبية على فلسفة (وحدة الوجود) التي مثّلت في العصر الحديث توجهاً قوياً في الغرب، تبناه فلاسفة ومفكرون بصور شتى وظهرت عدة جمعيات لنشره أبرزها ما كان في القرن التاسع عشر الميلادي متمثلا في حركة «النيو ثوث New Thought» التي أتى بها (فينياس كويمبي) ثم تلتها جمعية الثيوصوفي «Theosophy» في نيويورك التي أسستها اليهودية (مدام بلافاتسكي)، وأخيراً حركة «النيو اميرج»، وحركة «الوعي» التي خرجت من معهد (إيسلان) بكاليفورنيا محضن الفكر الثيوصوفي..

طقوسهم الجديدة هي ممارسات دينية بوذية. كالتأمل، والارتقاء، وتحقيق الرغبات.

القديس بيتر أوين جونز ينتمي لواحدة من هذه الجماعات التي تقدس الطبيعة.. يزور هذا القديس بلدان العالم كلها تقريباً. ويدخل كل أنواع دور العبادة، بما فيها المساجد. ويعرفنا على طقوس وعقائد الشعوب. لكنه يركّز على عقائد تقديس الطبيعة. وفي الحلقة يلخص أفكاره عندما يزور معبد نيو إيدج الرئيسي. ويحاول إقناع المشاهد بأن الطبيعة مقدسة، وأن النبات والماء والنجوم والأنهار والتراب والأحجار كلها تتكلم وتتخاطب وتشعر وتحس. بل إنها تعزف الموسيقى الدينية حسب رأيه.

في مركز نيو إيدج، نرى رسومات دينية على الجدران ترمز إلى كافة ديانات العالم.

وتتحدث القديسة التي يلتقي بها عن قوة طاقات الأشياء في الطبيعة، طاقة الضوء المقدس، وطاقة الكواكب المقدسة، وطاقة النبات المقدس، وطاقات كثيرة مقدسة عندهم، ولا نهاية لها. نذكّر بأن مذهب تقديس الطبيعة عرف عند الزرادشتية والأيزيدية والشامانية والبوذية

Telegram: SOMRLIBRARY

والصابئة والإغريقية. كما اعتنقته بعض الفرق اليهودية، وبعض الفرق المسيحية. كما تنتشر في العالم مئات من العقائد الأخرى التي تقدس الطبيعة. ومن طقوسهم، تمارين التركيز والطاقة الداخلية وتقوية التصور والطاقة

يقول أحد التمارين:

تخيل نفسك في حيز ضخم من الفراغ المظلم وأبق على هذا التصور.. أستمر حتى تشعر أن جسدك قد أسقط في ذلك الفراغ بالفعل وأنك هناك حقيقةً.

إنني مكمن قوتي
إنني لا أخشى من النظر داخلي
إنني مجرد شخص
إنني أتطلع للنجوم
وإذا نجحت، فإنني لا زلت مجرد شخص
وإذا تطلعت للعُلا، فلا يمكن للفشل أن يعرف طريقه إليّ
صحح أكاذيبك
إنني لست أسيراً للعالم
إنني أنزلق من فوق سطحه
إنني أتحرر من كل القيود المفروضة علي
إنني أمتلك ذاتي، لذا فأنا آمن وحر
إنني أعيش في المسافات التي تتخلل أفكاري

ويتفق مع هذه الجماعات طائفة دينية جديدة تسمى بأتباع مذهب الطبيعة. هؤلاء يقدسون الطبيعة أيضاً، ويعتقدون بأن الإله حاضر في كل شيء من عناصر الطبيعة والكون. فيقدسون الإنسان نفسه، ويظهرون عراة في نواد مخصصة لأتباع المذهب. ظهرت الطائفة

Telegram: SOMRLIBRARY

في الولايات المتحدة في منتصف القرن الماضي، ولها أتباع اليوم في كل الدول الأوروبية. ولها طقوس دينية مبتكرة خاصة. ترتكز على الموسيقى والرقص في الطبيعة.

الموسيقى الماسونية

الماسونية من العقائد القديمة الموغلة في تاريخ البشر، وقد سبقت ظهور الأديان السماوية، وكانت عقائد خفية يختصّ بها البعض وتمنع عن العوام. وظهورها القديم كان مرتبطاً بالغنوصية (عقائد الشرق القديمة). فالماسونية تشكيل حركي مرتبط بالسلطة والمال وبصناعة القرار وبرجال الكهنوت، وهي احد أقدم الحركات السرية في العالم. والروتاري فرع من الماسونية.

للماسونية طقوس ومهرجانات ذات طابع ديني. منها احتفال بقبول عضو جديد، واحتفالات دورية في مناسبات ماسونية. ولهذه الاحتفالات طقوس وموسيقى وأزياء خاصة. وكثيراً ما يعتمر الأعضاء فيها قبعات ذات قرون طويلة. ويحضر مهرجاناتهم الرجال والنساء والأطفال. وفي عصرنا تقام بعضها في أفخم المطاعم والنوادي.

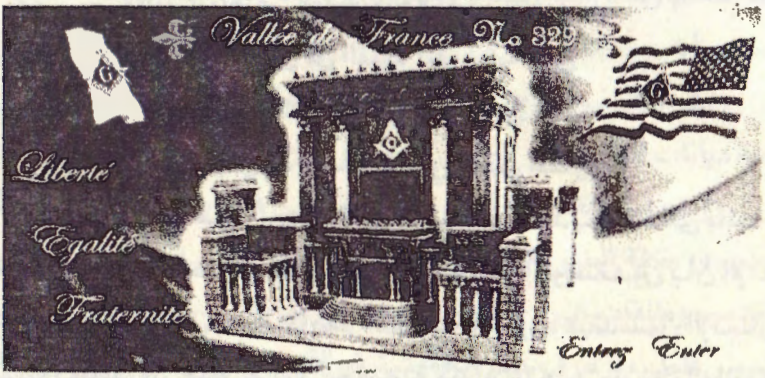

Telegram: SOMRLIBRARY

الفصل الخامس

الموسيقى الدينية عند اليهود

تعـدَّدت وتنوَّعـت أشـكال وألحـان ولغـات الموسـيقى اليهوديـة. وتباينت من جماعة يهودية إلى أخرى، ومن مرحلة تاريخيـة إلى أخرى، وعبَّرت عن التقاليد الموسيقية والقيم الجمالية السائدة في المجتمعات التي عاش بينها اليهود. وفي الحقيقة أنه ليس لليهود موسيقى دينية خاصة بهم، لكنهم اقتبسوا أنواعاً من الموسيقى عن المجتمعات والشعوب التي عايشوها طوال العصور السابقة.

يضم العهد القديم إشارات عديدة إلى استخدام الموسيقى في الطقوس والعبادات اليهودية القديمة. وقد اقتبس العبرانيون الكثير من التراث الموسيقي في بابل ومن التراث الكنعاني والمصري والهيليني. واحتلت الموسيقى مكانة مهمة في الطقوس الدينية للهيكل، وكان يضطلع بها اللاويون، وكانت تجمع بين الغناء والعزف على الآلات الموسيقية. أما بعد هدم الهيكل (عام 70 ميلادية)، فقد بدأ ظهور الموسيقى الدينية التي تُرتَّل أو تُنشَد في المعابد اليهودية، وتم تحريم استخدام الآلات الموسيقية فيها إلى أن يأتي الماشيّح، كما اعتبر صوت المرأة غير محتشم وغير لائق للإنشاد الديني في المعبد.

وكان يتم ترتيل المزامير على وتيرة واحدة وعلى لحن بسيط،

Telegram: SOMRLIBRARY

وكانت تُرتَّل عن طريق منشد منفرد، أو من خلال التبادل الصوتي بين المنشد المنفرد ومجموعة المصلين. كما كانت تتم قراءة أو تلاوة العهد القديم بتنغيم بسيط. وفي القرن السادس، تم إدخال الترنيمة الدينية التي عُرفت باسم «بيوط». ومع ظهور هذه الترنيمة، تطوَّر دور المنشد الديني (حازان) الذي كان يقوم بتلحين كلمات الترنيمة إلى جانب إنشادها. وتميَّز أسلوب الإنشاد بالارتجال والتموجات الصوتية والزخارف اللحنية. وكانت الألحان تُتوارث من خلال النقل الشفوي، ولم تبدأ عملية تدوينها إلا في القرن السادس عشر بين بعض الجماعات الإشكنازية والسفاردية.

وتشكل تراث ورصيد موسيقى يهودية لكل جماعة يهودية على حدة، سواء الجماعات الشرقية والسفاردية في العالم العربي الإسلامي أو الجماعات السفاردية التي استقرت في أوربا بعد طردها من إسبانيا في القرن الخامس عشر أو الجماعات الإشكنازية في غرب وشرق أوربا.

فبعد أن وصلت الفتوحات الإسلامية إلى الأندلس في القرن الثامن، بدأت الأوزان تُستخدَم في الشعر العبري.

وبحلول القرن العاشر، كانت الأوزان والمقامات والألحان العربية تُستخدَم في ترتيل وإنشاد الترانيم والمزامير في المعابد اليهودية في العراق وسوريا والمغرب والأندلس. وأصبح العهد القديم يُرتَّل على مقام سيغا. وأصبحت الأناشيد والترانيم المخصصة للأعياد والمناسبات السعيدة تُرتَّل على مقام عجم. كما أصبحت تلك المخصصة للأعياد الحزينة مثل العاشر من آب أو المخصصة للجنازات تُرتَّل على مقام حجاز. وزاد الاقتباس من ألحان المجتمعات العربية الإسلامية المحيطة مع نمو النزعات القبَّالية ذات الأصول الصوفية، من خلال القرن السادس عشر في فلسطين، والتي أعطت للموسيقى والغناء مكانة مهمة باعتبارهما

Telegram: SOMRLIBRARY

أداتين للتعبير عن حب الإله وبلوغ مراحل من الشفافية الروحية. وقد وضع إسحق لوريا وإسرائيل نادجارا أشعارهما الدينية على أنغام وألحان عربية وتركية وأندلسية، وكان نادجارا أول من خصّص مقاماً لكل قصيدة ونَظَم الترانيم التي كتبها في ديوان من أثنى عشر مقاماً.

واستخدم اليهود الشرقيون السلم الموسيقي العربي الذي ينقسم إلى أربعة أرباع الدرجة ويضم أربعة وعشرين صوتاً، في حين استخدم الإشكناز في أوربا السلم الغربي الذي ينقسم إلى أنصاف الدرجة ويضم أثني عشر صوتاً فقط. كما استخدم اليهود الشرقيون في أغانيهم هيكل الأغنية الشرقية الذي يعتمد على التتراكورد، وهو تَسلسُل أربعة أنغام مجموع أبعادها يساوي مسافة رابعة. أما الجماعات الإشكنازية، فاعتمدت على هيكل الأغنية الغربية الذي يعتمد على ثلاثة أنغام يفصل بين كل منها نغمة كاملة. ومازالت بعض الجماعات السفاردية في إيطاليا وبعض مناطق فرنسا تستخدم التتراكورد ذا الأصل العربي.

كما تميَّز غناء الجماعات اليهودية الشرقية بالطابع الشرقي الذي تسوده الجمل الموسيقية القصيرة والارتجال والزخارف اللحنية.

وظهر في العصرين الأموي والعباسي (الأول والثاني)، على المستوى الشعبي، الشعراء المغنون المتجولون الذين ضموا في صفوفهم يهوداً اقتبسوا عن الشعراء العرب قواعد ممارسة فن الموسيقى والغناء، وعزفوا موسيقاهم وألفوا أشعارهم في القرى والمدن، وأيضاً في قصور الأمراء والخلفاء المسلمين. وكانوا بذلك، عاملاً مهماً في نقل الألحان والأساليب الموسيقية المحلية إلى اليهود، وفي تشكيل ذوقهم الموسيقي.

كما كوَّن الموسيقيون الشعبيون من اليهود، وخصوصاً في المغرب العربي وفي تركيا، فرقاً موسيقية شرقية كان لبعضها صيت واسع.

Telegram: SOMRLIBRARY

وفي إسطنبول، كان الموسيقيون اليهود يُشكّلون 5، 6٪ من إجمالي الحرفيين المسجلين كيهود في المدينة عام 1856. كما ضمت صفوف الموسيقيين والملحنين الأتراك البارزين يهوداً، خصوصاً خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر.

وفي أوروبا، لعب الموسيقيون الشعبيون والمتجولون اليهود دوراً مماثلاً في نقل التراث الموسيقي الشعبي الأوروبي إلى أعضاء الجماعات اليهودية خلال العصور الوسطى. واقتبست الجماعات اليهودية الإشكنازية كثيراً من ألحان ترانيمها ومزاميرها من الألحان الشعبية الأوربية. وقاموا بتهويدها.

فلحن ماوز تزور، هو الترنيمة الخاصة بعيد التدشين أُخذه اليهود من لحنين شعبيين ألمانيين من القرن السادس عشر أحدهما لحن ديني لوثري، والآخر لحن أغنية للحرب.

وترنيمة عيد الفصح اليهودي «أدير هو» مأخوذة من لحن ألماني من القرن السابع عشر يُستخدَم أيضاً في الكنيسة المسيحية. كما أن اللحن الذي يصاحب دعاء كل النذور مقتبس من الألحان الدينية المسيحية من مدرسة دير سانت جول الغنائية بسويسرا (والتي تعود إلى القرن الحادي عشر). كما نجد أيضاً أن لحن ترنيمة «يجدال» الذي اتخذته الحركة الصهيونية كنشيد قومي (نشيد الهاتيكفاه، أي الأمل)، اقتُبس من الألحان الشعبية السلافية والبولندية.

نكتشف من خلال هذا السرد بأن الموسيقى التي يتبناها اليهود ويجعلون منها تراثاً يهودياً، إنما هي جمع والتقاط من أعمال الشعوب التي احتك بها اليهود. فقد ظل اليهود يلتقطون من كل الشعوب التي يتعايشون معها علوماً مختلفة، ويحتفظون بها، وهذا يذكرنا بما قام به يهود فرنسيون حين تمكنوا من سرقة ملفات شاملة من مصانع الطيران

Telegram: SOMRLIBRARY

في فرنسا، وزودوا (إسرائيل) بها، فتمكن الصهاينة من إنتاج طائرة حربية تعادل طائرة الميراج الفرنسية. كما سرق الجواسيس اليهود الوقود النووي لملفات فرنسية تتعلق بالصناعة النووية وتمكنوا من إنتاج القنابل الذرية.

واقتبس السفارديم الكثير من الألحان الأوربية من بينها لحن مزمور «شيرا» الذي أُخذ عن لحن شعبي من القرن الخامس عشر يُسمَّى لوم آراميه. كما استخدموا شكل الكانتاتا الغنائي للاحتفال ببعض الأعياد والمناسبات السعيدة.

وقد دعا الحاخام جودا موسكاتا (المُتوفى عام 1590) حاخام بلدة مانتوا الإيطالية إلى ضرورة دراسة علم الموسيقى كجزء من الدراسات اليهودية.

وفي مانتوا، جرت محاولات لإدخال الآلات الموسيقية إلى المعبد، ولكن دون جدوى بسبب معارضة الحاخامات. وكان سالومون روسي (حوالي 1565 ـ 1630) من أبرز الموسيقيين اليهود في ذلك العصر، وكان أول من أدخل الغناء الكورالي الذي يعتمد على تعدُّد الأصوات إلى موسيقى المعبد اليهودي. كما كانت له إسهامات مهمة في مجال تطوير موسيقى الحجرة.

أما الجماعات اليهودية الإشكنازية في شرق أوربا (يهود اليديشية)، فتميَّزت موسيقاهم بطابعها الخاص، وتعود جذورها إلى يهود الخزر ويهود بيزنطة.

وقد انعكس تأثير الحركة الحسيدية التي بدأت تظهر في منتصف القرن الثامن عشر على الموسيقى الدينية. وقد احتلت الموسيقى لدى الحسيديين مكانة مهمة باعتبارها وسيلة اتصال بين الروح البشرية والإله، حيث لم يترددوا في اقتباس كثير من الألحان الشعبية السلافية

Telegram: SOMRLIBRARY

لترانيمهم الدينية عملاً بالمقولة الحسيدية القائلة بضرورة إنقاذ الألحان العلمانية من الشيطان.

كما ظهرت بين يهود اليديشية في القرن السادس عشر فئة من الموسيقيين المتجولين الذين يعزفون على الآلات الموسيقية، كانوا يطوفون المدن والقرى بآلاتهم الموسيقية لإحياء الأعياد والأفراح اليهودية وغير اليهودية. وقد أخذت ألحانهم الكثير من الألحان البولندية والمجرية والروسية والأوكرانية والرومانية والغجرية. وحقّق بعضهم شهرة واسعة بين اليهود وغير اليهود بفضل مهارتهم في العزف.

وخلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر احتك اليهود بالقيادات الموسيقية السائدة في عصرهم واكتسبوا لغتها وأشكالها وأساليبها. وفي ظل هذا التطور، كان حدوث تغيُرات في شكل وتقاليد الموسيقى الدينية للمعابد اليهودية حتمياً حتى بين الطوائف الأرثوذكسية التي كانت ترفض أي تغيير في الطقوس الدينية، الأمر الذي أثار كثيراً من الجدل في حينها. فدخلت آلة الأرغن الموسيقية إلى المعبد اليهودي، وكانت المعابد الإصلاحية في ألمانيا أول من بادر بذلك، كما اتجهت إلى ترتيل الترانيم باللغة الألمانية واقتباس ألحان بعض الترانيم البروتستانتية الشهيرة. كما تم إدخال فرق الكورال التي تضم رجالاً ونساءً بشكل دائم في بعض المعابد. وقد استخدم كثير من المنشدين أسلوب الغناء الأوبرالي في الإنشاد، وتعرَّض أحد منشدي معبد لندن الكبير، وهو مايير ليوني (1740 - 1798)، للطرد بعد أن أصر على الاشتراك في «أوبرا المسيح» لهاندل. وتَرَك كثير من المنشدين المعابد، وانخرطوا في الحياة الموسيقية العامة.

كما اشتهر عدد من الموسيقيين اليهود ومنهم: هيرمان ليفي

Telegram: SOMRLIBRARY

(1839-1900) موسيقيّ ألماني يهودي، كان والده حاخاماً. وداود حسني (1870-1937) ملحّن وموسيقيّ مصري يهودي.

وإلى جانب الموسيقى اهتم اليهود بالرقص الاحتفالي في المناسبات الدينية، حيث يُعتبَر الرقص واحداً من أقدم الفنون على الإطلاق. عرفته جميع الأقوام والشعوب على مر العصور كجزء من طقوسها الدينية أو احتفالاتها الاجتماعية. ويوضح لنا كلٌ من العهد القديم والتلمود ارتباط كثير من الرقصات باحتفالات وطقوس العبرانيين في التاريخ القديم، وهي رقصات لم تختلف كثيراً في شكلها أو حركاتها أو أسلوب أدائها عن الرقصات السائدة بين الشعوب المحيطة بهم في تلك العصور. وعند اليهود اهتمام خاص بالرقص. سواء من الناحية الدينية أو الاجتماعية.

كما نجد أن أشكال الرقصات التي انتشرت بينهم وأسلوب أدائها تختلف من جماعة إلى أخرى ومن عصر إلى آخر وأنها اعتمدت بالدرجة الأولى على تقاليد المجتمعات التي عاش اليهود بينها وعلى التراث الفني الثقافي لهذه المجتمعات.

وعرف اليهود القدامى الرقص كجزء من طقوسهم وشعائرهم الدينية وللاحتفال بالمناسبات العديدة، مثل الانتصارات العسكرية والزواج ومواسم الحصاد. ويضم العهد القديم أحد عشر وصفاً للرقص والرقصات. منها الوثب والركض والدوران وغيرها. وقد استُخدمت الأفعال المأخوذة من هذه الجذور في وصف المواكب والرقصات التي كانت تتم أمام تابوت العهد. كما كانت هناك رقصات تتم في شكل حلقات، وكانت خاصة بالنساء. وكما أن كلمة «الرقص» كانت تحمل عند الآشوريين معنى الابتهاج، كذلك ارتبطت كلمة «حاج» العبرية التي تعني أيضاً الابتهاج أو الاحتفال بثلاثة أعياد يشكل الرقص فيها جزءاً

Telegram: SOMRLIBRARY

أساسياً من مراسم الاحتفال، وهي: عيد الفصح وعيد الأسابيع وعيد الحصاد.

والرقص، مثل الغناء، كان يُستخدَم لتمجيد الرب أو الإله، فكان داوود يدعو شعبه لتمجيد الرب بالدفوف والرقص، كما أن كثيراً من أنبياء جماعة يسرائيل كانوا يقومون بالدعوة إلى الإله وهم يضربون الدفوف ويرقصون رقصات تتميَّز بالحركات الدائرية التي تزداد سرعة واندفاعاً إلى أن يصل الراقصون إلى حالة من النشوة والابتهاج الغامر. وكان أنبياء إسرائيل يعتقدون أن هذا الرقص يعمل على إنعاش الروح الربانية التي تتحدث نيابةً عنهم، وهم في هذا يشبهون الدراويش.

وبالإضافة إلى ذلك، كانت هناك الرقصات الخاصة بالانتصارات العسكرية التي كانت تقوم بأدائها النساء على أنغام الدفوف والآلات الموسيقية. ومثل سائر الشعوب البدائية، كانت تُقام رقصات احتفالاً بمواسم الحصاد، فكانت تُقام في عيد المظال مواكب يومية حول المذبح (داخل المعبد) بعد تقديم القرابين، وفي ثاني أيام العيد كانت تُقام رقصة بالمشاعل يصاحبها مواكب من النساء يحملن أغصان النخيل والصفصاف. كما كانت جميع حقول الكروم تضم أماكن للرقص مخصصة للنساء فقط، ويبدو أن كثيراً من هذه الرقصات كانت من أصل كنعاني (ومن احتفالات بالإله بعل).

ولابد أن العبرانيين قد تأثروا بالمحيط الحضاري البابلي والآشوري حينما دخلوا في نطاق هذه الحضارة، كما تأثروا بالمحيط الفارسي من بعد ذلك.

وفي العصر الهيليني، ورغم معارضة الحاخامات للرقص، فإن كثيراً من اليهود داخل وخارج فلسطين كانوا يتبنون كثيراً من رقصات اليونانيين والرومانيين ذات الطابع الوثني، والتي كان يقوم بأدائها رجال

Telegram: SOMRLIBRARY

ونساء دُربوا خصيصاً لهذا الغرض، وهذا يدل على تجذُّر العادات الهيلينية بين يهود حوض البحر الأبيض المتوسط في تلك الفترة. وقد ظهرت بين أعضاء الجماعات اليهودية رقصة ذات طابع وثني واضح كانت تُؤدَّى أمام كبار الشخصيات. وكانت تشمل حركات تعبِّر عن السجود وتدل على انعدام الذات أمام الشخصية المتألهة.

وتشير المشناه إلى وجود مراسم واحتفالات خاصة بانتقاء العرائس كانت تتم في أيام الخامس عشر من آب، وفي يوم الغفران عندما تخرج الفتيات للرقص في حقول الكروم. أما بالنسبة لاحتفالات الزفاف نفسها، فإن العهد القديم يضم إشارة واحدة فقط لإحدى الرقصات المصاحبة لهذه الاحتفالات، وهذه الرقصة كانت تقوم بها العروس وهي تحمل في يدها سيفاً (رمزاً لرفضها أي رجل سوى عريسها الذي اختارته). ويضم التلمود، وصفاً أكثر تفصيلاً لمراسم ومواكب الزواج.

وكان الرقص على شرف العروس يُعَدُّ عملاً من أعمال التقوى الدينية يتنافس عليه الحاخامات، كما كان يتم أحياناً إحضار الراقصين المحترفين للمشاركة في احتفالات الزواج، فكانوا يقدمون رقصات تجمع بين حركات الأيدي والأرجل والوسط.

وإن بعض هذه الرقصات بقيت لتؤدَّى بشكل شديد الاختصار داخل المعابد أو البيوت اليهودية.

وفي العصور الوسطى اكتسب الرقص في أوربا شعبية بين اليهود كنشاط اجتماعي وترفيهي شأنها في هذا شأن أعضاء مجتمع الأغلبية. وأُقيمت في كثير من الجيتوات اليهودية في فرنسا وألمانيا وبولندا دور للمناسبات تُقام فيها الحفلات الراقصة والغنائية في أيام الأعياد وأيام السبت وللاحتفال بالزواج.

Telegram: SOMRLIBRARY

ويبدو أن هذه الدور أقيمت أساساً للاحتفال بالزواج وتحوّلت تدريجياً إلى أماكن للترفيه. وكانت الرقصات التي اشتُهرت في هذه الدور رقصات شبيهة أو مماثلة للرقصات المنتشرة بين الشعوب الأوربية آنذاك. أما اليهود في إسبانيا والعالم العربي الإسلامي فلم تنشأ بينهم مثل هذه الدور.

وتنوعت واختلفت أشكال وأنواع الرقصات التي تقام احتفالاً بالأعياد الدينية والمناسبات الاجتماعية من جماعة إلى أخرى. فقد ارتبط بعيد النصيب نوع من الرقصات انتشرت بين كثير من الجماعات اليهودية، وهي رقصة تتضمن حرق تمثال يرمز إلى هامان والقفز فوق النار والغناء. وهذه الأنواع من الرقصات تعود جذورها إلى الطقوس السائدة بين الشعوب البدائية التي كانت ترمز إلى حرق الشيطان في النار. ويشير التلمود إلى أن هذا التقليد كان سائداً بين يهود بابل، كما يبدو أن هذه الرقصات كانت موجودة بين يهود مدينة بيزنطة وكذلك بين يهود إيطاليا خلال القرنين الثاني عشر والرابع عشر، وكذلك بين يهود بولندا خلال القرن الثامن عشر حيث كان عيد النصيب شبيهاً بالكرنفال.

وكانت هناك رقصات عديدة مخصصة للاحتفال بالزواج، ففي العصور الوسطى في أوربا ظهرت رقصات كانت أقرب إلى الطقوس السرية أو الصوفية، وفي أحيان كثيرة كان الموت يُتَخذ موضوعاً لها، وفي بعض الأحيان يسقط أحد الحاضرين في حفل الزواج على الأرض كأنه ميت ويرقص من حوله الرجال والنساء وهم يغنون، ثم يقوم الرجل (من مماته) وينضم إلى الآخرين في رقصة مرح وابتهاج. وهي رقصة ترمز إلى البعث. وانتشرت مثل هذه الرقصات والأغاني بين شعوب أوروبا في تلك الآونة.

Telegram: SOMRLIBRARY

وهناك رقصة أخرى تُسمَّى «رقصة الموت» ظهرت في أعقاب اجتياح الأوبئة لأوربا. حيث كان يتم زواج الأيتام الفقراء في حفل يُقام في المقابر بحضور اليهود.

ومن الرقصات التي ارتبطت بشكل خاص بحفلات الزواج، رقصات الوصايا. وهي رقصة جماعية يقوم فيها الرجال بالرقص مع العريس والنساء مع العروس، وذلك احتراماً للقواعد الدينية الخاصة بعدم اختلاط الجنسين في الرقص. ولكن، مع تآكل احترام هذه القيود، أصبح الرجال يرقصون مع العروس ولكن مع تغطية أيديهم بشيء ما رمزاً للانفصال. ومع أوائل القرن التاسع عشر، أصبح التقليد المتبع هو أن يرقص الرجال مع العروس ويفصلهما منديل تمسك العروس بأحد أطرافه والرجل بطرفه الآخر. وفي بعض الأحيان، كان يُدعَى إلى حفلات الزواج المتسولون من اليهود، وكان يُسمَح لهم بالرقص مع العروس وكذلك أداء بعض الرقصات الخاصة بهم التي عُرفَت باسم رقصة المتسولين.

أما في الأفراح الحسيدية، فكان أحد التقاليد المتبعة هو الرقص بملابس الفلاحين أو بارتداء جلد الحيوان أو زي جنود القوزاق.

وفي العالم العربي والإسلامي، كان اليهود يحيون حفلات الزفاف بإحضار راقصات ومغنيات محترفات (عوالم) يرقصن على أنغام الطبول. وفي اليمن، كانت النساء من الضيوف يقمن بالرقص بالمزهرة أو الصحن الذي يحوي صبغة الحنة التي سيتم صبغ أيدي العروس بها. وفي مصر، كانت السيدات يقمن بالرقص مع العروس رقصات شرقية، كما كانت العروس ترقص معهن. ومع تزايُد معدلات التغريب والعلمنة، بدأت أفراح اليهود تصبح غربية تماماً، فيختلط الجنسان ويرقصان التانجو أو غيرها من الرقصات الغربية الذائعة.

Telegram: SOMRLIBRARY

وهنـاك رقـصات خاصـة أيـضاً بيـوم الـسبت. وقـد اعتـاد الحسيديون الرقص، مع انتهاء نهار السبت، حول مائدة الحاخام.

وفي شـرق أوربـا، اعتـاد الـشباب اليهـودي في المجـر وموراڤيـا ورومانيا على الرقص في أيام السبت خارج المعبد على مرأى من النساء. وكانت رقصاتهم من الرقصات المنتشرة في المجتمع المحيط، أما بين يهود اليمن فإن الراقصين كانوا يقومون بالرقص في يوم السبت على أطراف أصابعهم مع هـز الكاحل ومفصل الركبة إلى أن يصل الراقص إلى حالة من النشوة والانجذاب الديني.

كما كانت تُقام رقصات احتفالاً بعملية الختان، وخصوصاً بين الجماعات اليهودية في العالم العربي والإسلامي. وأحياناً، كانت هذه الرقصات تهدف إلى إبعاد الأرواح الشريرة عن الأم والطفل، ففي صفد كانت الراقصات يرقصن مساء كل يوم عقب الولادة وحتى يوم الختان. وفي المغرب، كانت النساء يرقصن بالسيوف، وكان الرقص يجري (أحياناً) حول فراش الأم طوال الأسبوع الذي يسبق عملية الختان. أما في إيران، فكان الأب يقوم بإحضار راقصات محترفات لإحياء الليلة التي تسبق عملية الختان. وفي المغرب العربي، كان يتم إحضار صينية إلياهو التي تُستخدَم في عملية الختان في موكب من الشموع يتخلله الغناء والرقص. وفي سوريا ولبنان، يقوم سبعة من الضيوف بالرقص بالصينية كلٌ في دوره. وفي عدن، كان الضيوف يقومون بالرقص مع كرسي إلياهو كأنهم يرقصون مع النبي إلياهو نفسه.

وهناك رقصات تذكارية تُقام إحياءً لذكرى أحد الأنبياء أو الحاخامات، فقد جرت العادة على إحياء ذكرى وفاة الحاخام سيمون بن يوحان الذي يُعتبر أبا القبَّالاه، وإليه ينسب كتابة الزوهار، حيث يجتمع الحجاج عند مقبرته في صفد للرقص والغناء. أما الحاخام

Telegram: SOMRLIBRARY

الحسيدي نحمان البرتسلافي، فأمر أتباعه بإحياء ذكراه عند وفاته عن طريق دراسة المشناه والرقص عند مقبرته. وقام أتباعه لأجيال متعاقبة بتلبية رغبته وإقامة احتفال راقص إحياءً لذكراه في مقابر أومان في أوكرانيا.

أما يهود جبال كروستاف في شمال العراق، فيُقال إنهم يحتفلون بعيد الأسابيع بإحياء ذكرى النبي ناحوم والاجتماع عند مقبرته والطواف حول ضريحه والغناء، في حين تقوم النساء بالرقص. وفي ثاني أيام العيد، يصعد الرجال إلى قمة أحد التلال القريبة لقراءة التوراة ثم ينزلون التل في موكب شبيه بالمواكب العسكرية حاملين السلاح ويقومون بتمثيل المعركة الكبرى التي ستؤذن بقدوم الماشيح، أما النساء فيستقبلن الرجال بالرقص والغناء على نغمات الدفوف.

إن الحركات الحلولية المشيحانية ساعدت على انتشار الرقص بينهم. وأسهمت في هذا الاتجاه حركة شبتاي تسفي بشكل خاص، ثم الحركة الفرانكية، إذ إن النزعة الترخيصية شجعت على إسقاط الحدود، بما في ذلك الحدود الخاصة بالرقص. بل إن الشعائر السرية ذات الطبيعة الجنسية لهذه الجماعات كانت تتضمن دائماً الرقص المحموم.

واكتسب الرقص، مع ظهور الحركة الحسيدية في القرن الثامن عشر، أهمية كبيرة بالنسبة إلى الجماعات اليهودية في شرق أوروبا، وأصبح يشكل جزءاً من حيانهم اليومية. فقد اعتبر بعل شيم طوف، مؤسس الحسيدية، الرقص شكلاً من أشكال الصلاة والعبادة أمام الرب وأداة للوصول إلى حالة من النشوة الدينية والالتصاق بالرب والتوحد به. وهذا يتفق تماماً مع النزوع الحلولي نحو التجسد (مقابل النزوع التوحيدي نحو التبليغ) الذي يتضح أيضاً في مفاهيم مثل الخلاص

Telegram: SOMRLIBRARY

بالجسد. وبالتالي، أصبح الرقص الحسيدي نوعاً من الطقس الديني يصل من خلاله الراقص إلى حالة من النشوة والابتهاج الديني. والرقص الحسيدي كان يتم في شكل دائري، أو في حلقات، رمزاً للفلسفة الحسيدية الحلولية القائلة بأن الكل متساو والكل عبارة عن حلقات في سلسلة، والدائرة ليس لها جهة أمامية أو خلفية وليس لها بداية أو نهاية، فالنسق الحلولي العضوي يأخذ دائماً شكل دائرة مغلقة.

والرقص الحسيدي يبدأ بطيئاً ثم يزداد إيقاعه تدريجياً إلى أن يصل إلى حالة النشوة وتصاحبه حركة التمايل وحركات الأيدي والأرجل والقفز في الهواء والتصفيق. وقد عَلَّم الحاخام نحمان البرتسلاي أتباعه أن الرقص مع الصلاة من الفروض المقدَّسة وأن كل جزء من الجسد له إيقاعه الخاص، وقام بتأليف صلاة خاصة يقوم بتلاوتها قبل الرقص مباشرةً كما دعا مع غيره من الحاخامات الحسيديين إلى ضرورة الرقص في جميع المناسبات والأعياد، حتى تلك التي تتَّسم بالوقار إحياءً لذكرى حزينة، مثل: التاسع من آب ورأس السنة ويوم الغفران، وكذلك في احتفال بهجة التوراة.

فإلى جانب المواكب المعتادة لهذا الاحتفال كان الحاخام الحسيدي يقوم بالرقص في نشوة روحية مع التوراة مرتدياً شال الصلاة ومحاطاً بدائرة من الحسيديين الذين يقومون بالغناء والتصفيق.

وثمة نظريات مختلفة تحاول الوصول إلى أصول رقصات الحسيديين، فهناك رأي يذهب إلى أن الرقصات الحسيدية تعود إلى أصل تركي، ومن ثم فهي تشبه رقصات الدراويش العثمانيين (في قونيه) حيث يدورون حول أنفسهم. ويشير أصحاب هذا الرأي إلى أن الحسيدية انتشرت في مقاطعات كانت تحت السيطرة العثمانية أو قريبة من الأثر العثماني، وأن الحركة الحسيدية تأثرت بالحركة الفرانكية التي تأثر

Telegram: SOMRLIBRARY

صاحبها بالثقافة العثمانية، وأن الحسيديين ككل متأثرون بتراث المارانو السفاردي الذي كان قد دخله عنصر عثماني.

كما أن أطروحة كوستلر الخاصة بأصول يهود بولندا الخزرية (التركية) يدعمها هذا الرأي.

ولكن ثمة رأياً يرى أن رقصات الحسيديين تأثرت برقصات جماعات المنشقين المسيحيين الأرثوذكس (مثل الدوخوبور والسكوبتسي والخليستي) الذين تركوا أثراً عميقاً في فكر الحسيديين.

والواقع أن رقصات الجماعات اليهودية، سواء بين الإشكناز أو السفارديم، تجد جذورها إما في المجتمعات الأوربية (سواء في شرق أو وسط أو جنوب أوربا) أو في المجتمعات العربية والشرق أوسطية.

بل إن إسرائيل اتجهت حديثاً، في محاولة لخلق « رقص شعبي إسرائيلي » للأخذ من تراث الرقص العربي الفلسطيني، خصوصاً رقصة الدبكة الشهيرة.

كما انتشر في ألمانيا، خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، المغنون والمهرجون المتجولون من اليهود الذين كانوا يُقدِّمون الرقصات والتمثيليات الإيمائية والحركات البهلوانية في الأفراح وفي غيرها من المناسبات، وكانوا يشتهرون برقصتي المشاعل والسيوف.

وفي الشرق، كان سلاطين آل عثمان يستخدمون الموسيقيين والراقصين اليهود في بلاطهم لإحياء احتفالاتهم. ويُلاحَظ ظهور كثير من الراقصات من أصل يهودي في العالم العربي (حتى منتصف القرن العشرين) لأداء ما يُسمَّى الرقص الشرقي.

وفي العصر الحديث، ظهر بين اليهود مصممو رقصات وشخصيات شهيرة من الراقصين والراقصات.

Telegram: SOMRLIBRARY

Telegram: SOMRLIBRARY

الفصل السادس

الموسيقى الكنسية

الموسيقى الكنسية هو مصطلح يعني أداء الأناشيد والتراتيل الدينية المسيحية التي تعززها السلطة الكنسية، والتي من شأنها أن تقوم بدور الخدمة الإلهية Divine service لتعزيز تمجيد الله، وتنوير المؤمنين. ويصفها الباحثون بأنها غناء عفوي أثناء أداء الصلاة وفي الاحتفالات والطقوس الدينية. وهو نوع من تنسيق الصلوات وترتيبها. وقد أدخلت آلات العزف لتحقيق ذلك الترتيب والتنسيق اللحني، ولتحقيق ذلك نشأت وظيفة المسؤول عن الجوقة.

وقد اعتقد الناس منذ القديم بأن المؤمن يتصل بالله بالطريقة الأفضل وبالأساليب الأرقى وبشكل مهيب ورفيع المستوى. فابتكروا الموسيقى الدينية المرافقة للطقوس والصلوات. ولذلك استخدمت الموسيقى في الكنيسة المسيحية، ما اعتقد بأنه أنبل الوسائل وأكثرها فعالية.

وحققت الموسيقى الكنسية انسجاماً بين ما هو فن علماني يشمل الإيقاع والنغمات والألحان والتقسيم. وبين ماهو ديني صارم يشمل التعاليم والأساليب البسيطة، وبسط سلطة الله على الناس. فهناك المعقد وهناك البسيط الشعبي وهناك المتوارث. كل هذا صيغ

Telegram: SOMRLIBRARY

في تراتيل دينية ليتورجية منسجمة. وتوجَّب أن توصف الكلمات بالإخلاص والورع والانصياع إلى طاعة الله. وأيضاً أن تتكيف مع اللحن الموسيقي. كل هذا توجَّب التركيز عليه أثناء أداء الصلاة، التي توجب أن تنبع من القلب، وأن تحافظ على الإيمان الفردي. وباختصار فقد توجَّب أن تخدم الطقوس كل الأغراض التي أنشأت لأجلها. فاعتبرت من أركان الخدمة الإلهية.

ونظراً إلى الليتورجيا الكنسية على أنها أداء يقود إلى تهذيب الفرد لتعزيز عبادة الله وكمحفز على الحضور في الكنيسة والتزام حضور الصلوات، مما أضفى على الكنيسة دوراً فعالاً ورفيعاً في المجتمع.

وتضيف الموسيقى إلى الفرد نوعاً من السعادة، فتسمح له بقضاء أيامه سعيداً مرتاحاً، فتدخل التعابير الدينية في حياته اليومية، يرددها بشكل طبيعي، ويشعر بأنه يشارك الله والسماء والكون أثناء عيشه اليومي.

ولذلك فقد توجَّب أن تتشارك الليتورجيا الكنسية في كل بلد مع طبيعة الحياة اليومية وطبيعة الزراعة والمواسم في ذلك البلد، فتلبي حاجات الناس في كل بلد، وتمتزج الكنيسة معهم.

إن تمجيد الله في الليتورجيا الكنسية أمر لم تبتدعه الكنيسة نفسها، بل هو ظاهرة قديمة تؤكد طبيعة الغريزة الإنسانية في حرصها على تمجيد خالقها العظيم، وتشرفها بشكر الله. فقد مارس الإنسان منذ القديم طقوس الفرح والاحتفال وإجراء مهرجانات موسمية لتعبيره عن شكره لله. عرفت تلك المهرجانات عند شعوب كثيرة. وفيها كانت تقدم المشروبات الكحولية بسخاء كبير، ويفرح الناس ويتعارفون.

Telegram: SOMRLIBRARY

المارونية

المارونية لها تراثٌ حضاريّ يربطها بمسيحيّي بطريركية أنطاكية ومدرستها الفكرية الكبرى، ونهجها الثنائيّ في فهم شخصيّة المسيح.

فبفضل هذه العقيدة وهذا المفهوم الثنائي لطبيعتي السيّد المسيح، ارتبطت الكنيسة المارونية، منذُ القرن الخامس (451 في المجمع الخلقيدوني) بكنيسة روما.

جعلت المارونية من الحياة الليتورجيّة نهج قداسة لكلّ عائلة. فكلّ روحانيّة في حياة العائلة انتقلت من الكنيسة والبيت إلى الحقل، حيث كان أفراد العائلة يعملون معًا طوال النهار، ويغنّون ويصلّون، حتى أنّ

Telegram: SOMRLIBRARY

الصلوات الليتورجيّة نفسها انطبعت بطابع الحضارة الزراعيّة السائدة حتى الماضي القريب، فدعي المسيح «الفلاّح الصالح»، والعذراء «سيّدة الزروع» و«سيّدة الفريك»، و«سيّدة الكرمة»، إلخ...

ولقد ازدانت كلّ البيوت، حتى تلك البعيدة عن الممارسة الدينيّة، بصورةٍ مقدّسة ومذبحٍ وصليب كمصدرٍ للخير والبركة والأمان. ولقد اختلطت لديها، أحيانًا، بعض الممارسات الدينيّة ببعض الأعراف والعادات الموروثة، ظنًّا منها بأنّها تقدّم لله من خلالها عبادةً حقيقيّة.

الصلاة الخورسيّة، ولاسيّما الاحتفال بالليتورجيا الإلهيّة صباح ومساء كلّ يوم، وتلاوة صلاة الفروض العموميّة المشبعة بتعاليم المجامع المقدّسة وبالتوجهات الثالوثيّة والذكر المريميّ الخاصّ والدائم شكّلت جوهر القوانين والفرائض الرئيسيّة في حياة الرهبان والراهبات، فعُرفوا بالساهرين اليقظين، وعبقت أديرتهم برائحة البخور المتواصلة وبالصلاة الشخصيّة والتنافس في الممارسات التقشفيّة الحرّة والتأمّل في الكتاب المقدّس وفي كتابات الآباء والليتورجيا.

اشتهرت (عيلة مار شربل) المارونية وهي «جماعة كنَسيّة» دعوَتُها أن يكون أعضاؤها رهباناً بقلب العالم. وذلك انطلاقاً من عنّايا وبوحي من روحانية شربل.

تميزّت الصلوات بالمشاركة والتفاعل الحيّ بين الكاهن والمصلّين. وأُطلق عليهم بعفويّة اسم «عيلة مار شربل». وتتابعت اللقاءات وشقّت العيلة طريقها وما زالت المسيرة مستمرّة حتى اليوم. وتحدّدت معالم رسالتها وتركزت على أسس ثلاثة، وهي: تلمذة، وجذريّة وشهادة.

اللحن: (إمر قَيسُو فوقَ الصليب مات ربّ الأكوان)

Telegram: SOMRLIBRARY

الشعر

يا قلبَ الآب غمرَ الحبّ العَظيم، أنت الوَهّاب القَديرُ الحَكيمْ، هَبْ لَنا اللُقمَة والنَسمَة، أعطنا الكلمة والبَسمَة، كَمّلنا بالنعمة أهّلنا للنَعيم.

يا شربلُ يا أبانا القدّيس، مَنْ يَقْبَلُ مِن يدَيكَ التَكْريس؟ كَرّسنا إقبَلنا عَيْلَتَكْ، قَدّسْنا إجبُلنا جَبْلَتَكْ، آباءً أُمّهَات، رُهْباناً راهباتْ.

نشيد الدخول:

يومَ الأحَد قامَ
الرّبُ في مَجد باهِرْ
شالَ عنهُ الآلامَ
حطّمَ الموتَ القاهرْ
رَدَّ الإنسانَ الخاطي
ألبَسَهُ
ثوبَهُ الطاهر

خَفَّ جَيشُ العَلياء / في الأثواب البيضاء / قَبلَ الإصباح / شَدْو صوتٍ صَيّاح / يَدعو الأرضَ والسما / كَي تُكرما / الحيَّ الفاديَ الظّافرْ.

أقبلْ يا يومَ الرّبُ / يومَ النّصْر والأفْراحْ / فيكَ فادينا استراحْ / بَعدَ أهوالِ الصّلْب / أعطانا وَسمَ القَلب / رَسمَ الدَّرب / للنّور الوَضّاحْ.

في أجواقِ السّارافيمْ / نَشدوكَ آيَ التَّرْنيمْ / مَعَ الكاروبيمْ / بينَ أجواقِ النَّعيمْ / يا رَبّ، السَّلامَ امْطُرْ / كُلَّ الأقْطارْ / واشْعلْ فيها حُبّاً نارْ.

نشيد الدخول

هَلّلويا يسوعُ نورَ الحقّ يا عَينَ الأنوار /
فيكَ عاينّا النورَ يا نورَ الأقطارْ

Telegram: SOMRLIBRARY

وَهجَ نورِكَ انفَحْنا،
بَهجَ صُبحِكَ امنَحنا
هللويا: يا قُدّوساً سُكناهُ دارُ الأنوارِ / قَدِّسنا أبعِدْ عَنّا شَرَّ الأشرارِ
واجعَلْ فينا قَلباً بارّ، كي نَحيا عيشَ الأبرار
هللويا: أللّهُ اختارَ بينَ النِّساءِ مَريَمْ / أنقى عذراءَ بينَ النّاسِ وأكرَم
فيها ابنُ اللّه الدَيّان، صارَ مثلَنا إنسانْ.
هللويا: في وَجوهِ الحُكامِ، الشُهَدا صاحوا / عَن إيمانِ المَصلوبِ لَسْنا نُزاحُ
نَرضى كَرمى للحُبّ، بالموتِ حتّى الصّلب.
هللويا: يا حيّاً ماتَ قامَ، أحيا موتانا / صبّاً في عُمقِ القَبرِ الرَّجا الأمانا
فيكَ يَحيا الرّاقدون، بالثّالوثِ مُؤمنونْ.

نشيد البخور

غَيثُ الرَّحْمَةْ / نَدّاهُ حُبُّ الباري / فَوقَ أطفالِ النِّعمَةْ /
وَسطَ أتّونِ النّارِ / ربٌّ نَدٌ في الظُلمَةْ / وَجْهَ موتانا العاري /
واغفرْ للخاطي إثمَهْ / يَحيَ طولَ الأدْهارِ / يا ربّي، واكتُب إسمَهْ / بَينَ جَوقِ الأبرارِ.

مزمور القراءات

- يومَ العيدِ تَعالَ / يومَ الأحَدِ الفَتّانْ / فيكَ البَهْجُ تَلالا / المَلاكُ والإنسانْ

Telegram: SOMRLIBRARY

- إهتفوا في الأعالي / يا يَومَ الرّبِّ الفتّانْ / مَجّدوا الرّبَّ العالي / ألمَلاكُ والإنسانْ

- يا سُبحانَ مَن أعلى / الأحَدَ فوقَ الأيامْ / فيهِ الإنجيلُ يُتلى / فيهِ يُكهَنُ الخُدّامْ..

التهليل هللويا وهللويا،

سَمعتُ صوتاً مِنَ السّماءِ يقولُ لي: طوبَى لِلموتى الّذينَ يموتونَ في الرّبّ.

إسمعي يا ابنتي وانظُري، وأميلي أذنيك وانسي شعبك وبيت أبيك، فيشتهي الملك جمالك.

هَؤلاء هُمُ الّذينَ أتَوا مِنَ الضيق الشّديد، وبَيَّضوا حُلَلَهُم بدَمِ الحَمَلْ.

ألسَّلامُ عليك يا مُمتَلِئةً نعمَةً الرَّبُ مَعَك، مُباركَةٌ أنت في النِّساء

كَلمَتُكَ مِصباحٌ لِخُطايَ ونورٌ لِسَبيلي، أقسَمتُ وسَأُنجِزُ أن أحفَظَ أحكامَ بِرِّكَ

طوبى للّذينَ يَسمَعونَ كَلمَةَ الله، يَسمَعونها ويَعمَلونَ بها.

ألصدّيقُ كالنَّخل يُزهر، ومثلَ أرز لُبنانَ يَنمو.

في الأرضِ كُلِّها ذاعَ مَنطِقُهُم، وفي أقاصي المسكونَة كَلامُهُم.

نقل القرابين

هللويا، قال الربُ: إنّني ألخبزُ المُحيي،

الشعب: هللويا، قال الربُ: إنّني ألخبزُ المُحيي، الآتي من حضن الآب قوتاً للعالمْ قَبلَني، حضنُ العذراء الأم النّقي، العذراء مريم، مثلَ حبّة القَمح في الأرض الخصبة، صِرتُ فوقَ المذبَحِ قوتاً للبيعة، هللويا وخُبزَ حياة.

Telegram: SOMRLIBRARY

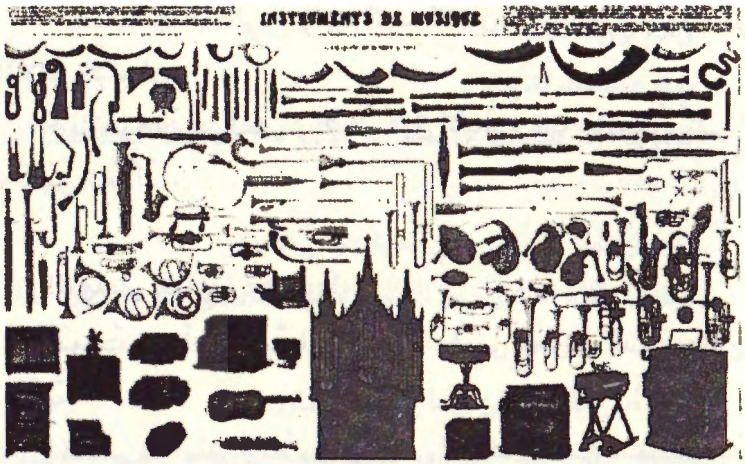

جاء إدخال الموسيقى في الطقوس المسيحية لتحقيق الفرحة أثناء العبادة وتمجيد الله. فهو تمجيد بواسطة الفرح والغناء والقيام بدور معيّن، وهو دور تمثيلي مفروض أثناء الخدمة الإلهية. لم تبتدع المسيحية هذا الدور بل عرف في المعابد الوثنية القديمة. حيث كان يجري الاحتفال بالنصر ويتم فيها شكر وتكريم الآلهة وتقديم القرابين لها. فقوس النصر هو بناء روماني ويوناني قديم له بعد ديني، كانت تقام فيه مهرجانات النصر وشكر الآلهة. فالغناء الديني هو دور معقد. وقد ورد ذكره في سفر الخروج / 15/، وفي سفر القضاة /5/. وفي سفر عاموس وناحيميا والأخبار. وذكر فيها أن تراتيل شكر لله تقام بمرافقة موسيقى تعزف على أدوات موسيقية خاصة. وفيها تفصيل عن دور الشعراء والمغنين، وأسرهم وطبقاتهم الاجتماعية. ومنهم أبناء أساف. وغيرهم من الأسر.

في بداية ظهور المسيحية استقطبت مواطنين كانوا من أتباع الديانات الوثنية القديمة. فكان خطابها روحانياً وتزهدياً ونسكياً بشكل أساسي، فكان تبني الموسيقى في الكنيسة بهدف التنوع والتعويض عن الجمود الصوفي، فكانت الموسيقى ضرورة للمساعدة في تحقيق الحس الروحاني.

Telegram: SOMRLIBRARY

وفي العهد القديم تذكير قسري بالموسيقى، وإشارة إلى تلحين الأناشيد في القلب. وإشارات إلى احتفالات تتخللها مآدب طعام ومرح وغناء. وقبل أن الأرواح الشريرة تدخل في الأماكن الخالية من التراتيل الغنائية المفرحة، وأنها لايمكنها أن تدخل في المعابد التي تصدر منها تراتيل غنائية مفرحة تخاطب الرب. ولذلك وجدت في الكنائس فرق غناء وتلحين تختار من أفراد الشعب. وقد تطورت هذه الفرق الكورالية (الجوقات) المسيحية، طوال العهود التاريخية. حتى أصبح من المتعذر أن تقام طقوس عبادة في أي كنيسة في العالم بدون مشاركة الفرق الغنائية.

ثم حازت الكنيسة سلطة وقوانين ترخّص لها تعليم الموسيقى وفرض الفرق الكورالية في كل الدول المسيحية. وقد اشتهرت عالمياً عدد من الأناشيد المسيحية منها أنشودة الميلاد. وأنشودة قداس الموتى.

واستخدمت الكنيسة في البداية أدوات موسيقية بدائية استطاعت بواسطتها أن تعبر عن الفكرة الدينية. كما استعانت بأغان شعبية متوارثة كانت تحمل كلمات وصوراً وألحاناً جاهزة.

وهناك مبادئ توجيهية تفرضها الكنيسة عند اختيار المعزوفات أو صياغتها:

يجب أن تمتلك الموسيقى الكنسية درجات عليا من النقاء والقدسية، وأن يتم اختيارها من الأصول والمنابع الموسيقية العالمية. وأن يتم استبعاد الألفاظ النابية نهائياً. وأن تسهم في تعميق التأمل الديني. ولما كان لكل شعب أشكال فنية خاصة به، فإنه يمكن الاعتماد على تلك الأشكال الموروثة وتأسيس موسيقى كنسية خاصة بكل شعب تتحقق فيها الشروط العامة. كما يجب أن تخلو الموسيقى الكنسية من المشاهد الماجنة والمدنسة والمسرحية المبتذلة. ويتعين على الكنيسة أن تقدم الحوافز للمبدعين. ويحظر الغناء باللهجات العامية، كما يحظر أن تمجد كلمات الأغنية تمثال

Telegram: SOMRLIBRARY

إلـه وثني قـديم. ويحظـر الاجتـهاد في تنويـع الآلات الموسـيقية الكـثيرة، بـل يتعين الالتزام بعـزف على آلات كلاسـيكية قديمـة. إذ تعتبر الآلات الحديثة مـن صفات العلمانيـة اللادينيـة. فيحظـر اسـتخدام آلات الـنفخ النحاسـية داخل الكنيسة. وآلات الصنج والطبول المنفرة.

وبعد القرن السادس عشر، وجدت أدوات الأوركسترا القبول في بعض الكنائس. ولكن سرعان ما تبعتها اللوائح المقيدة. ومع ذلك دخلت آلات جديدة في بعض كنائس أوروبا كالترومبيت والبوق، وظل التقليديون يحرّمون استخدامها ويقيمون حرباً ضد الحداثة والمسرح الحداثي.

وفي لبنان موطن المارونية الحالي تطورت الموسيقى الدينية بشكل كـبير، وقبلـت كـل أنـواع الحداثـة وكـل أنـواع الآلات الموسـيقية. حتـى أن الكنيسة المارونية خرّجت مطربين ومطربات، وفنانين ممثلين، وأبدعت سيمفونيات ذات مستوى عالمي رفيع.

جوقة الفرح

مؤسسها هو الأب الياس زحلاوي ولد في دمشق، وأصبح كاهناً في عام 1959، وفي العام 1962 انصرف لخدمة الشبيبة.

أسس في العام 1977، جوقة الفرح. وهي جوقة كنيسة سيدة دمشق، بدأت بخمسة وخمسين طفلاً من كلا الجنسين، ومن جميع الطوائف المسيحية. حتى وصل عددها إلى نحو 500 منشد. ومن بين أهدافها:

الإسـهام في بنـاء الإنـسان المـسيحي وإحيـاء الطقـوس الكنـسية البيزنطية والمحافظة عليها ونشر ترانيمها، وإحياء ترانيم دينية عربية عامة تخاطب كل مؤمن بالله، وإحياء التراث الموسيقي العربي. وقد قدمت إسهاماتها ليس فقط في سورية بل في العديد من المدن الأوروبية، وأصبحت تضم أعماراً متفاوتة.

Telegram: SOMRLIBRARY

الفصل السابع

موسيقى الأديان الهندوصينية

الهند بلد الأديان، وهي الموطن الأصلي لمجموعة الديانات الدارمية Dharmic religions. وتتضمن الديانة الفيدية Vedic religion الهندوسية، والبوذية، والسيخية والجاينية. فالديانات الدارمية تعتبر واحدة من ثلاث عائلات دينية كبرى في العالم إلى جانب الديانات الإبراهيمية والديانات الطاوية. وبينها جميعاً عناصر تشابه كثيرة، ففي بعض الدول يعتقد أفراد بأنهم بوذيون وبأنهم هندوس في آن معاً، ويقصدون معابد تلك الديانتين. وكانت الهندوسية هي الأقدم بين كل هذه الديانات.

أناشيد الهندوسية في كل المناسبات

الهندوسية أكبر ديانات الهند، وإحدى الديانات القديمة في العالم. يمثل الهندوس نحو 83٪ من سكان الهند. وللهندوسية أثر في كل مظاهر الحياة الهندية. ويُطلق الهنود على ديانتهم اسم سانتاندرا؛ أي الديانة القديمة أو الأزلية.

والاحتفالات عندهم هي العبادة، والعبادة هي احتفال. فلا طقوس بدون احتفال.

Telegram: SOMRLIBRARY

ومن السمات البارزة في الطقوس الدينية الهندوسية الفرز بين النقاء والتلوث. حيث تَفرضُ الأفعالُ الدينيةُ التقية للممارس.

وهناك طقوس الفيدية، وهي تقديم القرابين المحروقة. وهم يُحظون هذه الممارسة بكثير من الإجلال.

تقديم القرابين الحيوانية

Telegram: SOMRLIBRARY

ونجد تقديم القرابين في حفل الزفاف الهندوسي وفي مراسم الدفن، حيث يستمر معها ترديد الشعارات والأناشيد الفيدية المقدسة. فهذه الطقوس المرافقة للأغاني والرقص والموسيقى، كانت توجب تقديم الأضاحي بشكل حتمي قبل مئات السنين، لكنها اليوم تكتفي بتقديم الحلوى والأرز.

وفي مناسبات مثل الولادة والزواج والموت، هناك عادات تقليدية دينية ضرورية.

ومن طقوس الحياة يحتفلون بدورة أنابراشان. وهو الاحتفال بتطور الطفل عبر مراحل حياته، فيحتفلون بتناوله أول وجبة غذائية صلبة.

وهناك طقوس الاحتفال ببلوغ الطفل مرحلة الوعي الديني، و«مراسم الخيط المقدسة» التي يمر بها الأطفال من الطبقة العُليا في تلقينهم التعليم الرسمي.

وهناك طقوس الاحتفال الديني في مناسبات سنوية للموتى، واحتفال بمناسبات الخطبة.

تتعدد طرق الصلاة عند الهندوسية، وتختلف باختلاف الطبقات والطوائف والعائلات.

الصلاة عندهم فردية يقيمونها في اليوم مرتين: صباحاً ومساءً.

الحج ليس إلزاميا في الهندوسية، يعترف الهندوس بعدة مدن هندية مقدسة، وهي: مدينة الله أباد، هاريدوار، فاراناسي، وفيندافين Vrindavan. تتضمن هذه المدن معابد، تقام فيها الاحتفالات. وأهم المواقع الأربعة المقدسة فيها هي: بوري، رامسوارام، دواركا، وبادرينات.

وهناك معبد في الهيمالايا، ويأتون إليه من كل مكان. وهو واحد

Telegram: SOMRLIBRARY

من أقدم مواقع الحج الهندوسي المقدس. ويجري السفر إليه مرة واحدة كل أربع سنوات.

وموقع آخر يحجون إليه كثيراً، وهو بيتاس شاكتي. حيث يعتقدون بأنه مركز الآلهة الأم التي يعبدونها.

وتقام المهرجانات حسب التقويم الهندي الذي يتغير سنة بعد أخرى. ويتزامن مع المواسم وتغيراتها. ومن أهم المهرجانات:

- مها شيفاراتي Shivaratri
- هولى
- رام نافامي Navami
- كريشنا جانماستامي Janmastami
- غانيش شاتورتي Chaturthi
- دورغا بوجا دوسيرا Dussera
- ديوالي.

و ديوالي هو مهرجان الأضواء، فهو المهرجان الرئيس عند الهندوسية. حيث تنار الأضواء والشموع.

صلواتهم هي أناشيد قديمة متوارثة، وهي نصوص مقدسة، تُلقى بطرق غنائية بهدف تبجيل الآلهة، ومنها ننقل نشيد صلاة مخصص لتقديس البقرة. يقول النص المقدس من «ساماويدا»:

« ... أيتها البقرة المقدسة
لك التمجيد والدعاء
فى كل مظهر تظهرين به
أنثى تدرّين اللبن في الفجر وعند الغسق
أو عجلاً صغيراً
أو ثوراً كبيراً

Telegram: SOMRLIBRARY

فلنعد لك مكاناً واسعاً نظيفاً يليق بك
وماء نقياً تشربينه
لعلك تنعمين هنا بالسعادة..»

ممارسات الهندوس تنطوي عادة على السعي للتوعية في مفهوم الإله، وأحياناً تسعى أيضاً إلى البركات من الإله. ولذلك، فالهندوسية وضعت العديد من الممارسات التي تهدف إلى المساعدة في التفكير في اللاهوت في خضم الحياة اليومية. ويمكن للهندوسي الانخراط في ممارسة pūjā (العبادة أو التبجيل)، سواء في المنزل أو في المعبد.

ففي المنزل، يقيم الهندوس في كثير من الأحيان صنماً مع رموز مخصصة كرمز لشكلهم المختار للإله، بحسب تصورهم له.

وفي المعابد عادة ما تكون الرموز مخصصة للإله الأساسي جنباً إلى جنب مع الآلهة الأخرى على الرغم من تعددها عندهم.

وزيارة المعابد تقتصر على حضور المهرجانات الكبيرة.

ومن طقوس الهندوسية، التغني بالدعاء والثناء والصلاة، حيث يهتف الهندوسي طالباً المساعدة، ويقوم بتركيز العقل على الأفكار المقدسة أو للتعبير عن الولاء إلى الآلهة.

كثير من المتعبدين يقومون بالإغتسال صباح اليوم في النهر المقدس، وهم يرددون غناءً تعويذة جياتري أو Mahamrityunjaya.

وهناك التغني بملحمة ماهابهاراتا التي تمجد جابا، في هتاف طقوسي.

فالغناء الديني عرف عند الديانات الشرقية كلها، وهو عندهم عبادة، فلا تتم العبادة بدونه.

وعلى الرغم من أن القرابين البشرية ممنوعة في الهند إلا أن

Telegram: SOMRLIBRARY

بعض الأشخاص من الأمّيين والفقراء في الغالب يقعون تحت تأثير «السحرة» أملاً في تغيير حظوظهم. فيقبلون أن يُذبحوا إكراماً للآلهة. أملاً بأن يتجسدوا مرة ثانية بحظوظ أفضل.

وفي السنوات الأخيرة تحدث المسؤول المحلي في كاليان موكهيرجي في ولاية البنغال: «أن رجلا قد تمت التضحية به قرباناً لإرضاء الآلهة».

ومن أهم مهرجاناتهم الغنائية طقوس الدفن، حيث تحرق جثة الميت، ثم يجمع الرماد، وتتلى عليه التعاويذ والتراتيل الهندوسية، ثُمَّ يتمّ وضعه في أنبوب لرميه بعدها في نهر الغانج.

فالترميد مصطلح يصف حرق جسد المتوفى حتى يصير رماداً.

حرق جثة الميت حسب الطقوس الهندوسية

الآلهة الأم ساهزراناما - SAHASRANAMA ، لها ألف اسم وصفة عند الهندوس، نذكر بعض صفاتها، فهي الأم المقدسة. والملكة

Telegram: SOMRLIBRARY

العظمى. وحاكمة العرش، وأم النار. وأم الفن. أم الشمس، وقاتلة الظلام. وتقول القصيدة في وصفها:

أنت يا ذات الأذرع الأربع
أنت يا خانقة الرغبات
أنت تهبين المعرفة لمن تشائين
أنت تزيلين الكراهية
أنت فنانة تتسلحين بقوس
أنت تتكاملين مع الكون
شعرك مزين بالورود
يزين رأسك تاج مرصّع بالأحجار الكريمة
جبهتك تلمع مثل القمر في يومه الثامن
أنت بهاء نور القمر
حاجباك مثل قوسين
عيناك مثال جمال العيون
أنفك زهرة شامباك Champak الجميلة
على أنفك جوهرة تضيء مثل نجمة.
تعلّقين أقراطاً من زهور الكادامبا Kadamba
على أذنيك
حلقتان هما الشمس القمر
خداك أكثر إشراقاً من روبي
شفتاك أكثر احمراراً وإشراقاً من الكرز الأحمر
أسنانك ناصعة مثل الحكمة
والنبل في فمك العذب
كلماتك حلوة من ذهب.

Telegram: SOMRLIBRARY

موسيقى الطاحونة البوذية

منذ نشأتها رفضت البوذية كل الأشكال التأليهية الكثيرة التي زعم بها الهندوس. فأصبحت ديانة بدون إله. ولذلك فقد اتجهت إلى الإنسان نفسه، وحاولت أن تعثر على طرق لتهذيب النفس البشرية.

وبعد موت مؤسسها تحولت إلى معتقدات باطلة متنوعة وذات طابع وثني، وقد غالى أتباعها في مؤسسها حتى ألّهوه، وصاروا يعبدونه، ويعبدون البوذات الذين خلفوه.

نشأت البوذية في شمالي الهند. وتدريجياً انتشرت في أنحاء آسيا، التيبت فسريلانكا، ثم الصين، منغوليا، كوريا، فاليابان.

وفي سبيل الخلاص يعتقد البوذيون بأنهم يتقربون من آلهتهم بواسطة الموسيقى الدينية... ففي المعابد البوذية يعزفون الموسيقى الشجية على آلات قديمة فقط. منها: الطبول الكبيرة، والبزق، والوتري القديم، وآلات أخرى مصنوعة من الأخشاب تختلف أحجامها وبالتالي تتنوع أصواتها.

وتقوم المغنيات بإنشاد كلمات تنسب إلى بوذا وغيره من المعلمين. ويجري كل هذا في هدوء كبير، ويمكن لكل شخص حضور تلك الصلوات، بالنسبة للبوذي يعتبر ترديد تلك الأناشيد وحضور الصلوات واجباً دينياً.

عجلة آشوكا شاكرا، هي عجلة الحياة وعلامات الوجود ثلاث:

1- الألم

2- عدم الثبات

3- اللا نفس

وتدار العجلة على الدوام، لكي تحقق تواصلاً مع العالم الكوني. واستمراراً للحياة وللوجود كله. وتدوير العجلة هو موسيقى دينية مستمرة، نسمعها في كل بيت وفي كل معبد بوذي.

Telegram: SOMRLIBRARY

عجلة دارما (Dharmachakra).

يهدف البوذي من خلال التأمل معرفة الحقائق، ويؤكد البوذيون ضرورة اتخاذ مرشد في هذا الطريق. والتأمل أنواع:

الساماثا أو الهدوء. ويعتمد على النظرة الداخلية ويؤكد على التيقظ والوعي التام باللحظة الحاضرة والتنبه في كل وقت.

والميتا يؤكد على الرقة المرغوب فيها في قلب الإنسان تجاه العالم كله.

ترتبط أعياد البوذيين بحياة بوذا، ومولده، وتنويره، وموته، وبعض الأحداث المعروفة في تاريخ البوذية.

طقوس المانترا، هي شعور موسيقي خاص، وهي تدريبات مترافقة مع عملية التنفس، حيث يتوجب أن تُبقي العقل القلق ثابتاً، وأن تعطيه الطاقة المحركة، وأن تنقله إلى مجالات ألطف. لذلك يجب أن تكون إيقاعية، محركة، وذات مغزى لطيف. ويجب أن تكون إيقاعية مؤلفة من مقطعين بحيث تتناسب إيقاعياً مع النفَس، لأن للتنفس أثر عميق على حالة الوعي عند الإنسان.

Telegram: SOMRLIBRARY

إن وظيفة التنفس مرتبطة بشكل وثيق بجريان الطاقة الحيوية في الجسم، والتي تدعى (برانا) والتي بدورها تؤثر على العقل بشكل عظيم.

إذا كان التنفس سريعاً وغير منتظم، تصبح الطاقة الحيوية غير مستقرة ومهيّجة، ويصبح العقل مشوشاً والتفكير والفهم غير واضحين، ولذلك يعتبر التحكم بالتنفس (برانا ياما) جزءاً مهماً من التدريبات اليوغية. فكلما كان التنفس أبطأ وأكثر انتظاماً، كلما أصبحت الطاقة الحيوية أهدأ، والتركيز والتحكم بالعقل أعظم.

ويجب أن يكون للمانترا صوت اهتزازي معيّن، بحيث عندما تُغنّى داخلياً ترفع الذبذبة الخاصة بالفرد، أو الإيقاع الذاتي.

يعتقدون بأن كل ذات أو كيان في هذا الخلق له إيقاع ذاتي خاص، له علامة موسيقية خاصة في هذا اللحن الكوني المنسجم؛ من النجوم الفلكية البعيدة النابضة إلى الإلكترونات الدائرة حول الذرات؛ من الأنغام فوق الصوتية للسلاسل الجبلية إلى صدى أصوات المخلوقات الذي لا ينقطع، الغناء، التطبيل، الطنين النقر، الضحك، البكاء. كل العلامات الموسيقية تُعزف في لحن هذا الكون الشاسع.

وأن مصدر هذه الحركة الإيقاعية الدائمة هو الوعي المطلق الصامت الساكن، محيط السلام. غير مشوّش بأي ذبذبة، إنه يتدفق بخط مستقيم مطلق عبر الأبدية.

فالكون عبارة عن مسرحية اهتزازية من الموجات المتنوّعة بأطوال مختلفة. لقد فهموا عن طريق قواهم البديهية الحدسية قوانين هذه الذبذبات الكونية المنسجمة التي تحكم هذا الفيض الاهتزازي (الخلق) وطوّروا علماً لطيفاً من الأصوات كي يؤثروا على إيقاعات الخلق.

إن الموسيقا الهندية التي طوّرها المعلم اليوغي العظيم شيفا، قبل

Telegram: SOMRLIBRARY

أكثر من سبعة آلاف عام، هي إحدى فروع هذا العلم. إن السلالم الموسيقية الهندية التقليدية التي تدعى (راجا) تنسجم مع إيقاعات الطبيعة بحيث أن كل (راجا) تُعزف أو تُغنّى فقط في فصل محدد وفي وقت محدد أيضاً من اليوم لكي تُعطي تأثيراً عاطفياً خاصاً على الموسيقي وعلى المستمعين.

إحدى (الراجات) تُعزف فقط عند الفجر في فصل الربيع كي تثير مزاج الحب الكوني. (راجا) أخرى تُغنّى فقط في أمسيات فصل الصيف لإثارة الحنان والعطف.

وأخرى تُغنّى فقط عند منتصف النهار في الفصل الماطر لاستحضار الشجاعة.

لقد قيل إن أسياد الموسيقى لم يتحكموا فقط بالمشاعر الإنسانية، وإنما بكل الظواهر الطبيعية أيضاً، حتى أنهم يستطيعون أن يولّدوا الحرارة وأن يُنزلوا المطر حسب إرادتهم، وإن اهتزازات أصواتهم لوحدها تجعل الآلات الموسيقية المُنغّمة بشكل دقيق ترن مصاحبةً لهم.

الوثائق التاريخية تصف القدرات الرائعة التي كان يمتلكها المعلم (تانسن) موسيقي البلاط للإمبراطور (أكبر) العظيم. فعندما أمره الإمبراطور أن يعزف (راجا) ليليّة بينما ما تزال الشمس في كبد السماء، فإن ذبذبات أغنية (تانسن) جعلت كل القصر في الحال يتغلف في الظلام.

ولكن الألطف من بين علوم الأصوات هذه هو علم المانترا. لقد عرف الأسياد الروحيون أن كل إيقاع فردي ذاتي يتذبذب عند تردّد معين كما أن العديد من الآلات الموسيقية تعزف بانسجام فيما بينها، كذلك مجموع الإيقاعات الحيوية للعقل والجسد (الموجات الفكرية، ضربات القلب، عمليات الإستقلاب... إلخ) كلها تنتج اللحن الفردي

Telegram: SOMRLIBRARY

الخاص. وإذا رفعنا هذا اللحن الفردي إلى ترددات ألطف وأبطأ فسيصبح أخيراً لانهائياً وسيندمج العقل بالوعي الكوني اللامحدود.

وخلال التجارب الداخلية الطويلة، طوّر اليوغيون سلسلة من الأصوات الفعالة أو المانترات، والتي إذا غُنّيت بشكل داخلي أو فكري تتجاوب مع الإيقاع الذاتي الفردي وتحوّله بالتدريج إلى الخط المستقيم المطلق للسلام الأسمى.

نشأت هذه الأصوات من داخل الأجساد، ونُظّمت فيما بعد ليُصنع منها أقدم أبجدية وأقدم لغة على الأرض، وهي اللغة السنسكريتية. وتعتبر هذه اللغة أغنية الجسد البشري الأبدية.

يقول التدريب اليوغي:

أغمض عينيك للحظة واستمع فقط. عندما نكون في بيئة هادئة فإن الكثير من الأصوات تطرق آذاننا: عنين الآلات الممل، الأصوات البعيدة التي تحملها الريح، تغريد الطيور، أصوات الهواتف، ضجيج أعمال البناء والمرور.

ولكن إذا استطعنا أن نسحب عقولنا من هذه الأصوات الخارجية، فسوف نسمع ذبذبات داخلية ألطف بكثير. في السكون المطلق للحجرات المقاومة للأصوات في المختبرات العلمية التي تعزل عن كل أنواع الضجيج الخارجي، استطاع بعض الناس أن يسمعوا بعضاً من هذه الأصوات الداخلية: رنين عالي النبرة، ضربات عميقة، اهتزازات جهازهم العصبي، ونبض الدورة الدموية.

قبل آلاف السنين، استطاع اليوغيون المتأملون في الصمت المطلق للكهوف والجبال أن يسحبوا عقولهم، ليس فقط من الأصوات الخارجية، بل من ضوضاء الجسد المادي أيضاً. عندئذٍ استطاعوا أن يركزوا عقولهم على مراكز الطاقة اللطيفة في داخلهم. يوجد على

Telegram: SOMRLIBRARY

طول العمود الفقري وفي الدماغ سبعة مراكز طاقة عقلية، نسميها (شاكرات) وهي التي تتحكم بكل وظائف العقل والجسد، ومعظم بني البشر غير واعين لهذه المراكز، ولكن عندما يصبح العقل والجسد أكثر صفاءً عبر التأمل، يمكن لمراكز الطاقة اللطيفة هذه أن تُدرك ويمكن التحكم بها.

هؤلاء اليوغيون القدماء الذين وجّهوا أذنهم الداخلية باتجاه مراكز الطاقة هذه، استطاعوا أن يسمعوا الذبذبات اللطيفة التي تنبعث من كل مركز، ومجموع هذه الاهتزازات تسعة وأربعون. وبعد ذلك لفظوها بشكل مسموع، وكل واحد من هذه الأصوات الداخلية اللطيفة أصبح حرفاً من الأبجدية السنسكريتية. وهكذا فإن اللغة السنسكريتية، التي تدعى عندهم «أم جميع اللغات»، قد تطورت عبر إظهار أصوات الطاقة الداخلية اللطيفة.

بعد ذلك جمع اليوغيون هذه الأصوات الفعالة على شكل (مانترات) متناغمة مع الإيقاعات الكونية لهذا الكون الأكبر. على مدى آلاف السنين لم تدوّن هذه المانترات حتى لا تُستغل من قبل الأشخاص الذين لا يستحقونها والذين يسعون وراء القوى الخارقة، ولكنها كانت تُنقل من المعلم إلى التلميذ. حتى هذه الأيام، يجب أن تُعلّم المانترا بشكل شخصي من قبل معلم مُؤهَّل؛ إن الأشخاص المختلفين ذوي الإيقاعات الذاتية المختلفة، سوف يتلقون مانترات مختلفة من أجل التركيز عليها. وهكذا فإن الناس من مختلف الجنسيات، بغضّ النظر عن لغتهم، سوف يستخدمون في تأملاتهم مانترات باللغة السنسكريتية، لأن السنسكريتية هي اللغة الكونية لمعرفة الذات.

إن الغناء المتكرر للموسيقى الداخلية اللطيفة للمانترا (الإيقاع الذات) خلال التأمل يُولّد ذبذبةً في مراكز الطاقة ويهدئ العقل القلق.

Telegram: SOMRLIBRARY

وبشكل تدريجي يتباطأ الإيقاع الذاتي للمتأمل تجاوباً مع المانترا حتى يتحول أخيراً إلى الإيقاع الكوني ذي الخط المستقيم ويذوب في بحر الوعي الكوني الخالد الصافي الهادىء؛ وهذا هو الهدف من ممارسة اليوغا.

والمانترا ليست فقط عبارة عن صوت اهتزازي إيقاعي يؤدي إلى انسجام كل إيقاعات العقل والجسد مع الإيقاع الأسمى، بل تمتلك معنى خاص قابلاً للتوسع أيضاً.

إن عملية التأمل أيضاً تُوظّف تأكيداً متكرّراً لمعنى المانترا وهو «أنا الوعي المطلق» أو «أنا واحد مع ذلك المطلق».

بالتصوّر المستمر لمعنى المانترا «أنا ذلك»، فنحن نقلّل بالتدريج التطابق المزيّف لهويّتنا مع الجسد والعقل الأدنى ونميّز أنفسنا على أنها الذات الداخلية المباركة. بينما يتوسع العقل بالتدريج وبشكل غير مُدرَك عبر طبقات أعلى، ففي يوم مجيد سوف نصبح أحراراً تماماً من كل قيود الأنا، وسندرك أننا لسنا هذا الجسد ولا هذا العقل؛ نحن الوعي الأسمى. في تلك اللحظة نتخطى حدود المانترا والإيقاع والاهتزاز والمعنى والتصور، وفي صمت بلا تنفس، نذوب بنشوة الإتحاد مع أصل كل الوجود.

اللامية ـ بوذية التيبيت
Lamaism - Tibetan Buddhism

تعرفت البوذية على الإسلام الذي حمله المنغول إلى تلك البقاع، فنشأت اللاميّة التي تأثرت بالإسلام الصوفي. وقد تفرعت عن البوذية. وتمارس في التيبت الصينية، وفي منغوليا والهند وماليزيا ونيبال وتايوان وغيرها، وتسمى البوذية التيبتية.

Telegram: SOMRLIBRARY

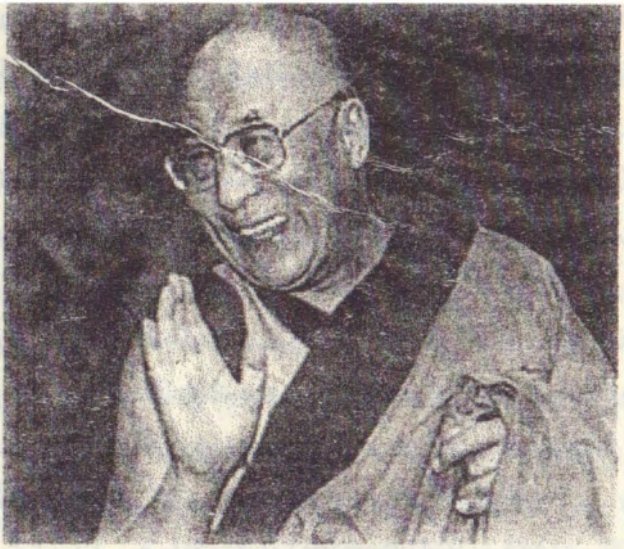

الصورة الديلاي لاما

يُمارس الرهبان طقوسهم الدينية بطريقة جماعية متأثرين بالصلاة الجماعية عند المسلمين، ويَطغى الجانب الفردي على ممارسات الجمهور في البيوت. ويشترك الجمهور والرهبان في تلاوتهم لصيغة الملاذات الثلاث: «أعوذ ببوذا، بدارما وبسانغا»، وذلك أثناء أدائهم للصلوات.

أتباع مذهب «تيرافادا» لم يرفعوا بوذا التاريخي إلى درجة الإلوهية، إلا أنهم خصصوا له بناءات خاصة تدعى «ستوبا» وهي أبنية على شكل قباب، توضع بداخلها لوازم وآثار مختلفة ترجع إلى بوذا. يقوم الأتباع بالمشي حول مبنى الـ«ستوبا» في اتجاه عقارب الساعة، حاملين معهم زهوراً وبعضاً من عيدان البخور، كدلالة على احترامهم للمكان.

ويُعتبر يوم ميلاد بوذا أهم مناسبة احتفالية في الرزنامة البوذية، يُطلق على المناسبة في مذهب تيرافادا اسم «فايساكا» (Vaisakha) وتقام

Telegram: SOMRLIBRARY

الاحتفالات التي تصاحبها على مدار الشهر الذي يلي هذا التاريخ (تاريخ مولد بوذا). ثاني أهم مناسبة في البلدان التي يسود فيها مذهب (تيرافاد)، ويطلق عليها اسم «بيريت» (pirit)، يتم فيها تلاوة نُصوص مختارة من قوانين بالي... حتى تطرد الأرواح الشريرة ويشفى المرضى، كما يتم فيها مُباركة الأعمال الخيِّرة وغيرها.

تكتسي الطقوس والمراسيم أهمية أكبر لدى أتباع مذهب ماهايانا (الصين واليابان). يتم تعليق صور مختلفة لبوذا ولشخصيات مقدسة في مذابح المعابد وفي مخادع البيوت، وتتخذ كوسيلة للتبرك. تتم العبادة عن طريق أداء الصلوات وترتيل بعض النصوص المقدسة بطريقة جَهورية، كما يتم تقديم بعض القرابين من فواكه وزهورٍ وبخور.

تُعتبر مناسبة «أولامبانا» (Ullambana) أبرز المظاهر الاحتفالية البوذية في الصين واليابان.

يسير جميع أهل القرية نحو المعبد، وكلهم يحملون آلات دينية للصلاة، وهذه الآلات، هي طواحين ومسبحات أو غيرها، فالطواحين هي أسطوانة مصنوعة خصيصاً تشبه ألعاب الأطفال، وتدور حول محور، ويحملها المصلي وعليه أن يدوِّرها باستمرار. وقد كتبت عليها تسابيح وتعاويذ ورسمت صور ملونة تبارك بوذا والدلاي لاما.

وفي المعابد المقدسة.. يقومون بدفع الطواحين الكبيرة والصغيرة، والتي هي جزء من تشكيل المعبد كله. ويتوجب أن تدور الطواحين بدون توقف.. إنها طواحين الصلاة.. وإن دورانها برأيهم يحقق توازن الكون كله. إنها عجلات الصلاة.. وفي كل طاحونة عشرات الصلوات والأناشيد منقوشة ومكتوبة.

التيبيتيون كلهم يرددون عبارات بوذية باستمرار، في البيوت وفي الأسواق، وأثناء الزراعة وكل الأعمال.. وهي صلوات خاصة، تقولها

Telegram: SOMRLIBRARY

المرأة مثلاً، وأثناء صناعة الصوف ترددها باستمرار، فكل عقدة في الغزل هي لفظ كلمة من الصلاة... وكلها تقال في إيقاعات تأملية خاصة. فهناك صلوات تقولها المرأة أثناء الغزل، وصلوات أخرى تقال أثناء تحضير الطعام... وهكذا..

التعبير الذي يرددونه باستمرار غالباً يقول: (أوم هان). وهو أغنية شعبية وطنية.

ومن طقوسهم الدينية الغريبة والوحشية، تلك المسماة رقصة النار، وهي موجودة في التيبيت كلها، ورقصة الخامبا هي دوران ورقص حول النار، يؤديه الرجال والنساء معاً. وفيه يقدسون النار ويعبدونها ويعتبرونها رمزاً للآلهة. وقد اكتسبوا تلك الطقوس عن الزرادشتية التي وفدت إليهم مع الأقوام القادمة من فارس والقوقاز.

وهم يعتقدون بأن رقصة النار تعمّق الحب وترسخه، فيصبح حباً متجذراً.. وترقص البنات والشباب، ما يؤدي إلى تسخين العواطف وتأجيجها، وتنتهي باستيلاء العاطفة القوية على الراقصين.

كل تيبيتي خامبي يردد صلاته باستمرار ودون توقف فيقول:

أوم ماني

باغني

هام.

أوم ماني

باغني

هام.

وهناك ست تعويذات أساسية:

Telegram: SOMRLIBRARY

تعويذة أوم ماني بادمي:

شعار أوم ماني بادمي PADME هو التعويذة الرئيسة التي يقولها باستمرار وعلى الدوام كل شعوب التيبيت.

ترنيمة ساراها الملكية، وتقول كلماتها:

أنحني لمانجوسري النبيل
أنحني لمن قهر المحدود
كما المياه الساكنة التي تضربها الريح
تتحول إلى أمواج ودوّامات
هكذا الملك يرى ساراها
في أشكال عدة، على الرغم من أنه واحد
أحمق من يلحظ المصباح الواحد اثنين
لأن المشاهد والمشاهَد هما واحد وليسا اثنين
إن الفكر يؤثر في كليهما
مع أن مصابيح البيت مضاءة
يظل الأعمى يعيش في الظلام
مع أن العفوية قريبة وتحيط بكل شيء
لكنها تبقى للمخدوع قصية دوماً
رغم وجود العديد من الأنهار
إلا أنها في البحر واحد
ورغم وجود العديد من الأكاذيب
إلا أن حقيقةً واحدة ستقهرها جميعاً
عندما تبزغ شمس واحدة
سيختفي الظلام
مهما كان دامساً.

Telegram: SOMRLIBRARY

مهرجان السنة الجديدة ـ لوسار

وهو من أكبر مهرجانات التيبت.

ففي العصور القديمة عندما تزهر شجرة الخوخ، كان يعتبر ذلك بداية العام الجديد. وفي بداية كل عام يحتفل أهل التيبيت، ويؤدون صلاة اللاسا.

وفي منتصف الشهر القمري الأول، يقام مهرجان اللاسا وصلاة اللاسا، حول بارخور. فيأتي بارخور كثير من الحجاج والسياح والسكان المحليين.

رجان الملحمة والدعوة

ويقام في أيار وحزيران وتموز. وهو من أقدس الأعياد الدينية في التيبت، وهناك أيضاً مناسبات لا تنسى، كميلاد بوذا والتنوير بوذا. حيث ينضم كل شخص في لاسا إلى المسيرة التي تجول في المدينة، ويخصص وقت بعد الظهر حتى وقت متأخر من الليل للنزهة في حديقة نزونغياب.

مهرجان غيانتسي

وهو عيد سباق الخيل والرماية ويقام في أيار وحزيران وتموز. ويشارك فيه عموم الشعب التيبيتي، ويشمل سباق الخيل، والرماية، وإطلاق النار، يلي ذلك الترفيه بضعة أيام أو التنزه. وحالياً تجري ألعاب الكرة، وتنشد الأغاني الشعبية وتقام سباقات المضمار والميدان، وتؤدّى الرقصات الشعبية.

مهرجان شوتون

وهو مهرجان الأوبرا وأكبر المهرجانات في التيبت أيضاً. ويتناولون فيه الزبادي المصنوع من لبن ثور المايا المقدس، وهو أيضاً وجبة مقدسة.

Telegram: SOMRLIBRARY

ويؤدون الرقصات الاحتفالية منذ القرن السابع الميلادي. وتقام حفلات الأوبرا لعدة أيام في نوربو لينغكا، في الوقت الحاضر، وتعقد مسابقات الأوبرا وتوزيع الجوائز لمدة سبعة أيام.

مهرجان الحصاد

وهو مخصص للمزارعين للاحتفال بمحاصيلهم. ويتمتع الناس مع سباق الخيل والألعاب، ويقام عرض أزياء. وتؤدى الأناشيد المتنوعة والأغاني والرقصات، ثم يقوم الناس بالنزهات والتعارف والحب.

أسبوع الاستحمام

عندما يظهر كوكب الزهرة في السماء، ويصبح ماء النهر أنقى، يعتقدون أنهم قضوا على الأمراض في ذلك الوقت، عندئذ يقام عيد الاستحمام، ومدته أسبوع كامل. حيث يذهب جميع الناس في التيبيت إلى الاستحمام في النهر.

مهرجان سباق الخيل Changtang

حين يزدهر موسم الرعي، وتزهر النباتات البرية. يجتمع الرعاة ويركبون الخيول. ويحملون المنتجات المحلية. وتؤدى الرقصات ويجري التعرف والحب بين الناس.

مهرجان غاندن

يأتي الناس إلى دير غادن. ويحملون معهم الهدايا الثمينة للدير وللرهبان، وتعرض عليهم كنوز الدير الثمينة ومنها القديم الذي يعود إلى ملوك التيبيت القدماء. ويعتبر ذلك حجاً مقدساً عند أهل التيبيت.

Telegram: SOMRLIBRARY

مهرجان رش الماء

يتبادلون فيه رش الماء، وينشدون ويلهون في الأنهار.

رسم أثري لحيوان الياك المقدس

تبرُّج نسائهم هو استخدام زبدة الثور ووضعها على الوجه. وتلوين الوجه باستخدام أصبغة نباتية محلية. وإنه لابد للنساء والبنات من التجمل قبل حضور الأعياد والمهرجانات الدينية.

Telegram: SOMRLIBRARY

أوبرا التيبت

أوبرا التيبيت مشهورة ومميزة، وهي تقليد قديم وعريق يعود إلى 1400 سنة، ومرتبط بعقائدهم القديمة. وتسمى الأوبرا الشعبية الرئيسة عندهم (لهامو) واسمها يعني الأخت. وفيها يمارس الرقص المختلط والغناء ورواية القصص الأسطورية المتناقلة.

ووفقاً للسجلات التاريخية التيبتية، فإن الملك سونغ تسان جامبو قدم إلى التيبيت، وتزوج واحدة من فتياتها، فأعجب بالرقص والغناء التيبيتي، فأسس فرقة من ستة عشر فتاة، من أجل تسلية الأميرة. ثم تطور ذلك الفن في عهد ابنه وانتشر في أقاليم التيبيت. فتجلت الأوبرا التيبيتية في القرن الخامس عشر. ثم تطورت الأوبرا في القرن السابع عشر، وأصبحت تستخدم الأقنعة وحيكت القصص والأساطير الشعبية والرومانسية المثيرة. وانتقلت الأوبرا إلى الهند ونيبال.

Telegram: SOMRLIBRARY

ومنها أوبرا الأميرة نتشنغ، التي تروي قصة حب بين الإله والبشر.
واليوم نجد في التيبيت أربع مدارس فنية للأوبرا التيبتية.

Telegram: SOMRLIBRARY

معبد تيانتايتشانسي على جبل جيوهوا

Telegram: SOMRLIBRARY

تمتزج ترانيم تلاوة الرهبان والراهبات للأسفار البوذية التيبيتية مع إيقاع قرع الطبول.

واليوم يحتفظ جبل جيوهوا بأكثر من ألف كتاب للشعر والمقالات والأغاني. في إحدى القصائد التي تصف الجبل نقرأ:

«على ضفة النهر
لوحات رسمها وانغ وي (رسام صيني قديم)
وعلى أحجار الجبل قصائد شعر
كتبها لي باي قبل ألف سنة».

ونقرأ أيضا:

«في تشو
ويويه
آلاف من الجبال
ولكن جيوهوا يجمع جمال كل هذه الجبال
في جبل واحد».

السيخ

إنَّ ديانة السيخ وعباداتهم وطقوسهم وسائر شعائرهم هي مزيج من مصادر متنوعة ومتعددة، ففيها مصادر صوفية إسلامية، وإسلامية سنية وشيعية، ومصادر هندوسية وبوذية ومسيحية ويهودية.

ظهرت السيخية في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي كديانة معادية للإسلام وللانتشار الإسلامي في الهند، ودعا زعماؤها المؤسسون إلى دين جديد. وحاولوا فيه أن يعثروا على صيغة توفيقية بين الهندوسية والإسلام، على حدّ زعمهم. تحت شعار «لا هندوس ولا مسلمون».

Telegram: SOMRLIBRARY

رجل من السيخ أمام المعبد الذهبي، ويلاحظ تشابه
بناء المعبد مع المساجد الإسلامية

كل الموروث الديني السيخي هو أناشيد مغناة، أهمها تلك النصوص التي كتبها الشاعر الصوفي المسلم الأصل باهاي مردانا. والذي يقال عنه أنه تحول إلى السيخية. وقصائد المعلم الأول للسيخ غورو ناناك. وقصائد المعلمين الذين تلوه.

نصوص ساو ساخي المقدسة، وهي مائة قصة في النبوة. وفيها وثائق تاريخية مهمة. ففي الصفحة 340. بعنوان (دينار كتنغهام) جاءت وثيقة مهمة من القرن التاسع عشر، وتتحدث هذه النصوص عن خرافات وأساطير غورو ناناك وعن معجزاته. وتتحدث النصوص أيضاً عن نبوءات غورو ناناك حول سيطرته على الشعوب والعالم كله وبلاد الهند قاطبة.

Telegram: SOMRLIBRARY

وتقول نصوص (كارني ناما) أيضاً، إن نعم وأفضال غورو ناناك ظهرت لجميع من قابلهم، مشايخ وعلماء دين مسلمين، وإنه أثناء عودته من المدينة المنورة. فإن القاضي (ركن الدين) الذي قابل غورو ناناك، قال له: (أنت من رجال الله). وأنت من (أمة الرب)، فماذا تتبنأ للمستقبل؟.

فأجابه ناناك بهذه الأقوال:

يجب أن تزول الشكوك
سنخوض المعارك ضد الامبراطور أورنغ زيب
وسننتصر عليه
وسيبقى اسمي إلى أبد الآبدين
وستظل مملكتي تسيطر على تلك البلاد.

قصيدة من أناشيد Gurdas

تتحدث القصيدة عن زيارة بابا ناناك إلى بغداد، تقول كلماتها:

من مكة المكرمة
ذهب بابا ناناك إلى بغداد
أقام خارج المدينة
كان برفقته (مردانا)
صمت الجميع في هدوء للاستماع لكلمات بابا ناناك
فأطلق عليه البير لقباً خاصاً به
وهو المنجد والمنقذ

لكن رفيقه مردانا قال:

«إنه تسلم من الله رسالة إلى الناس

Telegram: SOMRLIBRARY

رسالته إلى البشرية كلها
وأنه معروف ومشهور في جميع أنحاء الأرض...»

نشيد ناناك داس | 4 | 34 | 41 |

يقول خادم ناناك في صلاته
هل تبيح لي أن أصلي
طوال أربع وعشرين ساعة في اليوم؟
وبكل سعادة أقبّل أقدام المعلم المثالي
وتتركز صورته في ذهني
الله وحده يعلم أن تلك متعة حلوة
حيث كنت أصلي في الصباح الباكر
وأقول الصمدية بعمق
وبمتعة حلوة
لأبي ومعلمي الذي لا يمكن الوصول إليه
يخبرنا بأنه يسكن بالقرب منا
وأنه في متناول اليد
هو المانح للنفوس
هو الذي تدركه النفوس
كلما أدرك الشخص أناه الخاصة به.

ترانيم السيخ

الترانيم، أناشيد دينية صيغت على الطريقة الصوفية. وهي تتشكل من واحد وثلاثين نشيداً موسيقياً. وقد كتبت قديماً بعدة لغات مختلفة منها اللغة العربية.

Telegram: SOMRLIBRARY

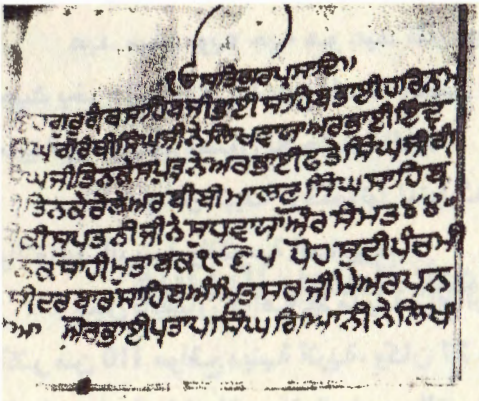

كتابهم المقدس «جرانس صاحب»، يعتبرونه تجسيداً حياً للمعلمين الغوردورات الأحد عشر.!. أي أنهم يعتقدون بأن كل واحد من المعلمين يكون حاضراً في هذا الكتاب. ويضعونه فوق طاولة مرتفعاً عن الأرض، ويكون مثل محراب للمصلين. فيقبّله كل شخص ويتبارك به. وهذا الكتاب يعتبرونه تجسيداً للغوروات أي تجسيداً للإله، في حين أن نصوصه ليست سوى قصائد تروي حكايا وأساطير وتعاليم.

وللسيخ احتفالات مقدسة في مناسبات الولادة والزواج. إذ يعتبرونها مناسبات دينية مقدسة. وكل احتفالاتهم يحضرها السيخ رجالاً وأطفالاً ونساء، وتنشد فيها قصائدهم الدينية المقدسة.

الكونفوشيوسية

تعود هذه العقيدة إلى كونفوشيوس الذي ولد سنة 551 ق. م في مدينة تسو Tsou في الصين. وكان يغني، وينشد، ويعزف الموسيقى الدينية، وقد ترك كتاب الأغاني Book of Songs كما أنه كان مغرماً بالحفلات والطقوس.

الموسيقى عندهم لها خمسة مفاتيح، والألوان الأساسية خمسة.

يقدسون أرواح الأجداد.!. ويعتقدون ببقاء هذه الأرواح، ويوجد في كل بيت معبد لأرواح الأموات ولآلهة المنزل.

Telegram: SOMRLIBRARY

عيد سان يويه جيه هو عيد تقليدى لقومية باي الكونفوشية، حيث يخرج الناس إلى شوارع المدينة ويلبس الرجال والنساء أزياء قومية مزينة ويغنون ويرقصون للاحتفال بالعيد.

وتشتهر كل قبيلة برقصاتها المتوارثة عن القدماء، وبالأساليب والتقاليد الدينية والقومية الساحرة.

جبل تايشان الواقع في مدينة تاي آن بمقاطعة شاندونغ، وفيه اكثر من 110 مواقع دينية أثرية، وكان 27 حاكماً في تاريخ الصين قد زاروا جبل تايشان لإحراق البخور والتعبد وإقامة حفلات تذكارية ضخمة لأسلافهم. ويعتبر مزاراً دينياً لهذه الشعوب.

وقد أبدع هؤلاء في الموسيقى فصنعوا آلات موسيقية من مواد نباتية ومن أغصان الأشجار. ومازالت هناك فرق تعزف الألحان الموسيقية القديمة التي يزيد عمرها عن 2500 سنة.

فلا تتم الاحتفالات ولا الطقوس الدينية عندهم بدون موسيقى وإنشاد.

Telegram: SOMRLIBRARY

الفصل الثامن

مهرجانات وأعياد الشعوب البدائية

مهرجانات الهنود الحمر

عرفت أمريكا اللاتينية منذ خمسة آلاف سنة العديد من الحضارات قبل أن يكتشفها الغزاة الإسبان. حضارة الإنكا. التي قامت على أسس وعقائد ديانة الإنكا. وهي أحدث تلك الحضارات وأغناها.

قامت حضارة الإنكا على سفوح جبال الإنديز في الجزء الجنوبي من الأمريكيتين، على ما يعرف اليوم باسم البيرو. ثم توسعت إلى الإكوادور وتشيلي وبوليفيا وأطراف من كولومبيا والأرجنتين والبرازيل وباراغواي. ومما لا شك فيه أن تلك الديانة وصلت إلى المناطق المجاورة التي تشكل اليوم فنزويللا وبوليفيا وأوروغواي وأكوادور والمكسيك.

وبعد الغزو الاسباني تطورت معتقدات الإنكا نفسها. بطرق ثلاث:

- معتقدات إنكا متأثرة بالإسلام الذي حمله المسلمون الاسبان
- معتقدات إنكا متأثرة بالمسيحية التي فرضها الاسبان
- معتقدات إنكا متأثرة باليهودية / المسيحية.

Telegram: SOMRLIBRARY

عرف أفراد الأنكا باسم «أطفال الشمس». عبدوا آلهة الطبيعة، إله الشمس، وإلهة القمر، وإله الرعد، وقوس قزح، وقمم الجبال والنجوم والكواكب، وغيرها الكثير.

رقصة الشمس هي من الرقصات الشهيرة لدى قبائل الهنود الحمر، وقد وصلت لهم عن طريق شخص أصبح قديساً فيما بعد اسمه كابلايا.

الطبل عندهم مقدس ويهتمون به كثيراً وهو جزء من طقوسهم وشعائرهم الدينية.

يقول الكاهن ريمون بولوس:

«.. الطبل المقدس تعني كل شيء على الأرض، الناس، علاقاتنا مع بعض، العشب، الشجر، الحيوانات، الطيور والماء والهواء والنار والرياح وهي من كل هذا وذاك ولهذا لها صوت وطاقة... ويتبع الطبل أربعة مغنيون عادة ما يكونون من أعمار مختلفة مهمتهم الغناء في الصلاة، وإرسال أصواتنا إلى الخالق... نحن نؤمن بأن الطبل يحب الحياة، الروح، الإحساس بالحياة ويغنون معها. الطبل ضربات قلب الأمة، إنها تمنحنا القوة، بالطبل نغير حياة الناس...»

«... غناؤنا ليس للطرب إنه أقرب للنشيد، ندعو فيه الخالق ونشكره على نعمه»

وهم عادة لا يطلبون الكثير من الخالق لأنهم يشعرون أنه منحهم أشياء كثيرة يستحق أن يشكروه عليها، فهم يؤمنون بأن هناك أربعة اتجاهات في العالم وأن روح الخالق تتوزع في هذه الاتجاهات يسمونهم الأجداد ولكل اتجاه رمز معين. هذه الاتجاهات تحمل صلواتهم للخالق..

Telegram: SOMRLIBRARY

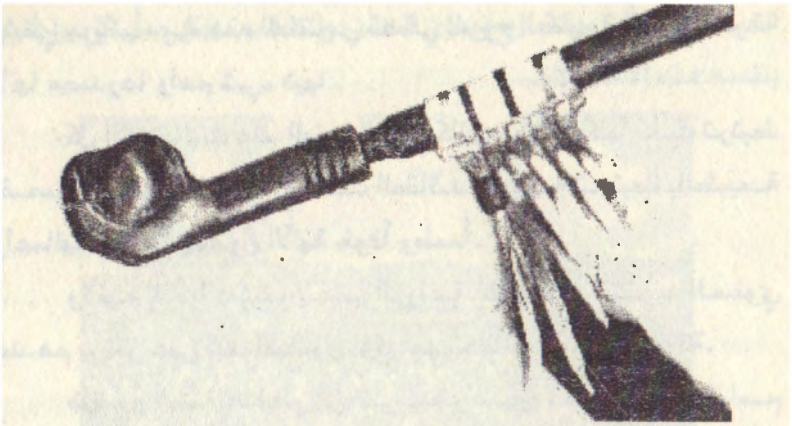

البكاء أثناء الطقوس والاحتفالات أمر ضروري. وهو البكاء من خلال الرؤيا

يقول البروفوسور ريمون بولوس:

البكاء خلال الصلاة أو إقامة الشعائر الدينية أو السمو الروحي من الطقوس التي مارسناها قديماً حتى قبل أن يرسل الخالق لنا الغليون، وكم بكينا نحن البشر خلال السنين الماضية القديمة. كلنا نحن البشر بكينا تذللاً، وكل من يريد البكاء تذللاً عليه أن يسأل راهباً (رجل دين) مؤمناً ليدله على الطريق الصحيح حتى لا يذهب بكاؤه سدى، لأن الطقوس إذا لم تتم بالشكل الصحيح فقد يأتي نوع من الأفاعي وتلف نفسها حول الشخص الذي يبكي للرؤيا.

لدينا راهب أو قديس يدعي الحصان المجنون كان يبكي للرؤيا عدة مرات في السنة واستمد بذلك قوة كبيرة من الحصان والنسر والصخور.

أهم شيء في التعبد هو التأمل بالكون والخالق وعادة يتم في الجبال وهي طقوس تمارس أثناء الحروب مثلاً أو للطلب من الخالق أن

Telegram: SOMRLIBRARY

يشفي مريضاً، وفي هذه الطقوس نصلي للروح العظيمة لتمنح المعرفة لأنها مصدرها وأهم شيء فيها.

كل الاحتفالات عند الهنود الحمر كانت دينية، وكلها كانت ترتبط بفصول وشهور السنة. فكانت العقائد الدينية ترتبط بالطبيعة وأعمالها. فكانوا يعبدون الآلهة خوفاً وطمعاً.

ولأنهم كانوا يعيشون على الزراعة. فقد كان التقويم السنوي عندهم يرتكز على تلك الفصول. وكل مهرجاناتهم زراعية وملونة.

فتقسم السنة عندهم إلى اثنى عشر شهراً قمرياً. ويرتبط اسم كل شهر بأحداث زراعية ودينية. ويحتفلون في كل شهر، بالعيد المخصص له.

يبدأ التقويم السنوي عند الإنكا بدءاً من شهر ديسمبر. وهو شهر الأعياد الدينية العظيمة. وخلال هذا الشهر يقام مهرجان كبير. وتجري فيه مراسم تسليم المناصب لأبناء النبلاء.

شهر يناير أو Kamay وهو شهر النضوج الصغير.

شهر خاتون، هو شهر شباط، شهر النضوج الكبير.

شهر آذار / مارس، يسمى عندهم Pakar باكار الواراي، وهو شهر الزهور ونضوج الزراعة.

شهر أبريل، هو عندهم شهر أوريوا Auriwa، وهو شهر مخصص للرقص، ويلبسون الملابس البيضاء الأنيقة، ويتحلون بالذهب والحلي، ويطوفون في طرقات المدينة، ويقام الحفل الكبير في ساحتها.

شهر أيار / مايو، يسمى عندهم أيموراي، Aymuray، وهو شهر المهرجانات، يحتفلون فيها بالحصاد، وتقام في كل أنحاء الإمبراطورية.

شهر حزيران، وهو شهر مهرجان الشمس، وله احتفال مهم عندهم. إذ يعتقدون بأن الشمس تحتفل معهم، وتكون ضيفهم. ويلبس

Telegram: SOMRLIBRARY

النبلاء أثواباً جميلة، ويضعون الحلي والذهب. ويحضر الإمبراطور بنفسه هذه الاحتفالات.

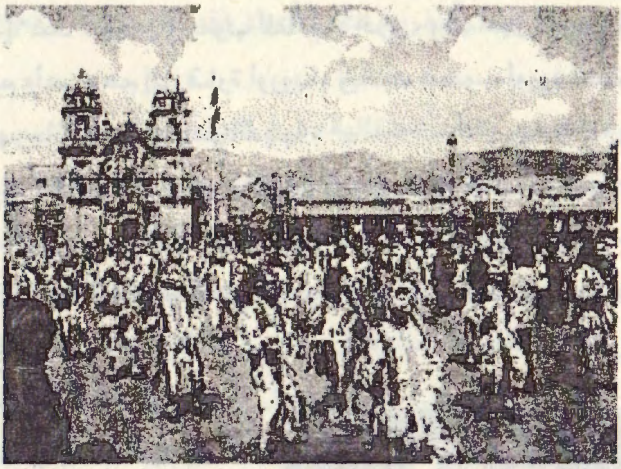

مهرجان إنتي الريمي، واحد من أهم المهرجانات في بيرو

وهناك شهر مخصص لتنقية الأرض. وفيه يقدم الكهنة الأضاحي لـ (هواكاز huaca)

وكانت تقام مهرجانات مماثلة لتكريم الإله هواكاز huacas عند قنوات ومجاري المياه والري الموجودة في كل مناطق المملكة.

شهر أغسطس، وهو الشهر المخصص لتنقية الجميع. وتطهيرهم من الذنوب. وتقدم فيه التضحيات.

وشهر أكتوبر، يحتفلون فيه بمهرجان المياه، ويصلي الناس للمطر. فهم يطلبون من الآلهة أن تنزل الأمطار لكي تنبت مزروعاتهم.

وشهر تشرين الثاني يحتفلون فيه بمهرجان الموت. فيعبدون أمواتهم وأسلافهم، خشية الموت نفسه. وقد انتقل مهرجان الموت إلى الشعوب الأخرى فأخذ صفات احتفالية جديدة. وأصبح بعض الناس

Telegram: SOMRLIBRARY

من البيض يحتفلون بأعياد الهنود الحمر سنوياً. فديانة الإنكا لم تمت، ولم تنقرض. بل تمكنت بالفعل من التغلغل، والانتشار (في بعض عقائدها)، عند البيض وشعوب العالم الأخرى. وقد حمل الهنود الحمر عقائدهم وأعيادهم إلى قارة أوروبا، وباتت شعوب أوروبا تشاركهم ببعض مهرجاناتهم وأعيادهم الدينية.

يولع الغرب كما يبدو بالفنون والموسيقى الهندية، ومنها رقصة السامبا، التي غزت العالم كله. وفي العواصم الأوروبية نوادي خاصة تعرض رقصة السامبا التي تؤديها فتيات قادمات من البرازيل وأوروغواي ودول الأنديز الأخرى.

وفي بداية تشرين الثاني 2010 احتفل في المكسيك بهذا المهرجان. ورأينا فيلماً إخبارياً يظهر صوراً: تماثيل للأموات. وأشرطة ملونة كثيرة يحملها المحتفلون ويلوحون بها. وإضاءة كثيرة ملونة. ومجسمات مختلفة للأموات، جعلوها بشكل لطيف ومبهج. وقال الخبر إنهم في هذه السنة خصصوا عيد الأموات لتكريم القتلى الذين كانوا يعبرون الحدود للوصول إلى الولايات المتحدة. وقد قتلوا على أيدي رجال الأمن في القرن الخامس عشر.

Telegram: SOMRLIBRARY

وهذه مجموعة صور من مهرجان الأموات يقام سنوياً بين المكسيك وكندا. ويقوم هؤلاء المحتفلين بتلوين أجسادهم بالأحمر لتصبح صورهم مرعبة. ونظراً لغرابة هذه الأعياد فقد لفتت أنظار الغرب.

وهناك مهرجانات احتفالية دينية كثيرة أخرى، منها:

- مهرجان الجفاف، وهو الذي يقام حين تقلّ الأمطار وتجف الأرض، فيطلبون الغيث من آلهة المطر.

- مهرجان الزلازل، وهو الذي يقام بعد حدوث زلزال، فيقدمون أضاحي لآلهة متخصصة بالزلازل.

- مهرجان الحرب، وهو الحفل الذي يقام قبل الانطلاق إلى المعركة، ويطلبون فيه النصر على الأعداء المتوقعين.

وفي هذه المهرجانات يضربون بالطبول، ويسير الفتيان في موكب كبير في الشوارع، يرتدون القمصان الحمراء. ويضعون الحلي التقليدية الملونة. وتعلو رؤوسهم قبعات كبيرة مكسوة بالريش الأبيض الذي يجمعونه عادة من الطيور. يسير الناس في صمت فلا ينشدون أي عبارات، لكن ضجيج الطبول ينطلق بقوة.

Telegram: SOMRLIBRARY

مهرجانات فيلاكوي كروزو

يقام سنوياً مهرجان فيلاكوي كروزو Velacuy في مدينة كوسكو وغيرها. وهو احتفال كاثوليكي بالصليب. فرضه المستعمر الإسباني على شعوب الإنكا، فغير من طبيعة مهرجاناتهم واحتفالاتهم القديمة.

في اليوم الثالث من أيار مايو من كل عام يقام المهرجان على سفوح جبال الأنديز. ويجري فيه رفع الصلبان، التي باتت تتواجد بكثرة في تلك المدن.

تاريخ الحفل الديني المسيحي يعود إلى بداية القرن الثامن عشر. عندما كان هناك احتفال إداري متواضع، فتطور مع ضغوط التنصير الغربي على شعوب الأنديز، وأصبح اليوم مهرجاناً مسيحياً كاثوليكياً.

لقد فرض الإسبان بشكل إلزامي على تلك الشعوب، أن يتحولوا إلى المسيحية. وقام الغزاة بتدمير تماثيل الأوثان المعبودة وضعوا الصلبان في أماكنها.

وأصبح بعض الناس يعتبرون المسيحية أكثر تعبيراً عن الدين الحق. يقول (تاكاهيرو كاتو):

« .. في عام 1746، أي بعد خمس وثلاثين سنة من الغزو الإسباني، تم منع الناس من الاحتفال بهذا العيد. لكن مع مرور الزمن تم تعديل هذا الطقس الاحتفالي ليصبح أكثر تلاؤماً مع الكاثوليكية...»

ويقول كاتو: « .. إنه حتى منتصف هذا القرن لم يتمكن مهرجان فيلاكوي كروزو من تقويم الناس بشكل كاثوليكي كامل..»

لكن منذ عام 1950 أي بعد حدوث الزلزال الشهير الذي دمر المدينة، بدأ مهرجان فيلاكوي كروزو يكتسب شعبية واضحة في المناطق الحضرية. فمع تدفق الفلاحين من المزارع والمناطق النائية كانوا ينقلون معهم عقائد كوسكو.

Telegram: SOMRLIBRARY

وبفضل فرض الكاثوليكية تحول المهرجان الكاثوليكي إلى تقديس الصلبان الحجرية نفسها. فتلك الصلبان وعددها اثنان التي نصبها الإسبان منذ القديم هي صلبان حجرية أو خشبية ثابتة وتقام عند الكنائس فلا يمكن للناس حملها أو نقلها، بل يكتفون بتقديسها في مكان واحد ومحدد. ولذلك لم ينتقل المهرجان إلى مناطق أخرى مع انتقال الناس وتوزعهم الجديد..

لقد كان الهنود الحمر يقدسون الصخور الكبيرة التي تحمل لهم معاني وترمز إلى آلهة قديمة. فجاء الاسبان واشتغلوا على العقيدة نفسها، فنحتوا صخوراً على شكل صلبان ووضعوها في معابد الهنود وأمام مدخل الكنائس.

عشية يوم الاحتفال يشعل الناس النار، ويقوم راعي المهرجان بتقديم الأضاحي. يتوافد الناس بكثرة.. وتقام الرقصات الشعبية القديمة في كل مكان. ويشرب الناس الروم بيسكو، حتى الثمالة.

وعند منتصف الليل يتناولون حساء الدجاج أو لحم الضأن. ويعم الرقص الحماسي والفرح، وتستمر الاحتفالات الصاخبة حتى الفجر.

وفي صباح اليوم التالي، الثالث من مايو أيار، يرتدون ملابس جديدة زاهية، يتبرع بها عادة راعي الاحتفال. ويحملون الصلبان، وتنطلق الفرق الموسيقية، في الموكب.

وعند الظهيرة يتناولون وجبة الغداء. وبعد الظهيرة ينصبون الصلبان وتبدأ فترة المساء بالرقص والفرح والمجون المتواصل.

وبسبب السكر المبالغ به، يفقد كثير من الناس الوعي، مما يؤدي إلى قيام الرجال والنساء بأفعال جنسية وشهوانية لا حدود لها.

وتحدث ممارسات جنسية عشوائية بين رجال ونساء لا يعرف بعضهم بعضاً.

Telegram: SOMRLIBRARY

لكن بعد تسعة أشهر من ذلك المهرجان الكاثوليكي، سوف تضع كثير من الفتيات مواليد جدد. وسوف تأتي تلك المرأة إلى البلدية وتسجله باسم أب مجهول، وغالباً ما يطلق على هؤلاء المواليد أسماء مثل كروزو، أو سانتا كروز. فتقول الأم بأن سانتا كروز هو الأب المتسبب بولادة طفلها.

المهرجانات النصرانية

فرض الغزاة البيض على شعوب الإنكا مهرجانات ظاهرها مسيحي، وكان الهدف منها تنصير هذه الشعوب. لكن هذه المهرجانات المسيحية ظلت تحمل طابع العقائد القديمة. فاختلطت الاحتفالات والعقائد بين القديم الذي ورثوه عن أجدادهم، وبين الجديد الذي حمله إليهم البيض.

Telegram: SOMRLIBRARY

عيد القربان

يقام عيد القربان في مدينة كوربوس كريستي. تعود أصول هذا العيد إلى العام 1247، حين دعا إليه القديس مايكل ليجا في بلجيكا. وتأسس هذا العيد في بيرو عام 533، ثم أصبح عيداً رسمياً في كوسكو، عام 1572، بواسطة الحاكم توليدو.

وكان مهرجان (أنتي الريمي)، أهم عيد ديني، ويقام في 21 يونيو من كل عام. مع الانقلاب الشتوي وكان يقام في الساحة الرئيس في المدينة تكريماً للأب الواحد. (الإله). وكان الناس يحملون المومياات، وهي مدافن الأجداد وحكام الإنكا القدماء. حيث توضع المومياات على عربات ويسار بها في الساحة وسط المدينة. وتزين بالمجوهرات والأثواب. ويرقص الناس ويتناولون الطعام والشراب ويبتهجون.

وعندما وصل الغزاة الإسبان إلى كوسكو عام 1533، فرض عيد كوربوس كريستي، وهو عيد كاثوليكي بديلاً عن مهرجان الإنكا الوثني.

لكن بعد مايقرب من أربعين عاماً على ذلك، كان المسؤول (المنصّر) الكاثوليكي، قد لاحظ أن شعوب الإنكا مازالت تحتفل في التاريخ نفسه بعيد وثني قديم. كان هؤلاء السكان قد حولوا العيد الكاثوليكي إلى عيد إنكي. فأمر الإسبان بأن يحضر جميع الناس هذا المهرجان، وفرض على زعماء العشائر في المناطق المجاورة أن يحضروه.

وكتب غارسيلازو Garcilaso إنكا دي لافيغا، وهو شاهد عيان على هذا المهرجان يقول:

« ... فرض على جميع السكان أن يحضروا المهرجان. وشارك فيه جميع زعماء القبائل والمناطق، وأقاربهم.. وأتت الوفود من جميع المحافظات..»

« ... وجلبت كل قبيلة جميع أنواع الزينة والحلي والأجهزة التي

Telegram: SOMRLIBRARY

كانوا يستخدمونها في زمن الإنكا في أعيادهم العظيمة.. وجلبت كل قبيلة معاطف وأسلحة ورموز خاصة بها.. وجاء البعض يرتدون جلود الأسود، وعلى رؤوسهم يضعون رأس الأسد. إنهم يزعمون بأنهم من سلالة الأسود ومن نسبهم.

وجاء آخرون وقد ثبتوا على أكتافهم أجنحة طيور كبيرة جداً. من طيور الكونتر. Cuntur وهم يزعمون حسب معتقداتهم بأنهم من سلالة هذه الطيور.

وجاء آخرون يحملون لوحات ورسوماً تمثل الينابيع والأنهار والبحيرات والجبال والمروج والكهوف. إنهم يعتقدون بأن تلك الأشياء تمثل أجدادهم الآلهة. وجاء آخرون يحملون أشياء غريبة ويلبسون فساتين غريبة مزينة برقائق. وأكاليل من الذهب والفضة. وتبدو هيئتهم على أشكال الوحوش المرعبة المقنعة..»

وفي موقع آخر من كتابه المخصص عن بيرو. يقول الكاتب أيضاً:

«... سار الهنود في مواكب كبيرة.. وكلهم كانوا يغنون باللهجات المحلية. وكانت لكل قبيلة مسيرة وموكب خاص بها ومميز عن غيره. وفي حالات كثيرة شاركت النساء في تلك المهرجانات، حيث أدّت النساء الغناء والعزف على الطبول..»

ومن الملاحظ أن هذه الاحتفالات الدينية قد تطورت في عهد الاستعمار الإسباني.

لقد أمر البابا آنذاك، أن يتساهل المبشرون مع الشعوب التي يجري تنصيرها. وقال: «.. لتبقَ دياناتهم على حالها، لكن أضيفوا عليها المسيحية..» وصدر ذلك الأمر بعدما ووجه المبشرون بعداوة كبيرة في القارة الأفريقية وغيرها. ولذلك وجدنا ديانات مختلطة بالمسيحية ومتنوعة كثيراً في أفريقيا وآسيا وأمريكا. ففي آسيا اختلطت المسيحية

Telegram: SOMRLIBRARY

مع الهندوسية وأحياناً مع البوذية. وفي أفريقيا اختلطت المسيحية مع عبادات وثنية كثيرة. وفي أمريكا اللاتينية اختلطت المسيحية مع ديانة الإنكا كما رأينا. فبالنسبة لعيد الأموات قام الإسبان بتقديم موعده شهراً واحداً لكي يحتفل الناس فيه بعيد القديسين. أي أن المبشرين الكاثوليك قبلوا أن تستمر طقوس عبادة الأموات، وجعلوها عبادة القديسين. لكن مع مرور الزمن أصبح هناك احتفالان متزامنان الأول مسيحي والثاني خاص بالديانة القديمة.

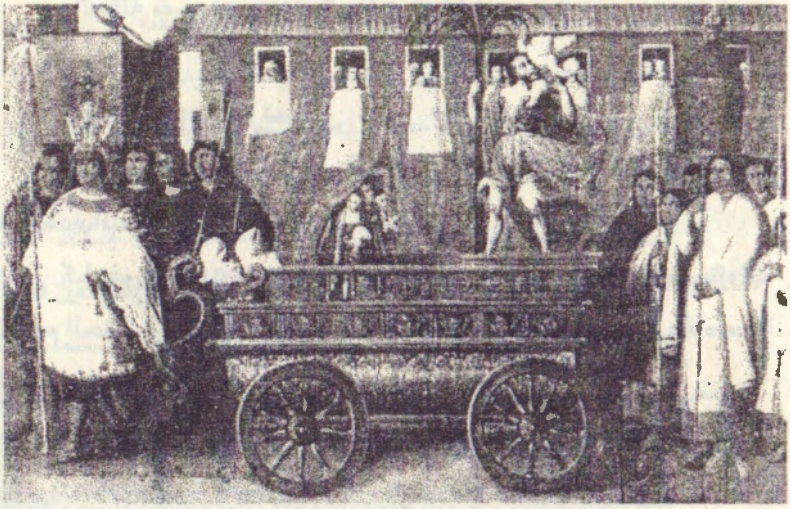

رسم قديم يعبر عن المهرجانات المسيحية عند الإنكا

كانت تلك محاولة لتعديل المفاهيم والمعتقدات القديمة، لا محوها نهائياً، لأنه تعذر على المستعمر محوها. وهكذا جعل المبشرون، الإلهة القديمة باشا ماما، التي تعني أمنا الأرض، هي مريم العذراء!.

والآلهة ماما كيلا التي كانت تعني عند الأنديز (أمنا القمر)، جعلت مريم العذراء أيضاً.

Telegram: SOMRLIBRARY

والإله القديم إنتي تايا الذي كان يعني الإله الأب، جعله المنصّرون يسوع المسيح.

الإله الأعلى عند الإنكا، والمسمى إيلابا . Illapa كان يعني إلهاً مدبراً للبرق والرعد . جعله المبشرون سانت جيمس..!!. الخ.

وحتى اليوم مازال كثير من الناس هناك يؤمنون بمعتقداتهم القديمة، ويمارسونها رغم أن بعضهم يعلن ظاهرياً انتماءه للمسيحية. ورغم ذلك يقال رسمياً بأن بيرو بلد كاثوليكي.

والحالة نفسها نجدها في بوليفيا وأكوادور.

عيد كوربوس كريستي

عيد كوربوس كريستي هو المهرجان الأهم في كوسكو كلها . وتبدأ الاستعدادات له قبل أسابيع عديدة من موعده.

كارغويوك، «carguyoq» هو الشخص الذي يتحمل مسؤولية تنظيم الحفل ويشمل الملابس والنفقات والأشياء التذكارية والأطعمة والمشروبات.. وغيرها .

قبل يوم من المهرجان، يخرجون من الكنائس برفقة القديس، ويسيرون في موكب.. يضعون شارات فضية تمثل العذراء.

يسير الموكب بحماس نحو الساحة. ويحمل الناس زينات من الأغصان والزهور والمرايا والأعلام.

ثم يأكلون، ويزيدون من الفلفل الحار على اللحم. ويشربون المزيد من النبيذ .

وفي يوم الاحتفال، يبدأ النشاط منذ الساعات الأولى من الصباح. يحضرون القداس البابوي،

ثم ينطلق الموكب الذي يسير فيه حوالي ستين ألف شخص.

Telegram: SOMRLIBRARY

يتقدمه الأساقفة، ويحملون وعاء فضة. كان من قبل يرمز للآلهة الشمس. وقد اتخذت منذ العام 1733، وهي محاطة بإطار من خشب الأرز، يضرب عليها للعزف. وفي الموكب يحملون صوراً كثيرة للقديسين المتعاقبين.

مهرجان إنتي الريمي

مهرجان «إنتي الريمي» أو «احتفالية الشمس» كان الأكبر في بلدان الأنديز كلها. فهي احتفالية مذهلة ورائعة. (كما توصف في النص).

وهو احتفال لأجل الآلهة الشمس. أو يوم الرب.

قبل بضعة أيام من الإحتفال يصوم الناس ويمتنعون عن ممارسة الجنس.

وفي صبيحة المهرجان، يحضرون مومياءات الأجداد النبلاء (الآلهة البشرية)، لكي يحضر هؤلاء الأموات المهرجان ويفرحون به.

وعند شروق الشمس يمارس الناس طقوس عبادة الشمس، التي تسمى تحية للشمس. فيرسلون نحوها القبلات القوية التي تسمع أصواتها، ويلحنون وينشدون أغان دينية لجلالة الشمس.

وفي وقت لاحق تحولت هذه الطقوس إلى (تاكي واكي) **wakay**، أي الأغاني البكائية. فأصبح الناس يغنّون بصوت منخفض، بعاطفة دينية وبكاء شجي. وهذا مما أضافته الكاثوليكية إلى مهرجانات الإنكا.

ثم يأخذ زعيم المحتفلين جرة بيرة (الذرة)، ويسقي منها بعض الحاضرين النبلاء، ثم يسقي القناة الذهبية التي تسيل فيها البيرة والتي تتصل بالمعبد. فيعتقدون أنهم يسقون الآلهة. ثم يشرب الجميع بيرة الذرة.

ثم يسير كاهن الإنكا مع مرافقيه. يمر بشارع الشمس، وصولاً

Telegram: SOMRLIBRARY

إلى ساحة المدينة. ويقوم الكاهن الأكبر بالتضحية بذبح حيوان اللاما بواسطة سكين حاد ذهبي. ثم يحرق الحيوان / الأضحية حرقاً كاملاً.

ويحضر النار بواسطة ميدالية ذهبية مقعرة تحوي مادة زيتية. وقد صنعت لكي تجمع أشعة الشمس وتستخرج منها ناراً، تسمى بالنار المقدسة.

ثم يقوم الكهنة بتوزيع فطير يشبه الفطير اليهودي، وقد صنع من طحين الذرة المخلوط بدم الأضحية / حيوان اللاما. ويسمى بالخبز المقدس فيتناوله الجميع.

وبعد الانتهاء من الطقوس يتجه الناس نحو غرب المدينة، وهناك تبدأ الرقصات والموسيقى.

مازال الفلاحون يحتفلون حتى اليوم في بيرو. بهذا المهرجان، الذي عززه وبدأه منذ 1944 الدكتور **Cusquenian** اوندا فيدال اومبرتو.

الاحتفال بسن الرشد

يحتفل الإنكا ببلوغ الشاب والفتاة سن الرشد في السنة الرابعة عشرة من العمر.

وتكون حفلات الفتيان جماعية، فيما تقتصر حفلات البنات البالغات على النساء فقط.

وأثناء الاحتفال يلبس الطفل الثوب الجديد، ويقوم واحد من كبار الأسرة بإطلاق اسم على الفتى. ثم ينضم إلى رجال القرية.

وبالنسبة للفتاة، فهذا الاحتفال يعتبر إعلاناً في القرية عن بلوغ البنت مرحلة الأنوثة.

Telegram: SOMRLIBRARY

Telegram: SOMRLIBRARY

طائفة فودو

كلمة فودو من vodun هي مصطلح شائع عند شعوب أفريقية وثنية ويقصد به الرب.. وجماعة فودو تكثر اليوم في هاييتي، حيث منحت هناك اسم ديانة معترف بها حكومياً. وفي بنين، تمّ الاعتراف الرسمي والحكومي بهذه العقيدة عام 1966. وفي بنين وحدها تصل نسبة أتباع هذه العقيدة إلى 60 ٪ من تعداد السكان. وفي جاميكا تقام احتفالات وطقوس مماثلة لما يفعله الفودو في أفريقيا، وفي أجزاء من الولايات المتحدة توجد جماعات مشابهة، لها العقائد نفسها. وفي غينيا والبرازيل توجد فروع للطائفة.

كافة طقوس جماعة الفودو تتسم بالسحر وتحضير الأرواح. وكافة الأتباع يقومون بهذه الطقوس.

وتقول تعاليمهم بأن الطبيعة تسيطر عليها القوى الروحية التي لا بد من التسليم لها وتمجيدها. وهم يتقدمون بأضاحي ووجبات، وأضاحيهم حيوانية وبشرية.

وأثناء الطقوس الدينية لابد من دخول النشوة في غيبوبة، يعتقدون بأنهم دخلوا في عالم الأرواح. فالغيبوبة هي وسيلة لهم في الاتصال مع الأرواح التي يعتقدون بأنها الآلهة. ويتصلون أيضاً بأرواح أشخاص يعرفونهم من الأقرباء والأصدقاء. وتقول قديسة منهم، بأنها عندما تغمض عينيها وتتأمل تسمع موسيقى خاصة، ونبضاً تحس بحركات الأرواح وبقدومها وتتفاعل معها.

وقد حمل الأفارقة السود هذه الديانة إلى القارة الأمريكية وأوروبا، وهناك أدخلت العناصر المسيحية واليهودية على هذه العقائد. فأصبحت ديانتهم منخرطة في مسيحية ويهودية مشوهة.

أما في الدول الإفريقية، فقد حاول المستعمر الغربي إدخال

Telegram: SOMRLIBRARY

المسيحية عليها فتشوهت بذلك العقيدة المسيحية الغربية نفسها. وأصبح لطوائف الفودو آلهة من البشر وهم قسس كنائس الفودو. ويعتقدون بأن لهم صفات مقدسة. كما أدخلت طقوس ومهرجانات الفودو إلى هذه الكنائس الإفريقية.

الريستافاري

ديانة الريستافاري نشأت في القرن التاسع عشر، وعززها حاكم الحبشة الملك هيلا سيلاسي، فنصّب إلهاً على شعبه وأتباعه. ومارسوا عبادته فكانوا يركعون ويسجدون له. ترتكز الديانة على تمجيد العرق الأسود، وقد وصل أتباعها إلى دول غربية كثيرة. وكانت لها طقوس احتفالية كثيرة، يحتفلون بمناسبة ميلاد وموت هيلا سياسي. وقد ابتكروا موسيقى الريغي. فعزفوها في مهرجاناتهم الدينية. ثم وصلت هذه الموسيقى إلى أوروبا وأمريكا وشاعت عالمياً. حيث يضربون على طبول تصنع بطرق بدائية في أفريقيا.

عبادة الأمير فيليب

يعتقد هذا الشعب القليل العديد في قرية ياهونانين (Yaohnanen). والقرى المحيطة بها، بقداسة وإلوهية الأمير فيليب. ويعبدونه. والأمير فيليب هو زوج الملكة البريطانية.

فيعتقدون أن الأمير فيليب هو روح وابن للإله القديم الذي يسكن في قمة جبل قريب في جزيرة تانا.

القرويون جميعهم أميون، ويمارسون عبادة الأمير فيليب منذ نصف قرن من الزمن. وهم يحتفلون بعيد ميلاده الذي يقع في العاشر من يونيو كل عام. ويأملون كل عام بأن يحضر عيدهم الأمير فيليب نفسه.

Telegram: SOMRLIBRARY

«يجب أن يحضر الملك فيليب هذه السنة. فإنني أريده أن يأتي لزيارتنا قبل أن أموت»، هذا ماقاله القائد والزعيم الديني المحلي، الذي يعتقد أنه في حوالي السنة الثمانين من عمره.

ويتابع: « .. إذا كان لا يستطيع أن يأتي لزيارتنا هنا، فبإمكانه أن يرسل لنا أي شيء من عنده، لاند روفر، وأكياس من الأرز أو القليل من المال».

احتفالات هذه الطائفة تشمل مبارزات وأغاني واستخدام لأدوات موسيقية محلية الصنع. منها ماصنع من القصب ومن قرون الحيوانات. وكنوزهم الدينية هي صور الأمير فيليب، منها صور ملونة وقد أحضرها لهم الغزاة البريطانيون الذين مازالوا يستعمرون الجزيرة النائية. قد تكون هذه الجزيرة هي البقعة الأكثر تخلفاً في العالم كله. وهي مستعمرة بريطانية يفرض فيها القانون البريطاني.!.

Telegram: SOMRLIBRARY

مراجع للبحث

1- محمد المنوني: مجلة الثقافة المغربية، ع 5.

2- الحسن السائح: دعوة الحق، ع 2، 3، السنة 19 مارس 1978.

3- كشف الظنون، ج 1.

4- ابن كثير، البداية والنهاية، ج. 11، مكتبة المعارف، بيروت.

5- مصطفى ابن عبد الله القسطنطيني، كشف الظنون، ج. 2، دار الكتب العلمية، بيروت.

6- تعريف الموسيقا وأنواعها - الفنان مازن المنصور.

7- الموسيقى الدينية - د. ا - محمد جبرون.

8- مجلة تحولات - عاشوراء كظاهرة من الظواهر المسرحية عند العرب - سولين دكاش.

9- الموسيقى العربية ما قبل التاريخ، الدكتور أحمد مصطفى السيد أحمد.

10- ابن خلدون، المقدمة، دار الكتب العلمية.

11- محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ترجمة عباس محمود.

12- إتحاف السادة المتقين، ج 4.

13- السعادة الأبدية - ابن الموقت، ج 1.

14- نشر المثاني - محمد بن الطيب القادري، ج 2.

15- صالح الشرقي - أضواء على الموسيقى المغربية.

16- رسائل اليوسي- جمع فاطمة خليل القبلي، ج 2.

Telegram: SOMRLIBRARY

17- رسائل أبي علي اليوسي.
18- الإعلام للمراكشي السملالي، ج4.
19- محمد المختار السوسي: الترياق المداوى في أخبار الشيخ سيدي الحاج السوسي الدرقاوي.
20- الدكتور الجراري - فصل في عام التصوف.
21- محمد جمال الدين القاسمي، كتاب إصلاح المساجد من البدع والعوائد.
22- ابن الجزري: النشر في القراءات العشر، مطبعة مصطفى محمد بمصر.
23- النغمات السماوية – هنري كاريغان Carrigan.
24- الموسيقى وعلم الأعصاب– جونا ليرير By Jonah Lehrer.
25- شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسرة.
26- حاجي خليفة: كشف الظنون.
27- الموسيقى العربية - د. روبير صفدي.
28- محمد إقبال، تجديد التفكير الديني في الإسلام، ترجمة عباس محمود، دار الهداية، مصر، ط. 2/2000.
29- النجوم الصوالح للمارغني: المطبعة التونسية 1354 هـ -1935م.
30- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، عن النجوم الطوالع، ج1.
31- الكائنات الكونية في اساطير الهنود الحمر - عدنان المبارك - حوار مع الفنّان الباكستاني فايز علي فايز: موسيقى القوّالي الصوفية... عالم من الموسيقى الدينية والدنيوية.
32- الجذوة، ج1، فصل في بيان من شدد في السماع، مجلة كلية الشريعة، عدد 2، س1، ربيع الثاني 1397هـ.
33- د عمر صالح - الموسيقى والغناء بين علم النفس والتربية والدين.
34- محمد بن العباس القباج: الأدب العربي في المغرب الأقصى.
35- ابن كثير، البداية والنهاية، ج. 11، مكتبة المعارف، بيروت.

Telegram: SOMRLIBRARY

36- الزبيدي: التجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح، ج1، ص: 74.

37- جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، المطبعة الملكية 1387 هـ/ 1967م.

38- تحفة الأكابر، عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، الباب الثاني عشر.

39- الموسيقى الروحية في المغرب، عبد العزيز بن عبد الجليل.

40- الأنغام الموسيقية في الطقوس الدينية – آمال ابراهيم محمد

A sociologist argues that music has kept the sound of organized religion from fading- By Henry L. Carrigan Jr ..

41- تاريخ الموسيقى الكلاسيكية، الدكتور أحمد مصطفى السيد أحمد.

42- بنحدو يؤصل العلاقة بين الديني والتاريخي في 'مدخل إلى تاريخ موسيقى الأديان - محمد فنساوي.

43- الموسيقى والدين - **Jebrounmuhamed@yahoo. fr**

44- آلة الناي في الموسيقى الدينية المصرية - عاطف إمام فهمي.

45- Bishop James Magness - A Religious Reflection for Independence - التأمل الديني لعيد الاستقلال. -

Telegram: SOMRLIBRARY

Telegram: SOMRLIBRARY

فهرس

مقدمة 5

الفصل الأول: الموسيقى بين الأسطورة والدين والعلم 7

الفصل الثاني: مهرجانات الأكراد 29

الفصل الثالث: الموسيقى الدينية عند العرب والمسلمين 53

الفصل الرابع: الموسيقى الدينية عند الشعوب الأوروبية 125

الفصل الخامس: الموسيقى الدينية عند اليهود 161

الفصل السادس: الموسيقى الكنسية 177

الفصل السابع: موسيقى الأديان الهندوسينية 187

الفصل الثامن: مهرجانات وأعياد الشعوب البدائية 217

مراجع للبحث 237

Telegram: SOMRLIBRARY

الموسيقى غذاء للروح وشفاء للنفس، تلهم الفنان، وربما تزيل الأحزان أو تزيد من وطأتها، تحرك المشاعر، يتذوقها الطفل الرضيع والشاب والمراهق، الرجل العاقل والكاهل المسن، وتهدئ النفوس، عرفها الناس في أفراحهم وأتراحهم، في سلامهم وحروبهم ..

من خرير المياه إلى صوت الموج الصاخب، ومن حفيف أوراق الأشجار إلى صوت الرعد الهادر، كل هذه الأصوات سمعها الإنسان منذ نشأته الأولى، فرعاها وأدركها وحاول تقليدها ثم آخى بين بضعها بعضاً، وزاوج بين بعضها الآخر، فتكونت لديه موهبة جديدة. فاخترع الآلات الموسيقية والأدوات الصوتية، ثم شارك بين صوته وصوت الآلة فكان من ذلك كله انسجام جديد.

يعالج هذا الكتاب مفهوم الموسيقى وماهيتها وتاريخها والعقائد الدينية المرتبطة بها عند شعوب العالم. يتناول الموسيقى في عصور ما قبل التاريخ، وفي أولى الحضارات الموسيقية، موسيقى الهنود والصينيين وشعوب شرق المتوسط والغناء والطقوس المسيحية، والموسيقى عند عرب الجاهلية وعند المسلمين، وصولاً إلى الموسيقى الدينية المعاصرة..

❖ الناشر

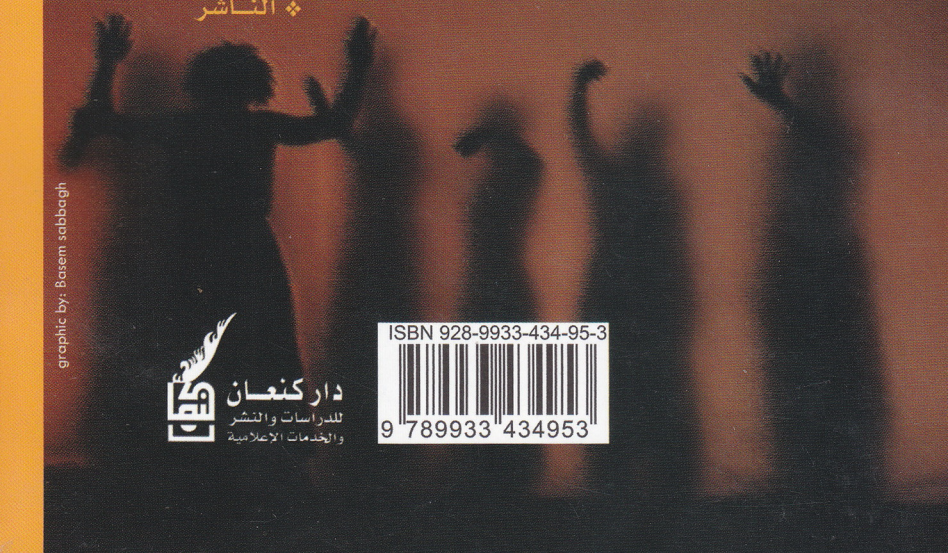

graphic by: Basem sabbagh

ISBN 928-9933-434-95-3

9 789933 434953

دار كنعان
للدراسات والنشر
والخدمات الإعلامية